دراســـات
فـــى
وسائل الدعـــوة

إعـداد :
د. سعيد محمد إسماعيل الصاوى
أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية
بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية
بطنطـا

الطبعة الأولى
١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م٠

" بسم الله الرحمن الرحيم "

****

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين . سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . والسالكين سبيله . والمهتدين بهديه إلى يوم الدين •

أما بعد :

فقد أرسل الله تعالى نبيه محمدا ﷺ (بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . ولو كره المشركون (١) . فبلغ الرسالة . وأدى الأمانة . ونصح الأمة . وكشف الله به الغمة . وجاهد في الله حق جهاده . ودعا إلى سبيل ربه بالحكمة . والموعظة الحسنة ليلا ونهارا . سرا وجهارا . حلا وترحالا . امتثالا لأمر ربه سبحانه [وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم] (٢) [يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك . وإن لم تفعل فما بلغت رسالته . والله يعصمك من الناس ..] (٣) •

وقد استخدم ﷺ في دعوته جميع ما يسره الله تعالى له من وسائل . دعوية . مادية أو معنوية . مكتسبة أو فطرية . في جميع مراحل دعوته السرية أو الجهرية . المكية أو المدنية •

وقد استفاد من هديه الشريف صحابته الكرام والسلف الصالح . في تبليغ دين الله تعالى لكل إنسان في كل مكان . حتى أشرقت الأرض بنور ربها . وهدى نبينا محمد ﷺ •

---

(١) سورة الصف آية : ٩ •

(٢) سورة الحج الآية : ٦٧ •

(٣) سورة المائدة الآية : ٦٧ •

وفى هذا البحث – إن شاء الله تعالى – سيكون الحديث عن هذه الوسائل الدعوية التى استخدمها نبينا محمد ﷺ . وسلفنا الصالح . وماجد بعد عصورهم الزاهرة من وسائل حديثة لها تأثيرها القوى والفعال إيجابا أو سلبا على المدعو لملازمتها – كلها أو بعضها – له فى حياته اليومية . طوعا أو كرها .

وقد قسمت هذا البحث إلى تمهيد وسبعة فصول :

وقد كان التمهيد لبيان مصطلحات عنوان البحث – وسائل الدعوة –

والفصل الأول : لبيان أنواع الوسائل الدعوية . من حيث المادية والمعنوية . مع ذكر نماذج لكل منهما .

والفصل الثانى : لبيان أنواع الوسائل من حيث مجالات استخدامها . مع ذكر نماذج لكل منها .

والفصل الثالث : لبيان أنواع الوسائل من حيث مشروعيتها ، مع ذكر نماذج لكل منها .

والفصل الرابع : لبيان الضوابط العامة لمشروعية الوسائل .

والفصل الخامس : لبيان الخصائص التى يجب أن تكون لوسائل الدعوة الإسلامية . مع المقارنة بينها وبين وسائل الدعوات الأخرى .

والفصل السادس : لبيان أهم وسائل الدعوة الإسلامية فى عهدها المكى وبيان السمة العامة الغالبة عليها من حصرها فى الوسائل القولية والحركية .

والفصل السابع : لبيان أهم وسائل الدعوة فى العهد المدنى . وبيان ما طرأ عليها من تطور يتناسب مع حال العصر المدنى من مشروعية

الجهاد . وإرسال الكتب والرسائل إلى الملوك والرؤساء . داخل الجزيرة العربية وخارجها . وما ترتب على ذلك من توافد الوفود على النبي ﷺ لتعلن إسلامها وولاءها للإسلام . ثم إرسال البعثات العلمية والعملية إلى كثير من البلاد لتعليم الناس وإرشادهم إلى ما فيه سعادتهم في العاجل والآجل .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

د. سعيد محمد الصاوى

﴿ تمهيد ﴾

التعريف بمفردات البحث
وسائل - الدعوة - وسائل الدعوة

أ - وسائل :

وسائل جمع وسيلة :

معنى الوسيلة في اللغة :

كلمة وسيلة . مأخوذة من الفعل الثلاثي - وسل . يسل . وسلا ووسيلة . بمعنى : - رغب . وتقرب . وتوصل - (١) .

• ففى لسان العرب : - الوسيلة : القربة . والواسل : الراغب إلى الله . وتوسل إليه بكذا : تقرب إليه بحرمة آصرة تعطفه عليه - (٢) .

• وفى المعجم الوسيط : - الوسيلة : الوصلة . والقربى - (٣) .

• وفى الصحاح : - الوسيلة : ما يتقرب به إلى الغير . والجمع وسائل (٤) . قال تعالى - " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة " - (٥) .

يقول الحافظ ابن كثير : - الوسيلة : هى التى يتوصل بها إلى تحصيل المقصود (٦) .

---

(١) ومن معانيها فى اللغة كذلك : أنها تطلق على درجة النبى ﷺ - وعلى المنزلة عند الملك . وعلى الواجب . وعلى السرقة .

ولكننا تقتصر على المعانى المتصلة بموضوع الدراسة فقط وهى: الرغبة والقربة.والوصلة .

(٢) باب اللام فصل الواو جـ ٢ ص ٩٢٧ .　　　(٣) ص ١٠٣٢ .

(٤) الصحاح وتاج اللغة وصحاح العربية : إسماعيل بن حماد الجوهرى جـ ٥ ص ١٨٤١ ط ٢ دار العلم للملايين ١٣٣٩ هـ .

(٥) سورة المائدة الآية : ٣٥ .

(٦) تفسير القرآن العظيم جـ ٢ ص ٥٣ الآية ٣٥ .

• وفى مفردات الراغب : الوسيلة : هى التوصل إلى الشىء برغبة (١) •

معنى الوسيلة فى الاصطلاح :

من خلال ما ورد فى المعاجم اللغوية . وفى كلام العلماء عن معانى الوسيلة فى اللغة •

أستطيع أن أقول :

إن الوسيلة هى كل شىء مادى أو معنوى يقرب الإنسان . أو يرغبه أو يوصله إلى تحقيق هدفه المادى أو المعنوى •

ب : معنى الدعوة :

إن الباحث فى أى موضوع ذى بال . لابد أن يستفتح إليه ببيان حقيقته وحقيقة أهله ورواده •

ومن هنا تبرز الحاجة الملحة إلى معرفة حقيقة الدعوة والدعاة -

معنى الدعوة فى اللغة :

وردت كلمة الدعوة فى المعاجم اللغوية بمعان كثيرة تدور كلها حول : النداء . والصيحة . والطلب . والتجمع للمشاركة فى شىء •

والسوق إلى ....

= ففى لسان العرب :

الدعوة من الدعاء . يقال : دعا الرجل دعوا ودعاء . ناداه •

---

(١) المفردات فى غريب القرآن الكريم : للراغب الأصفهانى ص ٥٢٩ ط دار المعرفه بيروت بدون تاريخ •

والاسم : الدعوة :

دعوت فلانا : أى صحت به . واستدعيته .

وقول عنترة :

يدعون عنترة والرماح كأنها ∴ أشطان بئر فى لبان الأدهم

معناه يقول : يا عنترة . فدلت يدعون عليها .

وتداعى القوم : دعا بعضهم بعضا . حتى تجمعوا .

وفى الحديث : - ما بال دعوى الجاهلية (١) - هو قولهم يالفلان . كانوا يدعون بعضهم بعضا عند الأمر الحادث الشديد ...

ودعاه إلى الأمير : ساقه إليه (٢) .

= وفى المصباح المنير :

دعوت زيدا : ناديته وطلبت إقباله . ودعا المؤذن الناس إلى الصلاة . فهو داعى الله . والجمع : دعاة . وداعون . والنبى ﷺ داعى الخلق إلى التوحيد (٣) .

وفى القاموس المحيط :

الدعوة هى النداء للمشاركة فى شىء . وهى التجمع على شىء .

فدعا الرجل : ناداه . وتداعى القوم : دعا بعضهم بعضا حتى يجتمعوا (٤) .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ ٢ ص ١٣٧ وقد قال ذلك : النبى ﷺ عندما سعى اليهود بالوقيعة بين الأنصار .

(٢) لسان العرب جـ ١٦ ص ٢٨١ - ٢٨٧ باب الواو فصل الدال .

(٣) مادة دعا باب الواو فصل الدال .

(٤) جـ ٤ ص ٣٢٨ باب الواو فصل الدال .

= وفي معجم مقاييس اللغة :

الدال . والعين . والحرف المعتل - الواو - أصل واحد . وهو : أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك .

تقول : دعوت . أدعو . دعاء . وداعية اللبن : ما يترك في الضرع ليدعو . أي يطلب ما بعده ...

تداعت الحيطان : وذلك إذا سقط واحد . وآخر بعده .

فكأن الأول دعا الثاني . وربما قالوا : داعيناها عليهم : إذا هدمناها واحدا بعد آخر .

ودواعي الدهر : صروفه . كأنها تميل الحوادث ....

ومن الباب : ما بالدار دعوى : أي ما بها أحد . كأنه ليس بها صائح يدعو بصياحه (١) .

معاني الدعوة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة :

وردت كلمة - الدعوة - وما اشتق منها كثيرا في القرآن الكريم حتى بلغ عددها ٢١٢ مرة . وتنوعت أنواعها . وتعددت صيغها وعباراتها . وكثرت أساليبها ومناهجها (٢) .

ومن معاني الدعوة في القرآن الكريم والسنة الشريفة :

١- النداء والطلب . والحث . والبلاغ . والرغبة . والشوق .

قال تعالى : والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم ... (٣) - والرسول يدعوكم في

(١) لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا جـ ٢ ص ٢٧٩ تحقيق عبد السلام محمد هارون .

(٢) الفلسفة الحديثة في الميزان : د. محمد بن فتح بدران ص ٤١٢ .

(٣) سورة الحديد الآية : ٨ .

أخراكم (١) - أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه (٢) ·
- ويا قوم مالى أدعوكم إلى النجاة وتدعوننى إلى النار . تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم . وإنا أدعوكم إلى العزيز الغفار . لا جرم أن ما تدعوننى إليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة . وأن مردنا الى الله ... (٣) ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا (٤) ·

وقوله ﷺ : ... ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال . فقال : إنى أخاف الله (٥) ·

٢- الدين . والعبادة . والتوحيد . والطاعة ....

قال تعالى : - فادعوا الله مخلصين له الدين (٦) - له دعوة الحق والذين يدعون من دونه يستجيبون لهم بشىء (٧) - دلك بأن الله هو الحق . وأن ما يدعون من دونه هو الباطل ... (٨) - وأعتزلكم وما تدعون من دون الله . وأدعو ربى عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا - (٩)·

---

(١) سورة آل عمران الآية : ١٥٣ ·
(٢) سورة البقرة الآية : ٢٢١ ·
(٣) سورة غافر الآية : ٤١ - ٤٣ ·
(٤) سورة البقرة الآية : ٢٨٢ ·
(٥) البخارى كتاب الزكاة باب صدقة اليمين جـ ٧ ص ٤٣ ·
(٦) سورة غافر الآية : ١٤ ·
(٧) سورة الرعد الآية : ١٤ ·
(٨) سورة الحج الآية : ٦٢ ·
(٩) سورة مريم الآية : ٤٨ ·

٣- السؤال :

قال تعالى : وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان ... (١) – قالوا ادع لنا ربك ... (٢) – هنالك دعا زكريا ربه (٣).– •

٤- التضرع والابتهال . والاستغاثة (٤) :

قال تعالى : " وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه (٥) – وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه (٦) – فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر (٧) -- . وكان رسول الله ﷺ إذا دعا بدأ بنفسه (٨) – وما كان يصلى صلاة إلا دعا . أو قال : سبحانك ربى (٩) – •

٥ – التسمية :

قال تعالى : – ولله الأسماء الحسنى فأدعوه بها (١٠) – قل أدعوا الله أو ادعوا

(١) سورة البقرة الآية : ١٨٦ •

(٢) سورة البقرة من الآية : ٦٩ •

(٣) سورة آل عمران الآية : ٣٨ •

(٤) الفرق بين السؤال والتضرع : أن السؤال يكون فى كل زمان ومكان وشأن . أما التضرع فلا يكون إلا عند الحاجة الملحة . أو الخطر المحدق •

(٥) سورة الزمر الآية : ٨ •

(٦) سورة الروم الآية : ٣٣ •

(٧) سورة القمر الآية : ١٠ •

(٨) رواه أبو داود وابن ماجه •

(٩) مسلم كتاب الصلاة •

(١٠) سورة الأعراف الآية : ١٨٠ •

الرحمن . أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى (١) - .

٦ - **النسب :**

قال تعالى : ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله (٢) - تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا (٣) - وقوله ﷺ : - من ادعى ولدا من غير رشد فلا يرث ولا يورث (٤) .

المطلوب من هذه المعاني في دراستنا :

إن المطلوب من هذه المعاني هو أبرزها وأقربها إلى مجال دراستنا الدعوية ممثلا في المعنيين : الأول والثاني .

أما المعنى الأول : فإن كلمة - الدعوة - إذا أطلقت . فإنها تتضمن حقيقة المدعو إليه وبيانه وتبليغه : أصولا وأركانا وأوامر ونواه .والحث على هذا كله والترغيب فيه وسوق الناس إليه بشتى السبل والوسائل الممكنة .

وعلى هذا ورد كثير من كلمة الدعوة ومشتقاتها في القرآن الكريم .

ومنه قوله تعالى - ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين (٥) - وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم (٦) - إليه أدعو وإليه مئاب (٧) .

---

(١) سورة الإسراء الآية : ١١٠ .

(٢) سورة الأحزاب الآية : ٥ .

(٣) سورة مريم الآيتان ٩٠ ، ٩١ .

(٤) أبو داود .

(٥) سورة فصلت الآية : ٣٣ .

(٦) سورة الحج الآية : ٦٧ .

(٧) سورة الرعد الآية : ٣٦ .

وأما المعنى الثانى : فإن كلمة - الدعوة - إذا أطلقت . فإنها تعنى كلمة الشهادة . أو التوحيد - لا إله إلا الله محمد رسول الله - التى يدعى إليها غير المسلمين . ويذكر بها المسلمون . وما تقتضيه هذه الكلمة من مفهوم الاعتقاد ،

والقول والعمل . وقد ورد من هذا المعنى الكثير فى القرآن الكريم . ومنه قوله تعالى - له دعوة الحق . والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال (١) ،

قال الإمام ابن عباس وقتادة ومالك : - له دعوة الحق أى لا إله إلا الله وقال الإمام على بن أبى طالب : - له دعوة الحق - أى التوحيد - (٢) ،

وعلى ضوء هذا المعنى . فإن كلمة الدعوة إذا أطلقت فإنها تتضمن : حقيقة التوحيد الخالص لله تعالى . وحقيقة الإسلام كدين بكل أصوله وتكاليفه التى جاء بها نبينا محمد ﷺ ،

كلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة :

مما سبق يتضح أن كلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة التى تطلق ويراد بها أكثر من معنى - مثل كلمة عين (٣) . وجبن - (٤) ،

لأنها تطلق على الإسلام . وعلى عملية نشره وتبليغه للناس ، والقرينة أو سياق الكلام هو الذى يحدد المعنى المراد منهما ،

---

(١) سورة الرعد الآية : ١٤ ،

(٢) تفسير القرطبى جـ ٥ ص ٣٤١ وتفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٥٠٧ ،

(٣) تطلق كلمة عين على : العين الباصرة . وعين الماء .وحقيقة الشىء .والجاسوس ... الخ ،

(٤) تطلق كلمة الجبن على : الجبن المأكول وعلى ضد الشجاعة ،

الدعوة تتطلب كثيرا من الدراسات المتخصصة :

إن الدعوة بمعنييها السابقين - النشر . والدين - يجب أن تكون موضع اهتمام الدعاة فى كل زمان ومكان بدراستها دراسة متخصصة متعمقة فى كل ما يتعلق بها من قريب أو بعيد . مثل - :

أ - دراسة الدعوة بمعنى النشر والتبليغ . وما يتعلق بذلك كله من أصول ومناهج وأساليب ووسائل وغايات .... •

فى ضوء ما حدده القرآن الكريم بقوله سبحانه : - ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال : إننى من المسلمين - (١) •

ويقتضى ذلك دراسة فنون التبليغ بالكلمة المسموعة كالخطابة والحوار والندوة والمحاضرة والدرس والحديث ... الخ •

وبالكلمة المكتوبة كالكتاب والمقال والصحيفة والمجلة ....

وبالصورة المرئية كالمسرحيات والتمثليات . وغير ذلك من فنون التبليغ والإعلام قديما وحديثا •

ب - دراسة الدعوة بمعنى الدين من حيث دراسة أصوله وعقائده وتشريعاته وأخلاقياته وسلوكياته التى تنظم علاقة الإنسان بربه سبحانه وبنفسه وأهله وبالناس أجمعين فى ضوء ما حدده القرآن الكريم بقوله تعالى : لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط (٢) •

جـ - دراسة الدعوة من حيث تاريخها ومراحلها - بكلا معنييها السابقين - سواء أكان ذلك التاريخ بوجه عام من لدن دعوة آدم عليه السلام إلى دعوة

---

(١) سورة فصلت الآية : ٣٣ •

(٢) سورة الحديد الآية : ٢٥ •

خاتمهم محمد ﷺ •

أم كان ذلك التاريخ بوجه خاص من لدن عهد النبي ﷺ إلى الآن •

وذلك لمعرفة المراحل التي ازدهرت فيها الدعوة والأسباب التي أدت إلى هذا الازدهار والاستفادة منها في حياتنا الحاضرة والمستقبلية •

أو المراحل التي ضعفت فيها الدعوة . والأسباب التي أدت إلى ذلك الضعف •لتلافيها والبعد عنها في حياتنا الحاضرة والمستقبلية •

وكل ذلك يكون في ضوء ما حدده القرآن الكريم -- ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم .. - (١) يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم - (٢) •

د - دراسة تاريخ الدعاة ودعواتهم ومناهجهم وأساليبهم وبيئاتهم وسبل تربيتهم للاستفادة من خبراتهم وتجاربهم الدعوية بما يفيدنا في حياتنا الحاضرة والمستقبلية . وذلك في ضوء ما حدده القرآن بقوله تعالى : - أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده - (٣) •

هـ - دراسة مجتمع الدعوة من شموليته لكل إنسان في كل زمان ومكان . والتعامل مع كل إنسان بما يناسبه من المنهج والأسلوب والوسيلة في ضوء ما بينه القرآن الكريم بقوله تعالى : - قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا - (٤)

(١) سورة آل عمران الآية : ٥٠ •

(٢) سورة الأعراف الآية : ١٥٧ •

(٣) سورة الأنعام الاية : ٩٠ •

(٤) سورة الأعراف الآية : ١٥٨ •

قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل - (١) .

مفهوم الدعوة في الاصطلاح العام :

بناء على ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة . والمعاجم اللغوية وتفسيرات العلماء لكلمة الدعوة .

أستطيع أن أعبر عن الدعوة في اصطلاح شمولى عام يندرج فيه كل دعوة أيا كان نوعها . وأيا كان هدفها . بأنها :

كل المحاولات القولية والفعلية - أو النظرية والتطبيقية - التى يحاول بها الداعية إقناع الغير واستمالته نحو أمر ما . حتى يقف منه موقفا إيجابيا أو سلبيا .

مفهوم الدعوة في الاصطلاح الإسلامي :

تعددت التعريفات والمفاهيم التى اصطلح عليها علماء الدعوة الإسلامية حسب وجهة نظر كل منهم حتى إن القارىء قد لا يجد تعريفا واحدا اجتمعوا عليه اجتماعهم على التعاريف العلمية الأخرى المحدودة بالحد أو الرسم (٢) . مما قد يستدل منه عند النظرة الأولى - أو السطحية - على أن الدعوة الإسلامية متشعبة الأهداف . أو أن فيها كثيرا من التباعد والاختلاف . مع أن الدعوة الحق من الإله الحق واحدة لخيرى الدنيا والآخرة . وإن تعدد الدعاة . واختلفت

---

(١) سورة يونس الآية : ١٠٨ .

(٢) الحد هو القول الدال على ماهية الشىء . أو ما يسمى بالتعريف التحليلى . كقولنا - الإنسان حيوان ناطق - والرسم هو القول المؤلف من أعراض الشىء وخواصه التى تخصه جملته بالاجتماع وتساويه . كقولنا - الإنسان حيوان ضاحك - راجع توضيح المنطق القديم د. محى الدين الصافى ص ٤٦ - ٤٧ .

البينات . وتنوعت أساليب الحياة - (١) • والعجيب فى الأمر أن علماء الدعوة الإسلامية . وإن اختلفت اصطلاحاتهم حول الدعوة . وتباينت عباراتهم وأساليبهم . واختلفوا فى ظاهر أمرهم . إلا أنهم يتفقون فى الغاية والهدف •

وقد يكون سبب هذا الاختلاف الظاهرى حول مفهوم الدعوة عند العلماء . هو أن كلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة التى تطلق على الإسلام كدين . وعلى عملية نشره وتبليغه •

الدعوة بمعنى الدين :

ذهب كثير من علماء الدعوة الإسلامية إلى تعريف الدعوة الإسلامية بأنها : الدين الخاتم الذى أنزله الله تعالى على نبينا محمد ﷺ لتنظيم كل شئون الحياة الإنسانية نظريا وعمليا - انطلاقا من أحد معانيها اللغوية - •

ومن ذلك ما ذكره الدكتور محمد الراوى إجابة على تساؤله حول الدعوة الإسلامية : فما هذه الدعوة إذا بعد أن تمت وكملت على يد خاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ ؟ •

يمكننا أن نقول : إنه دين الله تعالى الذى ارتضاه للعالمين تمكينا لخلافتهم وتيسيرا لضرورتهم . ووفاء بحقوقهم . ورعاية لشئونهم . وحماية لوحدتهم . وتكريما لإنسانيتهم . وإشاعة للحق والعدل فيما بينهم •وهى الضوابط الكاملة للسلوك الإنسانى . وتقرير الحقوق والواجبات وهى قبل ذلك وبعده : الاعتراف بالخالق سبحانه . والبر بالمخلوق (٢) •

---

(١) الفلسفة الحديثة فى الميزان د. محمد بن فتح الله بدران ص ٤١٢ •

(٢) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية د. محمد الراوى ص ٤٠ ط ١ مكتبة العبيكان بالرياض ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥م•

ومن ذلك أيضا : ما ذكره الدكتور أحمد غلوش بقوله :

الدعوة الإسلامية هى الدين الذى ارتضاه الله تعالى للعالمين . وأنزل بتعاليمه وحيا على رسوله ﷺ فى القرآن الكريم . وبينها فى السنة النبوية الشريفة (١) .

وعلى هذين التعريفين تكون الدعوة الإسلامية هى :

النظام العام . والقانون الشامل لأمور الحياة . ومناهج السلوك للإنسان التى جاء بها نبينا محمد ﷺ من ربه سبحانه . وأمره بتبليغها إلى الناس . وما يترتب على ذلك من ثواب أو عقاب فى الآخرة (٢) - وهذان التعريفان قد تعاونا فيما بينهما لإعطاء صورة كاملة عن الدعوة الإسلامية كدين شامل لكل جوانب الحياة والكون والإنسان . بل وما بعد هذه الحياة الدنيا من حياة أبدية النعيم أو العذاب الأليم . كما أن هذين التعريفين قد اتحدا فيما بينهما على أن الدعوة الإسلامية هى الدين الخاتم الذى أنزله الله تعالى فى القرآن الكريم . وبينه النبى ﷺ فى سنته الشريفة .

الدعوة بمعنى التبليغ :

يتضح من خلال التعريف اللغوى لكلمة الدعوة . أنها تفيد النداء والطلب والتجمع للمشاركة فى شىء ما .

والمعنى الاصطلاحى هو الذى يحدد المراد من النداء أو الطلب .

فما دام هناك طلب أو نداء . لابد أن يكون هناك طالب أو مناد ينادى غيره أو يطلبه ليبلغه أمراً ما .

لذا فقد اصطلح كثير من علماء الدعوه على أن الدعوة الإسلامية هى :

نشر وتبليغ الإسلام لكل إنسان فى كل زمان ومكان .

(١) الدعوة الإسلامية د. أحمد غلوش ص ١٢ .

(٢) الدعوة الإسلامية د. أحمد غلوش ص ١٣ .

وهى بهذا المعنى : - صارت علما مستقلا له موضوعه . وخصائصه • وأهدافه . وهو بذلك يواكب سائر العلوم الإسلامية يفيدها ويستفيد منها . ويشاركها فى إفادة الإسلام . برسم طريق منهجى يكفل له الذيوع والانتشار (١) •

ومن عرف الدعوة الإسلامية بأنها نشر وتبليغ الدين :

الدكتور عبد الكريم زيدان بقوله : - نقصد بالدعوة : الدعوة إلى الله - قل هذه سبيلى ادعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى - (٢) والمقصود بالدعوة إلى الله الدعوة إلى دينه وهو الإسلام - إن الدين عند الله الإسلام - (٣) الذى جاء به سيدنا محمد ﷺ من ربه سبحانه وتعالى - (٤) لاتباع هديه . وتحكيم منهجه فى الأرض وإفراده سبحانه بالوحدانية والعبادة والطاعة والاستقامة والبراءة من كل ما خالف أمره . وإحقاق ما أحقه . وإبطال ما أبطله . والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله •

أو بعبارة موجزة : - الدعوة إلى الإسلام خالصا متكاملا غير مشوب أو مجزأ - (٥) •

والشيخ على محفوظ . بقوله : - إن الدعوة هى حث الناس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل (٦) •

---

(١) السابق ص ١٠ •

(٢) سورة يوسف الآية : ١٠٨ •

(٣) سورة آل عمران الآية : ١٩ •

(٤) أصول الدعوة د. عبد الكريم زيدان ص ٥ •

(٥) هذه الدعوة ما طبيعتها : عبد الله ناصح علوان ص ٤ •

(٦) هداية المرشدين ص ١٧ •

وهذا يكـون بـترغيبهم فـى الخير ليفعلـوه . وتحذيرهـم مـن الشـر ليتلافـوه . وإنقاذهم مما وقعوا فيه وبيان محاسن الإسلام لغير المسلمين ليدخلوا فيه .

وهذه التعريفات وغيرها تدور حول معنى واحد هو :

تبليغ دين الله . لجميع خلق الله بمنهج الله ورسول الله . على ما يقتضيه حال الداعى . والمدعو . والمدعو إليه .

والدعوة الإسلامية بهذا المعنى أصبحت [علما كسائر العلـوم . لـه قواعـده . وله موضوعه المتعلق بتعليم الدعاة كافة المحاولات الهادفة إلى تبليغ الإسلام (١) .

والمحاولات قولية كالخطبة والدرس والمحاضرة .
أو فعلية كالقدوة والطاعة لدين الله .

وهى فنية لأنها تراعى جانب التطبيـق النظرى . وتلحـظ عمليـات التأثـير فـى نفسية المشاهد والمستمع .

وهى متعددة لأن بعضها متجه إلى العقـل . وبعضهـا الآخـر متجـه إلى العاطفـة والوجدان – ومنها ما يكون مع المسلم وغير المسلم . ومع المثقف والعامى . ومـع الصغير والكبير . ومع الرجل والمـرأة – وهـى هادفـة . وهدفهـا نشـر ديـن الله . وتبليغه إلى الناس أجمعين] (٢) .

فهى منهج متكامل يقوم على بيان الحق والخير وإشـاعته ونشـره بـين النـاس . وكشف وسائل الباطل وأساليبه ومناهجه . بكل ما يستطيعـه الداعيـة من مناهج

---

(١) راجع تعريف الدعوة فى الاصطلاح العام ص ١٤ من هذا البحث .
(٢) الدعوة الإسلامية د. غلوش ص ١ .

وأساليب ووسائل يجمعها قول الله تعالى : - ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن - (١) •

وعلى هذا يتبين : أن الدعوة الإسلامية [ليست صيحة مبهمة أو صرخة غامضة : - إنها برنامج كامل يضم فى أجوائه جميع المعارف التى يحتاج إليها الناس ليبصروا الغاية من محياهم . وليستكشفوا معالم الطريق التى تجمعهم راشدين - (٢) فينتقل الناس على إثرها - من محيط إلى محيط - لأنها : -

[روح الحق فى قلوب المؤمنين التى لا تستقر حتى تؤدى رسالتها إلى كل نفس إنسانية (٣) •

التعريف الراجح :

من خلال التفصيل للتعريفين الاصطلاحيين للدعوة الإسلامية بأنها : الدين . أو بأنها النشر والتبليغ . يتضح أن التعريف القائل بأنها النشر والتبليغ لدين الله تعالى . هو الأقرب إلى القبول لأن الدين بعقائده وشرائعه وأخلاقه نزل على إمام المرسلين والدعاة . فقام بتبليغه والدعوة إليه فور بدء نزوله امتثالا لقول الله تعالى : - يأيها المدثر . قم فأنذر.وربك فكبر وثيابك فطهر.والرجز فاهجر .. (٤) حتى صارت الدعوة برنامج تنفيذ وتطبيق وحياة لكل مبادىء الدين فى الواقع . الذى يعيش فيه الإنسان •

ففى الدعوة حياة الدين وانتشاره . ولولاها ما قام ولا انتشر •

---

(١) سورة النحل الآية : ١٢٥ •

(٢) مع الله دراسة فى الدعوة والدعاة : الشيخ محمد الغزالى ص ١٧ •

(٣) الدعوة إلى الإسلام للسيرترماس وارنولد ص ٢٥ •

(٤) سورة المدثر آية ١ - ٥ •

وفى هذا يقول الشيخ على محفوظ - يرحمه الله - : - ومن أمعن النظر علم أن الدعوة إلى الله تعالى حياة الأديان . وأنه ما قام دين من الأديان . ولا انتشر مذهب من المذاهب . ولا ثبت مبدأ من المبادىء إلا بالدعوة . وما تداعت اركان ملة بعد قيامها . ولا درست رسوم طريقة بعد ارتفاع أعلامها . ولا تلاشت نزعة من النزعات بعد إحكامها . إلا بترك الدعوة .

فالدعوة حياة كل أمر عام تدعى إليه الأمم والشعوب سواء أكان ذلك الأمر حقا أم باطلا] (١) .

هذا بالإضافة إلى أن الدعوة بمعنى النشر والتبليغ : تحتم توضيح الإسلام . وترى ضرورة فهم مزاياه وخصائصه . وتنادى بوجوب الاحاطة بكافة الوسائل التى يتم النشر بها .

ومن هنا فإننا نرى وجوب العناية بعلم الدعوة بهذا المفهوم - النشر والبلاغ - حتى يمكنه أن يساير التطور العلمى لوسائل الإعلام والدعاية . وليصير - بحق - علماً متجدداً على مستوى عقول الناس وأفكارهم (٢) .

إذا : فمفهوم الدعوة غير مفهوم الدين . لأن الدعوة حياة الدين . وهى حركة تبليغه ونشره . وهى إبراز لوجوده كسلوك واقعى محسوس فى حياة الأفراد والمجتمعات .

---

(١) هداية المرشدين ص ١٢ .

(٢) الدعوة الإسلامية : د. غلوش ص ١٢ .

جـ - مركب : وسائل الدعوة :

الوسيلة فى الدعوة . أو الاتصال الدعوى هى : -

القناة الموصلة للغاية .أو الأداة المستخدمة فى نقل المعانى والأفكار للناس(١) •

أو هى : كل ما يستعين به الداعية على تبليغ الدعوة إلى الله تعالى . على نحو نافع مثمر (٢) •

ويفهم من هذين التعريفين أن وسائل الدعوة تعنى : كل المحاولات المعنوية والمادية النظرية والعملية التى يبذلها الداعية للتوصل إلى الكيفية الصحيحة لتطبيق المناهج الدعوية على نفسه وعلى غيره من المدعوين فى الواقع المشاهد •

أهمية الوسائل فى الوصول إلى الأهداف والغايات :

- إن الله تعالى ميز الإنسان على غيره من الكائنات : بأنه كائن ذو هدف وغاية فى حياته . وهذا من تكريم الله تعالى الوارد فى قوله سبحانه - ولقد كرمنا بنى آدم . وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا (٣) •

وهدف الإنسان أو غايته فى هذه الحياة يتمثل فى أمرين أساسيين هما :

أ - عبادة الله تعالى : - وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين (٤) •

---

(١) ركائز الإعلام فى دعوة إبراهيم عليه السلام : د. سيد محمد ساداتى ص ٢٩ •

(٢) أصول الدعوة د. / عبد الكريم زيدان ص ٤٢٩ •

(٣) سورة الإسراء الآية : ٧٠ •

(٤) سورة الذاريات الآيات : ٥٦ - ٥٨ •

ب - عمارة الكون الذى سخره الله تعالى لهذا الإنسان - وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ... الآية (١) .

- هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها (٢) أى جعلكم عمارا تعمرونها وتستغلونها .

- وكل إنسان فى هذه الحياة لــه هدف أو غاية يعمل جاهدا من أجل الوصول إليــه .

- لا يمكن الوصول إلى الهــدف أو الغايــة إلا بوسـيلة معنوية أو مادية تعين عليــه .

وذلك لأن من سنن الله فى خلقه وكونه . أنه ربط الأسباب بالمسببات . وأمر خلقه بالأخذ بالأسباب أو الوسائل المؤدية إلى الأهداف أو الغايات . قال تعالى : - وأتيناه من كل شىء سببا . فأتبع سببا - (٣) .

- يآيها الذين أمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون - (٤) .

أهمية استعمال الوسائل للدعوة والداعية :

- إن الدعوة إلى الله تعالى هــى أشــرف الأعمــال . وهــى سمة المؤمنين الصادقين : - كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر

---

(١) سورة البقرة الآية : ٣٠ .

(٢) سورة هود الآية : ٦١ .

(٣) سورة الكهف الايتان : ٨٤ ، ٨٥ .

(٤) سورة المائدة الآية : ٣٥ .

وتؤمنون با لله ... الآية (١) •

– والمؤمنون والمؤمنات بعضهـــم أوليـــاء بعض يـأمرون بـالمعروف وينهـون عـن المنكر ... الآية (٢) •

– والدعاة إلى ا لله هم أشرف خلق ا لله تعـالى . وهـم اعـرف خلـق ا لله بقـدر ا لله تعالى . وقد شرفت مكانتهم . بشرف دعوتهم . ومن أحسن قولا ممن دعا إلى ا لله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين (٣) •

– كما أن الدعاة إلى ا لله تعـالى . هـــم أولى النـاس بابتغـــاء الوسـائل التـى تزيـد قربهم مـــن ا لله تعالى – إقتـداء بنبينـا محمـد ﷺ حيـث شـرع لـــه ربـه وسـائل القرب إليه منهـــا قيـــام الليل وذكــــره القرآن الكريم : يأيها المزمـل قـم الليـل إلا قليـــلا نصفـــــه أو أنقــــص منـــــه قليــــلا . أو زد عليــــه ورتــــل القـرآن ترتيلا .... (٤) •

وتصل بدعوتهم إلى قلوب وعقول خلق ا لله تعالى . تمشيا مـع سـنن ا لله تعـالى فى ربط الأسباب بالمسببات •

[حيث جعل من سنن الهداية إرسال الرسل الكرام وإنزال الكتب وهو القـادر على أن يهدى الناس جميعا دون هذه الوسائل] (٥) •

---

(١) سورة آل عمران الآية : ١١٠ •

(٢) سورة التوبة الآية : ٧١ •

(٣) سورة فصلت الآية : ٣٣ •

(٤) سورة المزمل الآيات : ١ – ٤ •

(٥) المدخل إلى علم الدعوة : د. محمد أبو الفتح البيانونى ص ٢٨٢ •

قال تعالى : - وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان . ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا . وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم - (١) .

من هنا كان نجاح الدعوة والداعية متوقفا على كمال المناهج الدعوية وصحة أساليبها . وقوة وسائلها .

(١) سورة الشورى الآية : ٥٢ .

الفصل الأول
أنواع الوسائل من حيث المعنوية والمادية

تتنوع الوسائل من هذه الحيثية إلى نوعين هما :

أ - الوسائل المعنوية :

ب - الوسائل المادية :

المبحث الأول
الوسائل المعنوية

مفهومها :

هي جميع الصفات الحميدة . والأخلاق الكريمة . والسمات الطيبة التي يجب على الداعية أن يتحلى بها ليكون له التأثير الإيجابي والفعال في المدعويين •

وهذه الأشياء لا تحس ولا تلمس . وإنما تعرف بآثارها ونتائجها •

أمثلة :

إن الواجب على الداعية أن يتصف ويتحلى بجميع أخلاق الإسلام •

التي جسدها النبي ﷺ في جميع تصرفاته . فيما بينه وبين ربه سبحانه . وفيما بينه وبين نفسه وأهله . وفيما بينه وبين الناس أجمعين . في السر والعلن . بالليل والنهار . في المسجد وخارجه . ومن أبرز الصفات التي يجب أن يتوسل بها الداعية لنجاح دعوته :

أ - صفات تتعلق بشخص الداعية : مثل الصدق . والأمانة . والاستقامة •

ب - صفات تتعلق بعلاقته بالمدعويين : مثل : الإيثار . وحب الخير للناس . والزهد فيما عند الناس •

جـ - صفات تتعلق بعلاقته بالله تعالى - وبالتالى تكون تاجا لجميع الصفات السابقة - مثل : الإخلاص .

المطلب الأول
الصدق

إن الصدق من أول وأهم الوسائل المعنوية التى يجب على الداعية أن يعرف بها ليكون له أكبر الأثر فى مدعويه .

مفهوم الصدق لغة :

الصدق مأخوذ من الفعل الثلاثى - صدق - يصدق - صدقا : أى أخبر بالواقع . - و - فلانا : أنبأه بالصدق . و - الوعد : وفى به . قال تعالى - ولقد صدقكم الله وعده - (١) .

وصدّقه : اعترف بصدقه وحقّقه . قال تعالى : - ولقد صدّق عليهم ابليس ظنه - (٢) .

والصديق : الدائم التصديق . والمبالغ فى الصدق . والذى يصدق قوله بالعمل . قال تعالى - واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا - (٣) والصدق : مطابقة الكلام للواقع بحسب اعتقاد المتكلم : و - الصلبة والشدة . و - الأمر الصالح لا شبة فيه من نقص أو كذب (٤) .

---

(١) سورة آل عمران من الآية : ١٥٢ .

(٢) سورة سبأ من الآية : ٢٠ .

(٣) سورة مريم الآية : ٤١ .

(٤) المعجم الوسيط مادة صدق جـ ١ ص ٥١٠ .

قال تعالى : - وقل رب أدخلني مدخل صدق . وأخرجني مخرج صدق - (١) .

مفهوم الصدق اصطلاحا : - هو الإخبار عن الشيء بحقيقته وتمامه دون تغييرا أو تبديل . مجردا عن دواعي الكراهيه للمخبر عنه (٢) .

أهمية الصدق وضرورته للإنسان بوجه عام :

تبدو أهمية الصدق وضرورته . ومدى حاجة المجتمع الإنساني إليه . حينما نلاحظ أن جميع العلاقات الاجتماعية والمعاملات الإنسانية تعتمد على شرف الكلمة . ومدى مصداقيتها .

فإذا عبرت الكلمة تعبيرا سليما وواضحا عما في نفس قائلها . تجد سبيلها إلى ما تهدف إليه من خير الإنسان في عاجله وآجله .

[وإذا لم تكن الكلمة معبرة تعبيراً صادقاً عما في نفس قائلها . لم نجد وسيلة أخرى كافيةً نعرف فيها إرادات الناس . ونعرف فيها حاجاتهم ونعرف فيها حقيقة أخبارهم .

فلولا الثقة بشرف الكلمة وصدقها . لتفككت معظم الروابط الاجتماعية بين الناس . ويكفي أن نتصور مجتمعاً قائماً على الكذب لندرك مبلغ تفككه . وانعدام صور التعاون بين أفراده] (٣) .

---

(١) سورة الإسراء الآية : ٨٠ .

(٢) وذلك لأن ذكر الحقيقة عن شخص بما يكره تعد غيبة - كما ورد في الحديث الشريف - إلا إذا كان مجاهرا بالمعصية فجهره بها يدل على عدم شعوره بكراهيتها . كما أن في المجاهرة علانية لا تقل عن القول .

(٣) الأخلاق الاسلامية وأسسها : عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني جـ ١ ص ٤٨٥ ط ١ دار القلم . دمشق - بيروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م.

وكيف يكون لمجتمع ما كيان متماسك . وأفراده لا يتعاملون فيما بينهم بالصدق . وكيف لمثل هذا المجتمع رصيد من حضارة أو ثقافة ؟ كيف يوثق بنقل المعارف والعلوم . إذا لم يكن الصدق أحد الأسس الحضارية التى يقوم عليها بناء المجتمع ؟

كيف يوثق بالوعود والعهود ما لم يكن الصدق أحد أسس التعامل بين الناس ؟

كيف يوثق بالدعاوى والشهادات ودلائل الإثبات القولية والفعلية ما لم يكن الصدق أحد أسس التعامل بين الناس ؟

ما مصير مجتمع قائم على الكذب ؟

أليس مصيره التفكك والانحلال . ثم التخلف الحضارى الشنيع . ثم الخراب والدمار ؟

أليس الجهل المخزى أحد سمات هذا المجتمع المنحل ؟ !

أهمية الصدق للمجتمع المؤمن بوجه خاص :

إذا كان الصدق ضرورى للمجتمع الإنسانى بوجه عام . ولا غنى عنه لبنى الإنسان بحال من الأحوال - كما سبق القول -

فإنه يكون أشد ضرورة وألزمها للمجتمع المؤمن بالله تعالى ورسوله ﷺ لأن الصدق أحد مظاهر الإيمان . وأقوى الأدلة على وجوده فى قلب صاحبه . وأنصع البراهين على حيويته وإبراز عطائه . وبلوغ غايته . والوفاء بمتطلباته وفرائضه .

وما من مسلم يرتفع إلى مستوى الصدق ومعطياته - سيما فى قضايا الأمة . وكل ما يتعلق بالحق وشرفه . وواجباته ومصيره - إلا إذا كان ذلك خيرا له . وأوجب ثناء . وأعظم مثوبة . وأجزل أجرا . وذلك لأن الصدق تنشأ منه (جميع منازل السالكين . والطريق الأقوم الذى من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين. وبه تميز المؤمنون من المنافقين . وسكان الجنان من أهل النيران ،وهو

سيف الله في أرضه الذى ما وضع على شيء إلا قطعه . ولا واجه باطلا إلا أراداه وصرعه . ومن صال به لم ترد صولته . ومن نطق به علت على الخصوم كلمته . فهو روح الأعمال . ومحك الأحوال . والحامل على اقتحام الأهوال . والباب الذى دخل منه الواصلون إلى حضرة ذى الجلال . وهو أساس بناء الدين . وعمود فسطاط اليقين . ودرجته تالية لدرجة - النبوة - التى هى أرفع درجات العالمين ... وقد أمر الله تعالى أهل الإيمان أن يكونوا مع الصادقين (١) . فقال سبحانه - يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (٢) •

لذا كان الالتزام بخلق الصدق مهما وضروريا لكل مسلم . لأنه من أهم أخلاق الإسلام . التى ورد الأمر بها فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وسار عليها سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين •

أهمية الصدق للداعية على وجه أخص :

إذا كان خلق الصدق ضروريا - كما سبق القول - للإنسان عموما . وللمسلم خصوصا . فإنه يكون أشد أهمية . وألزم ضرورة للدعاة على وجه أخص - فى جميع أمورهم : القولية والفعلية . الظاهرة والباطنة . مع ربهم سبحانه . ومع أنفسهم وأهليهم . ومع الناس أجمعين •

حتى يكون هذا الصدق سمة لهم . وعلامة عليهم . ويكون فى نفس الوقت من أقوى ما يدلون به على الله تعالى . ويرشدون به عبادة إليه سبحانه . إذ ليس هنا لك ما يمكن أن يعين على استجابة الناس له فى دعوته من أن يرى الناس صدقه فيما يكون عليه حاله ومقاله . سمته وسلوكه . سره وعلانيته •

---

(١) مدارج السالكين جـ ٢ ص ٢٧٩ •

(٢) سورة التوبة الآية : ١١٩ •

وذلك لمكانته السامية بين قومه وبنى جنسه . حيث يُنظرُ اليه على أنه القائد والرائد . واللسان الناطق . والقلب الواعى . والعقل المفكر .

فلابد أن يكون قدوة لهم ليكون له الأثر الأكبر فى الاقناع والتأثير .

الدليل على أهمية الصدق :

يدل على أهمية خلق الصدق للداعية خصوصا . وللمسلم عموما .

= أنه من أفعال الله تعالى . وصفاته . يقول سبحانه : – قل صدق الله . فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا . وما كان من المشركين (١) الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه . ومن أصدق من الله حديثا ؟ (٢) .

= كما أنه من صفات الأنبياء والمرسلين وعباد الله المخلصين : كما فى قوله سبحانه : – يوسف أيها الصديق (٣) .

– فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا . ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا (٤) . واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا (٥) – واذكر فى الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا (٦) واذكر فى الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا (٧)

---

(١) سورة آل عمران الآية : ٩٥ .

(٢) سورة النساء الآية : ٨٧ .

(٣) سوره يوسف الآية : ٤٦ .

(٤) سورة مريم الآيتان : ٤٩ ، ٥٠ .

(٥) سورة مريم الآية : ٤١ .

(٦) سورة مريم الآية : ٥٦ .

(٧) سورة مريم الآية : ٥٤ .

ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبلـه الرسـل وأمـه صديقـة ... (١) -
من المؤمنـين رجـال صدقـوا مـا عـاهدوا ا لله عليـه ... (٢) والـذى جـاء بـالصدق
وصدق بـه أولئك هم المتقون لهم ما يشـاؤن عند ربهم . ذلك جزاء المحسـنين (٣)
(فالذى جاء بالصادق : - هو من شأنُهُ الصدق فى قوله وعمله وحاله) (٤) .

ولما كان الصدق فـى مقدمـة الصفـات التى تقضـى الضـرورة أن يتصـف بهـا
الأنبياء والمرسلون . كان على رأس من اتصف بهـا مـن هـؤلاء الصفـوة : خـاتمهم
وقدوتهم رسول ا لله محمد ﷺ . حيث شهد بذلك أعـداؤه وخصومـه ومخـالفوه -
والحق ما شهدت به الأعداء - وأصبحت تلك الشهادة مسـجلة عليهـم لا سـبيل
إلى جحودها أو إنكارها .

= فقد كان ﷺ يلقب فى الجاهلية بأنه - الصادق الأمين -

= وقالت له السيدة خديجة بنت خويلد : يابن عم إنى قد رغبت فيك لقرابتك فى
قومك وأمانتك وحسن خلقـك . وصـدق حديثـك . ثـم عرضـت عليـه نفسـها .
وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسبا . وأعظمهن شرفا . وأكثرهن مالا .
وكل قومها كان حريصا علـى ذلـك منهـا لـو يقـدر عليـه . فكـانت أول امـرأة
تزوجهـا رسـول ا لله ﷺ . ولم يـتزوج عليهـا غيرهـا حتـى مـاتت رضـى ا لله عنهـا
وأرضاها (٥) .

---

(١) سورة المائدة الآية : ٧٥ .
(٢) سورة الأحزاب الآية : ٢٣ .
(٣) سورة الزمر الآيات : ٣٣ - ٣٤ .
(٤) مدارج السالكين جـ ٢ ص ٢٨١ .
(٥) السيرة النبوية لابن هشام جـ ١ ص ١٨٩ - ١٩٠ بتصرف .

= وهاهو النبى ﷺ يوم أن جاءه الملك وهو فى غار حراء فقال : - اقرأ - قال : ما أنا بقارىء . إلى أن قال له : - اقرأ باسم ربك الذى خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم - (١) .

فرجع إلى خديجة رضى الله عنها وأخبرها الخبر .. فقالت له : كلا . أبشر . فوالله لا يخزيك الله أبدا . والله . إنك لتصل الرحم . وتصدق الحديث . وتحمل الكل . وتكسب المعدوم . وتقرى الضيف . وتعين على نوائب الحق - (٢) .

= وحينما جاءه الإذن من الله تعالى بالجهر بالدعوة (٣) صعد الصفا فجعل ينادى: يا بنى فهر . يابنى عدى ... ـ لبطون قريش ـ حتى اجتمعوا . فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو ؟ فجاء أبو لهب . وقريش .

فقال ﷺ : - أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدِّقىّ ؟ ! قالوا : نعم . ما جربنا عليك إلا صدقا (٤) . قال : فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد . فقال أبو لهب : تبا لك سائر اليوم . ألهذا جمعتنا ؟

---

(١) سورة العلق الآيات : ١ - ٥ .

(٢) السيرة النبوة لابن هشام جـ ١ ص ١٩٢ وصحيح مسلم بشرح النووى جـ ٢ ص ٩٩ - ٢٠١ .

(٣) بقوله تعالى - وقل إنى أنا النذير المبين - فأصدع بما تؤمر - وأنذر عشيرتك الأقربين .

(٤) لقد أراد ﷺ أن يتفق معهم على شرط يكون حجة عليهم قبل أن يبلغهم رسالة الله تعالى . وقد علموا أنه نبى مرسل . وأنه يُكلَّمُ من السماء . فوضع فرضا من الفروض (لو أنه أخبرهم خبرا خطيرا يهدد أمنهم ومستقبل حياتهم . أكانوا مصدقين ؟) .

فأجابوه : نعم . وأكدوا هذه الإجابة الإيجابية بدليل يؤكدها ويقويها . من واقع تاريخه المعروف والمشهور والواضح والمستقر فى قرارة أنفسهم أجمعين .

(ما جربنا عليك إلا صدقا) .

فنزلت - تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ما له وما كسب (١) -

= ولما ساومه المشركون على الدعوة . أرسلوا إليه عتبة بن ربيعة ليعرض على النبي ﷺ أمورا لعله يقبل بعضها فيعطى من أمور الدنيا ما يريد .

فجاء عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ . فقال : يا ابن أخي : إنك منا حيث علمت من البسطة في العشيرة والمكان في النسب وإنك أتيت قومك بأمر عظيم . فرّقت به جماعتهم . وسفّهت به أحلامهم . وعبت به آلهتهم . ودينهم . وكفّرت به من مضى من آبائهم . فاسمع منّي أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . قال : فقال له رسول الله ﷺ : قل يا أبا الوليد أسمع . قال يا ابن أخي : إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا . وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك . وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا . وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الأطباء . وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ...

حتى إذا فرغ عتبة . ورسول الله ﷺ يستمع منه . قال:أفرغت يا أبا الوليد ؟: قال : نعم . قال : فاستمع مني : أفعل . قال : (بسم الله الرحمن الرحيم . حمٓ . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ...) وأخذ ﷺ يقرأ من سورة فصلت حتى انتهى إلى السجدة منها فسجد .

فلما سمع عتبة أنصت لها . وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يستمع منه ثم قال ﷺ : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك . فقام عتبة إلى

---

(١) البخاري : كتاب التفسير باب وأنذر عشيرتك الأقربين جـ ٨ ص ٥٠١ والآيتان من سورة المسد ١-٢،ومسلم كتاب الإيمان باب وأنذر عشيرتك الأقربين جـ٣ ص ١٩٤ .

أصحابه . فقال بعضهم لبعض : فحلف با لله لقد جـاءكم أبـو الوليـد بغـير الوجـه الذى ذهب به . فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال ورائى . أنى سمعت قولا . وا لله ما سمعت مثلـه قط . وا لله . مـا هـو بالسـحر . ولا بالشـعر . ولا بالكهانة . يا معاشر قريش : أطيعونى وأجعلوهـا لى . خلّوا بـين الرجـل وبـين ما هو فيه . فاعتزلوه فو ا لله ليكونن لقوله الذى سمعت نبأ .

فإن نصّبـهُ العرب . فقـد كفيتمـوه بغـيركم . وإن يظهـر علـى العـرب فملكـه ملككم وعزه عزكم . وكنتم أسعد الناس به .

قالوا : سحرك وا لله يا أبا الوليد بلسانه . قال : هذا رأيى فيـه فـاصنعوا مـا بـدا لكـــم .

وفى رواية أخرى أن النبى ﷺ . لما وصل إلى قولـه تعـالى – فـإن أعرضـوا فقـل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمـود – قـال عتبـة : فأمسـكت بغيـه وناشـدته الرحم أن يكف . وقـد علمتـم – يـا معشـر قريـش – أن محمـدا إذا قـال شـيئا لم يكذب . فخشيت أن ينزل بكم العذاب (١) .

= ولما اشتد عناد قريش للنبى ﷺ . وقالوا فى شأنه الكثير والكثير من التهـم التـى لا تليق بالنبى ﷺ . لم يتهموه بالكذب . ولم يشكوا فى صدقه لحظة واحدة .

وذلك لأنهم أعطوه إقرارا جماعيا شهدوا بـه جميعـا يـوم أن دعـاهم وهـو علـى جبل الصفـا .

قال تعالى : – قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون . فـإنهم لا يكذبونـك ولكـن الظالمين بآيات ا لله يجحدون) (٢) .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٩٠ – ٩١ تفسير سورة فصلت .

(٢) سورة الأنعام الآية : ٣٣ .

أى أن المشركين الظالمين رفضوا ما جاء به النبى ﷺ جحودا بآيات الله تعالى التى تشتمل على أدلة أنها من عند الله حقا وصدقا . وهم فى قرارة أنفسهم يعلمون صدق الرسول ﷺ فيما يبلغ من ربه عز وجل .

فاتهامهم له بالكذب قول بأفواههم لم تعتقده قلوبهم . فاحترامهم وتقديرهم لصدقه وأمانته . ما نقص منه شيء فى قرارة نفوسهم . لكنهم جحدوا آيات الله البينات المشتملة على براهين صدق النبى ﷺ .

والجاحد هو المنكر بلسانه لهوى فى نفسه . مع علمه بأن ما أنكره حق .

وهو بخلاف المكذب الذى يعتقد ما يقول . فهو بحاجة إلى مزيد من الآيات حتى يقتنع بصدق الخبر فيؤمن به ولا يظنه كذبا .

فكان موقف المشركين من الرسول ﷺ عبارة عن عناد شخصى لحماية أهداف شخصية .

بدليل : أن كبار المعاندين لما اسلموا كانوا من كبار المجاهدين فى سبيل نشر الدعوة ونصرة الرسول ﷺ .

وأن أولاد كبار المشركين لما آمنوا لم يجدوا للدعوة والداعية فى صحائف عائلاتهم إلا الخير والبر والمودة والمعروف . وإنما الصحائف السود كانت من أفاعيل آبائهم الذين هلكوا على الكفر والضلال والجحود والنكران .

عن على كرم الله وجهه قال : قال أبو جهل للنبى ﷺ :

إنا لا نكذبك . ولكن نكذب ما جئت به . فأنزل الله تعالى - فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون (١) .

---

(١) رواه الحاكم ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه - راجع ابن كثير فى التفسير جـ ١ ص ١٢٩ .

وعن أبي يزيد المدني : أن النبي ﷺ لقي أبا جهل فصافحه . قال له رجل : ألا أراك تصافح هذا الصابيء ؟ فقال : وا لله إني أعلم إنه لنبي . ولكن متى كنا لبني عبد مناف تبعا ؟ وتلا أبو يزيد – فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات ا لله يجحدون – (١) .

– ولما كان يوم غزوة بدر قال الأخنس بن شريق لبني زهرة : إن محمدا ابن أختكم وأنتم أحق من ذب عن ابن اخته . فإنه إن كان نبيا لم تقاتلوه اليوم . وإن كان كاذبا كنتم أحق من كف عن ابن أخته . قفوا حتى ألقى أبا الحكم . فإن غلب محمد رجعتم سالمين . وإن غُلب محمد فإن قومكم لم يصنعوا بكم شيئا – فيومئذ سمي الأخنس . وكان اسمه أبي – فالتقى الأخنس بأبي جهل فخلا به . فقال : يا أبا الحكم أخبرني عن محمد . أصادق هو أم كاذب ؟ . فإنه ليس ههنا من قريش غيري وغيرك يستمع كلامنا . فقال أبو جهل : ويحك ! . وا لله إن محمدً الصادق . وما كذب محمد قط .

ولكن إذا ذهبت بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش ؟ – فذلك قوله تعالى – فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات ا لله يجحدون – فآيات ا لله : محمد ﷺ (٢) إذا القرشيون لم يكذبوا النبي ﷺ في شخصه لأنه عندهم مشهور بالصدق والأمانة منذ طفولته . ولكن كبر عليهم الإيمان بما أوحى إليه !!

= ولما كاتب النبي ﷺ الملوك والرؤساء داخل الجزيرة العربية وخارجها . وصل كتابه إلى هرقل وأبو سفيان بن حرب عنده قبل أن يدخل في الإسلام .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٢٩ .

(٢) السابق جـ ٢ ص ١٣٠ .

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه فى ركب من قريش . وكانوا تجارا بالشام . فأتوه وهم بإيلياء . فدعاهم فى مجلسه وحوله عظماء الروم . ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال : أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبى ؟

فقال أبو سفيان : فقلت : أنا أقربهم نسبا •

فقال هرقل : ادنوه منى . وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره . ثم قال لترجمانه قل لهم : إنى سائل هذا الرجل . فإن كذبنى فكذبوه •

- يقول أبو سفيان : فو الله لولا الحياء من أن يأثروا على كذبا لكذبت عنه - ثم كان أول ما سألنى عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت : هو فينا ذو نسب •

قال : فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟ قلت : لا •

قال : فهل كان من آباته من ملك ؟ قلت : لا •

قال : فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ قلت بل ضعفاؤهم •

قال : أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت بل يزيدون •

قال : فهل يرتد أحد منهم سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا •

قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا •

قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا •

قال : فهل قاتلموه ؟ قلت : نعم •

قال : فكيف كان قتالكم إياه ؟ قلت : الحرب بيننا وبينه سجال . ينال منا . وننال منه •

قال : ماذا يأمركم ؟ قلت : يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول أباؤكم . ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة •

فقال للترجمان : قل له : سألتك عن نسبه . فذكرت أنه فيكم ذو نسب .

فكذلك الرسل تبعث فى نسب قومها .

وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول . فذكرت أن لا . فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتسى بقول قيل قبله .

وسألتك هل كان من أبائه من ملك ؟ . فذكرت أن لا . قلت لو كان من أبائه من ملك . قلت رجل يطلب ملك أبيه .

وسألتك هل كنتم تتهمونه الكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا .

فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله ... الحديث (١) .

– ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتابه الجواب الصحيح رواية الواقدى عن المغيرة بن شعبة – قبل إسلامه – فى خروجه إلى المقوقس عظيم القبط بمصر .مع بنى مالك .

فقال المقوقس : كيف خلصتم إلى من طائفتكم ومحمد وأصحابه بينى وبينكم ؟

قالوا : ألصقنا بالبحر . وقد خضناه على ذلك .

قال : كيف صنعتم فيما دعاكم إليه – يعنى محمدا ﷺ – ؟

قالوا : ما تبعه منا رجل واحد . قال : ولم ذلك ؟

قالوا : جاءنا بدين مجدد لا تدين به الآباء ولا يدين به الملك . ونحن على ما كان عليه آباؤنا .

قال : فكيف صنع قومه ؟ قالوا : تبعه أحداثهم . وقد لاقاه من خالفه من قومه وغيرهم من العرب فى مواطن .مرة تكون عليهم الدائرة . ومرة تكون له .

---

(١) صحيح البخارى جـ ١ ص ٣١ – ٣٢ .

قال : ألا تخبرونى إلى ماذا يدعو ؟ قالوا : يدعونا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له . ونخلع ما كان يعبد أباؤنا . ويدعو إلى الصلاة والزكاة ... ويأمر بصلة الرحم . ووفاء العهد . وتحريم الزنا. والخمر . ولا يأكل مما ذبح لغير الله .

فقال المقوقس : هذا نبى مرسل إلى الناس . ولو أصاب القبط والروم اتبعوه وقد أمرهم بذلك عيسى ابن مريم . وهذا الذى تصفون منه بعث به الأنبياء من قبله وسيكون له العاقبة . حتى لا ينازعه أحد . ويظهر إلى منتهى الخف والحافر ومنقطع البحور ..... .

ثم قال المقوقس : فكيف صدق حديثه ؟ قلنا : ما يسمى إلا الأمين من صدقه . قال : انظروا فى أمركم أترونه يصدق فيما بينكم وبينه ويكذب على الله ؟ ! ... الحديث (١) .

- وقد حرص النبى ﷺ على غرس خلق الصدق فى نفوس أصحابه وأبنائهم حتى كانوا مضرب الأمثال فى الصدق .

فقال ﷺ - عليكم بالصدق . فإن الصدق يهدى إلى البر . وإن البر يهدى إلى الجنة . وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا . وإياكم والكذب . فإن الكذب يهدى إلى الفجور . وإن الفجور يهدى إلى النار . وإن الرجل ليزال يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا - (٢) .

كما قال ﷺ : اضمنوا لى ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة : اصدقوا إذا حدثتم . وأوفوا إذا وعدتم . وأدوا إذا ائتمتم . واحفظوا فروجكم . وغضوا أبصاركم . وكفوا أيديكم (٣) .

---

(١) الجواب الصحيح لابن تيمية جـ ١ ص ٩٨ - ١٠١ .

(٢) البخارى ومسلم والترمذى .

(٣) الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٥٨٧ - ٥٨٨ .

- وقال : - أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا : حفظ أمانة . وصدق حديث . وحسن خليقة . وعفة فى طعمة (١) ،

دواعى الصدق :

هناك أمور كثيرة تدعو الإنسان وتحثه على الالتزام بالصدق ،

وهذه الدواعى فطرية مركوزة فى النفس البشرية ومن أهمها :

١- الدين أو الشرع الإلهى السليم ،

٢- العقل الواعى المستقيم ،

٣- المروءة ،

٤- حب الاشتهار بالصدق ،

= فالعقل يوجب حسن الصدق . وقبح الكذب خاصة إذا لم يؤد الكذب إلى جلب منفعة أو دفع مضرة ،

وكذلك العقل يدعو إلى فعل ما كان مستحسنا . ويمنع من إتيان ما كان مستقبحا . إذا فالصدق من دواعى العقل ومقتضياته ،

= والشرع ورد باتباع الصدق . والتحذير من الكذب . وهو مما يقرره العقل المستقيم إلا إن الشرع يأتى بأمور كثيرة لا يستطيع العقل أن يدرك سرها ،

وقد جاء الشرع بما هو زائد على ما اقتضاه العقل من حظر الكذب ،

لأن الشرع حذر من الكذب وإن جر نفعا أو دفع ضررا . إنما العقل حظر مالا يجلب نفعا ولا يدفع ضررا ،

- وكذلك المروءة أو الخلق الحسن يدفع صاحبه إلى الصدق ويمنعه من الكذب . لأنها تمنعه من فعل ما هو مكروه . ومن باب أولى ما هو قبيح أو حرام ،

---

(١) الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٥٨٩ .

- وكذلك حب الاشتهار بالصدق . فهو يدفع الإنسان إلى الالتزام بالصدق في كل شيء . حتى لا يرد عليه قول . ولا يلحقه ندم (١) .

وكل هذه الدواعي للصدق . لازمة . وكل الدواعي للكذب عارضة .

لأن الصدق يدعو إليه العقل المستقيم والشرع السليم . والكذب يحذر منه العقل والشرع .

لذا كان لزاما على كل مسلم أن يلتزم بالصدق الوارد الأمر به في الشرع الإسلامي الحنيف .

ثمار الصدق وآثاره :

للصدق ثمار كثيرة . وآثار عميقة . تجعل الصادق له تأثيره في كل من حوله من أفراد وجماعات .

ومن أهم ثمار الصدق :

١- أنه سبيل إلى البر والجنة . لقول النبي ﷺ : -

إن الصدق يهدى إلى البر . وإن البر يهدى إلى الجنة . وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا . وإن الكذب يهدى إلى الفجور . وإن الفجور يهدى إلى النار . وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا - (٢) .

٢- إنه سبيل إلى أعلى درجات الجنان . لقوله ﷺ : -

من سأل الله تعالى الشهادة بصدق . بلغة الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه - (٣) .

---

(١) أدب الدنيا والدين : للماوردي ص ٢٣٤ وما بعدها .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث سهل بن حنيف .

٣- إنه سبيل إلى حصول البركة في البيع والشراء وغيرهما من ضروب المعاملات ، لقوله ﷺ - البيعان بالخيار ما لم يتفرقا . فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما . وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما - (١) .

٤- أنه مصدر من مصادر طمأنينة النفس والقلب . لقوله ﷺ : دع ما يريبك إلى مالا يريبك . فإن الصدق طمأنينة . والكذب ريبة (٢) .

٥- يضاف إلى ذلك :

أن المسلم الصادق - وخاصة الداعية إلى الله تعالى - يظهر أثر صدقه في وجهه وصوته ، حتى يعرف بين الناس بصدقه .

فقد كان الرسول ﷺ . يتحدث إلى من لا يعرفه . فيقول : والله ما هو بوجه كذاب . ولا صوت كذاب - (٣) .

ولا شك أن ظهور أثر الصدق في وجه الداعي وصوته يؤثر في المخاطب ويحمله على قبول قول الصادق واحترامه - غالبا -

---

(١) متفق عليه من حديث حكيم بن حزام .

(٢) الترمذي من حديث الحسن بن علي وراجع مدارج السالكين لابن القيم جـ ٢ ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .

(٣) أصول الدعوة : د. عبد الكريم زيدان ص ٣٣٤ - ٣٤٥ .

المطلب الثانى
الأمانة

مفهومها لغة :

الأمانة فى اللغة مصدر من الفعل الثلاثى أمن . أمانة . وأمنا . وأمانا : أى اطمأن ولم يخف . قال تعالى : – فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف – (١) ٠

و – فلانا : وثق به وأطمأن إليه . أو جعله أمينا عليه . قال تعالى : – – هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل ... – الآية (٢) ٠

و – الأمانة : الوفاء. والوديعة (٣) ٠

– إذا : فالأمانة مأخوذة من الأمن . وهو الاطمئنان والثقة . وعدم الخوف ٠

وحين تنعدم أسباب الخوف يحصل الأمان فى النفوس ٠

ولما كان الأمين إنسانا مأمون الجانب . يخشى عدوانه على حقوق غيره كانت ساحته ساحة أمان . ليس فيها أى مثير للخوف على أى شيء : مال . أو عرض . أو حياة .... الخ ٠

لذا سميت الخصلة التى يتحلى بها الأمين على حقوق الآخرين أمانة !!

مفهوم الأمانة فى الاصطلاح :

تعرف الأمانة بأنها :

الاهتمام بحفظ وتأدية كل شيء للغير . مع التعفف عنه . سواء أكان هذا الشيء حسيا أم معنويا ٠

---

(١) سورة قريش الآيات : ٣ – ٤ ٠

(٢) سورة يوسف الآية : ٦٤ ٠

(٣) المعجم الوسيط مادة – أمن – جـ ١ ص ٢٨ ٠

ويظهر لنا من هذا التعريف . أن الأمانة في مفهومها العام والشامل تحتوى على أربعة عناصر أساسية . هى : -

أولا : الاهتمام بحفظ ما استؤمن عليه الأمين من حقوق غيره . وعدم التفريط فيها أو التهاون بشأنها .

ثانيا : تأدية هذه الحقوق حين يطلبها أصحابها .

ثالثا : عفة الأمين عما ليس له بحق .

رابعا : سعى مفهوم الأمانة لكل شيء فى هذه الحياة . وإن الأمانة خلق ثابت فى الفطرة البشرية يعف به الإنسان عما ليس له بحق . وإن تهيأت له ظروف العدوان عليه . دون أن يكون عرضة للإدانة عند الناس .

ولما كانت الأمانة خلق ثابت فى الفطرة البشرية . كانت مرتبطة بمبدأ الحق الثابت أيضا فى الفطرة البشرية . ولما كانت الأمانة مرتبطة بمبدأ الحق . كان من يحب الحق ويؤثره يجد نفسه مدفوعا لأن يكون أمينا على حقوق الآخرين وإن تحركت شهواته ومطامعه للاستيلاء عليها (١) .

أهمية الأمانة للمسلم عموما وللداعية خصوصا :

إن الأمانة بمفهومها الشامل صفة من أهم الصفات الحميدة التى يجب أن يتحلى بها كل مسلم فى جميع أموره الظاهرة والباطنة . مع ربه سبحانه وتعالى . ومع نفسه . ومع غيره من المسلمين والذميين . الأقربين والأبعدين .

وإذا كانت هذه الصفة واجبة على كل مسلم عموما .

فهى أشد وجوبا . للداعية المسلم خصوصا . ليكون قدوة لغيره .

---

(١) الأخلاق الإسلامية . عبد الرحمن حبنكه جـ ١ ص ٥٩٢ ط ١ دار القلم دمشق - بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

وحينما يعرف الداعية بأمانته . يثق فيه المدعو . ويطمئن إليه ويقتنع بدعوته . ويستميل إليها •

الأدلة على أهمية الأمانة :

هناك العديد من الأدلة التي توجب الأمانة على المسلم عموما وعلى الداعية خصوصا . حتى يكون موضع ثقة الناس وتقديرهم •

ومن أهم هذه الأدلة :

= تحلى نبينا محمد ﷺ بهذا الخلق النبيل . قبل النبوة وبعدها . حيث كان يلقب في الجاهلية بأنه - الأمين - بإجماع المجتمع المكى في شتى قبائله وبطونه . يقول ابن هشام : - (وكانت قريش تسمى رسول الله ﷺ قبل أن ينزل عليه الوحى : الأمين) (١) •

وهو ﷺ (أحق العالمين بهذا الإسم . فهو أمين الله تعالى على وحيه ودينه . وهو أمين من في السماء . وأمين من في الأرض . ولهذا كانوا يسمونه قبل النبوة بالأمين) (٢) •

ولم يكن اسماً أو لقبا خاليا من وضعه على محك الأحداث والتجارب فقد اختبرت قريش نفسها في مقدار ما تكنه لهذا الأسم من التقدير والثقة •

فلما اختلفت بطون قريش . واستحكم الخلاف بينها . عندما تم بناء الكعبة ووصل الأمر إلى اشتعال لحرب الضروس بينهم اقترح أمية بن المغيرة - وكان في حينها أسن قريش - فقال : - يا معشر قريش : اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل عليكم . يقضى بينكم فيه . فأقروا رأيه . وراحوا ينتظرون أول

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ١٩٨ •

(٢) زاد المعاد . لابن القيم جـ ١ ص ٢٣ •

داخل . وما كانوا يفكرون في شخصية الداخل . بقدر ما حملهم النزاع على أن ينتهوا من هذا النزاع الذى شحن الجو بدخان الحرب .

فكان الداخل إليهم هو محمد ﷺ .

ولو كان غير محمد ﷺ لاندلعت الفتنة من جديد وربما قامت الحرب . ولكنها كلمة قالوها . وشاء الله تعالى أن تكون حجة عليهم إلى يوم الدين .

فلما دخل محمد ﷺ قالوا : -

- هذا الأمين . رضينا . هذا محمد - (١) .

- هذا الأمين . قد رضينا به - (٢) .

- هذا الأمين . وقد رضينا بما قضى بيننا - (٣) .

- هذا الأمين . قدر رضينا به فحكموه - (٤) .

لقد أبتدأوا بالإشارة إليه باللقب الذى منحوه إياه . ثم أعقبوه باسمه الشريف . ثم ارتضوا أى شيء يحكم به بينهم .

فقد عرفوه عادلا منصفا . لا يدارى ولا يمارى . فأسلموا له القيادة - فلما انتهى إليهم ﷺ وأخبروه الخبر . قال : هلم إليّ ثوبا .

فجيء به . فأخذ الحجر فوضعه فى الثوب بيده الشريفة . ثم قال : لتأخُذ كل قبيلة بجانب من الثوب . ثم ارفعوه جميعا . ففعلوا . حتى إذا بلغوا به موضعه . وضعه هو بيده ﷺ ثم بنى عليه (٥) .

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٢٠٤ .

(٢) الكامل لابن الأثير جـ ٢ ص ٤٥ .

(٣) دلائل النبوة للبيهقى جـ ١ ص ٣٣٤ .

(٤) أخبار مكة . للأزرقى . تحقيق الأستاذ رشدى صالح جـ ١ ص ١٦٤ ط٢ دار الثقافة بمكة المكرمه ١٣٨٥ هـ .

(٥) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٢٠٤ .

وهم بهذا يكونون قد أشهدوا التاريخ على أنفسهم . أن محمدا ﷺ قبل البعثة هو الأمين عليهم فى مدلهمات الأمور •

وبيت القصيد فى هذا الرضا :

أولا : أن أمية بن المغيرة هو الذى اقترح التحكيم لأول داخل . وهو يومئذ أسن قريش كلها . وقبول رجل مثل هذا له وزنه الاجتماعى والتاريخى •

ثانيا : أن المتخاصمين لم يشذ منهم أحد فى قبول التحكيم •

ثالثا : أنهم لم يناقشوا الرسول ﷺ فى تحديد طرف الثوب لكل وكيل قبيلة •

رابعا : أنه ﷺ هو وحده الذى رفع الحجر من الثوب أو من ثوبه ووضعه بيده الشريفة فى موضعه •

- يضاف إلى ذلك :

أن النبى ﷺ كان موضع ثقة القرشيين وتقديرهم إذ كانوا يأتمنونه على ودائعهم لحفظها من التلف أو الضياع . وهم فى ذروة خصومتهم له ﷺ بعد أن حبسوه ثلاثة أعوام فى شعب بنى هاشم وأرادوا قتله كانوا يتركون ودائعهم عنده لتأكدهم أنه الصادق الأمين •

وقد كان نوم على كرم الله وجهه فى فراش النبى ﷺ ليلة الهجرة إلى المدينة المنورة لأمرين أساسيين :

الأول : إيهام المشركين عن خط سير النبى ﷺ فى تلك الليلة حتى لا يلحقوه بأذى •

الثانى : ليخلف النبى ﷺ فى رد الودائع التى كانت عنده لأصحابها . يقول ابن هشام •

أما على رضى الله عنه فإن رسول الله ﷺ - فيما بلغنى - أخبره بخروجه . وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدى عن رسول الله ﷺ الودائع التى كانت عنده لناس . وكان رسول الله ﷺ ليس بمكة أحد عنده شىء يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته ﷺ - (١) .

- وإذا كان هذا هو شأن نبينا محمد ﷺ فى التحلى بخلق الأمانة .

فلا غروا أن يكون هو شأن جميع الأنبياء والمرسلين من قبله عليهم الصلاة والسلام حيث يقص الله تعالى قصص نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام فى سورة الشعراء . ويخبرنا بأن كل رسول منهم قد قال لقومه : - إنى لكم رسول أمين (٢) .

وذلك لأن الأمانة شرط أساسى لاصطفائهم بالرسالة . فلولا أن يكونوا أمناء لما استأمنهم الله تعالى على رسالته لخلقه .

وهذه الصفة لابد أن تكون معروفة لديهم قبل بعثتهم كما هو شأن نبينا محمد ﷺ .

ومن شأن الأمين أن يكون موثوقا به فى نقل الأخبار وتبليغ الرسالات وكذلك أمين الوحى جبريل عليه السلام . وصفه الله تعالى بصفة الأمانة . فى قوله سبحانه - وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل بــه الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين (٣) .

فلولا صفة الأمانة فيه لما حصلت الثقة بما يبلغ عن الله تعالى من شرائع . ولما اصطفاه الله تعالى لحمل رسالاته إلى رسله من البشر !!!

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٤٨٥ . والرسالة المحمدية : السيد سليمان الندوى ص ٧٢ .
(٢) الآيات : ١٠٧ ، ١٢٥ ، ١٤٣ ، ١٦٢ ، ١٧٨ .
(٣) سورة الشعراء الآيات : ١٩٢ - ١٩٤ .

ومن أجل ذلك كله : فرض الإسلام على المسلمين التحلى بخلق الأمانة . فمن كان أمينا . كان مطيعا لربه فى إيمانه وإسلامه فقال تعالى : – إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها – (١) .

وقال ﷺ : – والله لا يؤمن . والله لا يؤمن . والله لا يؤمن . قيل من يا رسول الله ؟ قال : الذى لا يأمن جاره بوائقه – (٢) أى ظلمه وخيانته .

– وقال : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده . والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم (٣) .

وقال : – لا إيمان لمن لا أمانة له . ولا دين لمن لا عهد له – (٤) .

فربط النبى ﷺ فى هذه الأحاديث الأمانة . وكون الإنسان مأمون الجانب . بالإيمان . وجعل عدم الأمانة مؤثرة فى صحة الإيمان .

وجعل الأمانة من أهم صفات المؤمنين بالله ورسوله – والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون (٥) .

لذا كان من اللازم لنجاح الداعية فى دعوته . التمسك بهذا الخلق الفاضل ليكون له تأثيره القوى والفعال فى المدعوين .

مجالات الأمانة :

تتعدد مجالات الأمانة وتتسع دوائرها . نظرا لاتساع مفهومها وشموليته ومن أهم المجالات التى تدخل فيها الأمانة :

---

(١) البخارى ومسلم .

(٢) سورة النساء الآية : ٥٨ .

(٣) الترمذى والنسائى .

(٤) البيهقى فى شعب الإيمان بإسناد حسن عن أنس رضى الله عنه .

(٥) سورة المؤمنون الآية ٨ والمعارج الآية : ٣٢ .

١ - حقوق الله تعالى على الإنسان . كالعبادات المفروضة . والطاعة الواجبة . وكف العبد نفسه مما حرم الله عليه .

لأن العبد المكلف مستأمن على ما وضع الله بين يديه . أو تحت سلطته من أشياء . سواء أكانت داخلة في حدود ذاته أم خارجة عنها . فالحق في كل ذلك هو لله تعالى . وقد أستأمن الله عباده عليها . فأذن لهم بأشياء . وحرم عليهم أشياء . فمن امتثل لأمر الله ورسوله ﷺ واجتنب نواهيهما فهو أمين .

٢ - الأموال : فمن الأمانة العفة عما ليس للإنسان به حق من المال . وتأدية ما عليه من حقوق مالية للآخرين .

وتدخل الأموال في البيوع . والديون . والمواريث . والودائع . والرهون . والعوارى . والوصايا ... الخ .

٣ - الأعراض : فمن الأمانة في الأعراض : العفة عما ليس للإنسان به حق منها . وكف النفس واللسان عن نيل شيء منها بسوء كالزنا والقذف والغيبة والبهتان .... الخ .

٤ - المعارف والعلوم . فمن الأمانة فيها : تأديتها دون تحريف أو تغيير . ونسبة الأقوال إلى أصحابها . وعدم انتحال الإنسان ما لغيره منها .

٥ - الولاية . فمن الأمانة فيها : تأدية الحقوق إلى أهلها . وإسناد الأعمال إلى مستحقيها الأكفياء لها . وحفظ أموال الناس وأجسامهم وأرواحهم وعقولهم من كل ما يؤذيها أو يضرها . وحفظ الدين الذى ارتضاه الله لعباده من التهاون فيه أو نيله بسوء . وحفظ أسرار الدولة . وكل ما ينبغي كتمانه من أن يتسرب إلى الأعداء .... .

٦- **الشهادة :** فمن الأمانة فيها : عدم كتمانها . وتحملها بحسب ما هى عليه فى الواقع . وأدائها دون تغيير أو تحريف أو إيهام •

٧- **القضاء :** ومن الأمانة فيه : إعطاء كل ذى حق حقه . وفق مبدأ العدل الذى أمر به الإسلام الحنيف •

٨- **الأسرار :** وخاصة الأسرار الزوجية - والأمانة فيها كتمانها وعدم إفشائها •

٩- **الرسالات : والأمانة فيها :** تبليغها إلى أهلها كاملة غير منقوصة . ولا مزاد فيها . وفق رغبة الذى حملها . سواء أكانت رسالة لفظية . أم خطية . أم عملية •

١٠ - **السمع والبصر والفؤاد وكل حواس الإنسان :** والأمانة فيها باستخدامها فيما أحل الله وأمر . وبحفظها عن معصية الله تعالى . وبكفها عن العدوان على أصحاب الحقوق .... الخ . إلى غير ذلك من مجالات حسية ومعنوية تشملها الأمانة بمفهومها الشامل •

المطلب الثالث
الاستقامة

مفهومها فى اللغة :

الاستقامة مأخوذة من الفعل الثلاثى - قام - قوم - بمعنى : اعتدل . واستوى .

واستقام على الأمر : دام وثبت (١) .

فالاستقامة مشتقة من مادة : القيام - وفى هذه المادة معنى الثبات والملازمة . وعلى هذا جاء قوله تعالى - إلا ما دمت عليه قائما (٢) - أى ملازما ومحافظا وثابتا ومداوما ومستمرا .

مفهوم الاستقامة فى الاصطلاح :

يتضح لنا من معنى الاستقامة فى اللغة . أنها تعنى :

الإقامة والثبات على المنهج الإسلامى . والمداومة على هديه . والاستمرار فى الالتزام بأحكامه . والوقوف عند حدوده . والاستجابة لأوامره . والانتهاء عن محارمه . ويؤيد هذا :

ما قاله عمر بن الخطاب رضى الله عنه : الاستقامة : أن نستقيم على الأمر والنهى . ولا تروغ روغان الثعالب (٣) .

ومفهوم هذا القول : أن الاستقامة تبعد الإنسان عن التلون والتذبذب . وعن النفاق والرياء . لأن المستقيم قد عرف المنهج المستقيم والتزم به . فآمن

---

(١) المعجم الوسيط ص ٧٦٧ .

(٢) سوره أل عمران من الآية : ٧٥ .

(٣) مدارج السالكين جـ ٢ ص ١٠٩ .

بربـه. ومضى على صراطه المستقيم لا يميل ولا ينحرف !

وفى هذا يقول الإمام ابن القيم :

- فالاستقامة كلمة جامعة . آخذة بمجامع الدين . وهـى القيـام بـين يـدى الله على حقيقة الصدق . والوفاء بالعهد .

وهى تتعلق بالأقوال . والأفعال . والأحوال والنيات .. فهى لله وبالله وعلـى أمر الله (١) .

وإذا كـانت الاسـتقامة اعتـدالا واسـتواء . وحفظـا للحقـوق . والتزامـا بالواجبـات. وتقيدا بالحدود . فإن ضد الاستقامة هو الطغيان وهو مجاوزة الحدود فى كل شىء (٢) .

ويدل على ذلك قول الله تعالى : فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير (٣) .

وفعل الأمر - استقم - فى هذه الآية الكريمة . كلمة جامعـة شـاملة . للأمـور الدينية والدنيوية . القوليـة والفعليـة . الخلقيـة والسـلوكية يـأمر النبـى ﷺ وجميـع أتباعـه فـى كـل زمـان ومكـان بـالاعتدال والاسـتقامة علـى الصـراط المسـتقيم . ويحذرهم من الطغيان والانحراف أو الميل عنه .

- ولا شك فى أن الرسول ﷺ قـد اسـتجاب لهـذا الأمـر الإلهـى . فكـان المثـل الأعلى فى الاستقامة فى جميع الأمور .

وقد اقتدى به أصحابه الكرام وتـابعوهم بإحسـان حتـى حققـوا الاسـتقامة فـى جميع الأمور .

---

(١) مدارج السالكين جـ ١ ص ١١٠ .

(٢) مدارج السالكين جـ ٢ ص ١٠٨ .

(٣) سورة هود الآية : ١١٢ .

- كما أنه شك فى أن الاستقامة على صراط الله تعالى . والالتزام بمنهجه ، والثبات عليه يحقق للإنسان الاستقامة المثالية فى جميع الأمور ،

لأن صراط الله تعالى يتضمن : العقيدة الواضحة المستقيمة التى لا غموض فيها ولا انحراف . ـ قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد . ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد (١) ،

والعقيدة الواضحة المستقيمة تجعل الفكر مستقيما ،

- كما أنه يتضمن : العمل الصالح المستقيم - فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا (٢) - . ويتضمن الخلق والسلوك المستقيم - ،

- وأحسنوا إن الله يحب المحسنين (٣) - ويتضمن : القول المستقيم : وقولوا للناس حسنا (٤) ،

وإذا كانت الاستقامة المثالية . تقتضى الاستقامة والاعتدال فى جميع الأمور الدينية والدنيوية . القولية والفعلية . الخلقية والسلوكية ... فإن تحقيقها قد يكون صعبا وشاقا . ويحتاج إلى جهد وعناء طويل . لا يتأتى إلا لأصحاب العزائم القوية ،

ولهذا فإن الإمام عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال فى تعقيبه على آية - فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير (٥) :

---

(١) سورة الإخلاص كلها ،

(٢) سورة الكهف من الآية ١١٠ ،

(٣) سورة البقرة من الآية : ١٩٥ ،

(٤) سورة البقرة من الآية : ٨٣ ،

(٥) سورة هود الآية : ١١٢ ،

- ما نزلت على رسول الله ﷺ آية أشد ولا أشق عليه من هذه الآية •

وقد روى أن الرسول ﷺ قال : شيبتنى هود وأخواتها (١) •

ومما يذكر عن الإمام القشيرى عن أبى عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا على الشّبوىّ يقول : رأيت النبى ﷺ فى المنام فقلت له : روى عنك قلت : شيبتنى هود . فما الذى شيبك منها ؟

قصص الأنبياء وهلاك الأمم ؟ . فقال : لا . ولكن قوله تعالى : - فاستقم كما أمرت (٢) •

وإذا كان تحقيق الاستقامة أمرا صعبا وشاقا - كما سبق القول - فإنه مع هذا ليس مستحيلا . وإنما يحتاج إلى مجاهدة ومثابرة . واستعانة بالإيمان والصبر والعزيمة القوية . ولا يتقاعس الإنسان عن طلب الاستقامة . بل عليه أن يسعى نحوها بشتى السبل والوسائل التى شرعها الله تعالى . وبين النبى ﷺ كثيرا فيها كما فى قوله : استقيموا . ولن تحصوا . واعلموا أن خيرا أعمالكم الصلاة . ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن (٣) •

ولعل المراد بقوله - ولن تحصوا - أن تحقيق الاستقامة الكاملة ليس أمرا ميسورا يطيقه كل الناس . فلا أقل من السعى نحوها . والقرب منها بما يوصل إليها من السبل والوسائل وفى مقدمتها :

العناية بالقرآن الكريم تلاوة وحفظا وتطبيقا لما فيه من أوامر ونواه وتوجيهات تؤدى بالإنسان إلى الاستقامة فى شتى الأمور . قال تعالى :

---

(١) الترمذى •

(٢) الرسالة القشيرية فى علم التصرف للإمام أبى القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى ص ١٦١ •

(٣) صحيح مسلم •

- إن هو إلا ذكر للعالمين . لمن شاء منكم أن يستقيم (١) .

إذاً . فالمطلوب من العبد . الاستقامة الكاملة - وهي السداد . فإن لم يقدر عليها . فالمقاربة منها . فإن نزل عن المقاربة . فالتفريط والإضاعة .

كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ . قال : سددوا وقاربوا . واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله . قالوا ولا أنت يا رسول الله . قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل (٢) فجمع ﷺ مقامات الدين كلها . فأمر بالاستقامة . وهي السداد . والإصابة في النيات والأقوال والأعمال .

وأخبر ﷺ في حديث آخر أنهم لا يطيقونها - استقيموا ولن تحصوا - فنقلهم إلى المقاربة . وهي أن يقربوا من الاستقامة . بحسب طاقتهم . كالذي يرمي إلى الغرض . فإن لم يصبه يقاربه ومع هذا فأخبرهم : أن الاستقامة والمقاربة لا تنجي يوم القيامة . فلا يركن أحد على عمله . ولا يعجب به . ولا يرى أن نجاته به . بل نجاته برحمة الله وعفوه وفضله (٣) .

أهمية الاستقامة :

إن استقامة المسلم على منهج الله تعالى والتزامه به في كل الأمور . يجعله مثالا واقعيا . للإنسان المثالي .

وهذا المثال الواقعي قد يكون مثالا حسيا مشاهدا ملموسا يقتدى به .

---

(١) سورة التكوير الآيتان : ٢٧ - ٢٨ .

(٢) صحيح مسلم كتاب صفات المنافقين وأحكامهم . باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله جـ ٤ ص ٢١٧٠ .

(٣) مدارج السالكين جـ ٢ ص ١٠٩ - ١١٠ .

وقد يكون مثالا حاضرا فى الذهن بأخباره وسيره . وصورة مرسومة فى النفس بما أثر عنه من سير وقصص وأنباء قولية وفعلية يقتدى بها ٠

وهذا المثال قد يكون للأفراد على صفة أفراد مثاليين ممتازين يقتدى بهم ، وقد يكون للجماعات على صفة جماعات مثالية ممتازة يقتدى بها ٠

وسبب تأثيرا المستقيم – فردا أو جماعة – فى غيره يرجع إلى عدة عوامل أساسية من أهمها :

١ – إن القدوة الحسنة تحتل فى المجتمعات الإنسانية مرتبة من المجد لا يحظى بها غيرها . وهذه المرتبة محفوفة بالتقدير الكبير من الناس – أفرادا وجماعات – ومحفوفة بالثناء والإطراء والإعجاب ٠

وكل هذا يولد فى المحروم – فردا أو جماعة – من هذا المجد حوافز قوية لتقليد القدوة الحسنة . ومحاكاتها فى أخلاقها وسلوكها . وعن طريق التقليد فى الفضائل . تكتسب الفضائل . لأن الممارسة التقليدية تتحول إلى عادة متمكنة . وهذه العادة المتمكنة تتحول إلى خلق مكتسب (١) ٠

وقد يقال :

إن المثالى . أو القدوة الحسنة – فردا أو مجموعة – قد ضعف تأثيره فى المجتمع الذى يعيش فيه بسبب الانحراف الخطير فى مجتمعه :

فنقول : إن هذا القول – وإن كان حقا إلى حد ما . إلا أن بعض الناس الذين يتمتعون بقدر كاف من الحكمة . وتقدير الأمور حق قدرها ٠

يظل المستقيم أو المثالى أو القدوة الحسنة فى نظرهم ذا تأثير فعال على قلوبهم وعقولهم . وله مكانته المرموقة فى أعينهم ٠

والدليل على ذلك أنه فى أشد المجتمعات البشرية انحرافا .

---

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها : عبد الرحمن حبنكه جـ ١ ص ٢٠٣ بتصرف ٠

يوجد المثاليون أو القدوات الحسنة المؤثرة فى بعض الأفراد أو المجموعات . وإن كانت نسبة التأثير العام تضعف لا محالة بسبب انحراف المجتمع !!

٢- إن المستقيم أو المثالى المترقى فى درجات الكمال . يثير فى نفس العاقل البصير قدرا كبيرا من الاستحسان والإعجاب والتقدير والمحبة . ومع هذه الأمور . تتهيج لديه دوافع الغيرة .

فإن كان عنده فى الأصل ميل إلى الخير . وتطلع إلى مراتب الكمال وليس فى نفسه عقبات تصده عن ذلك .

أخذ يحاول تقليد ما استحسنه وأعجب به . بما تولد لديه من حوافز قوية تحفزه لأن يعمل مثله . حتى يحتل درجة الكمال التى رآه يحتلها .

٣- إن المستقيم أو المثال أو القدوة الحسنة المتحلى بالفضائل . الممتازة . يعطى الآخرين قناعة بأن بلوغ هذه الفضائل من الأمور الممكنة التى هى فى متناول القدرات الإنسانية . وشاهد الحال . أقوى من شاهد المقال .

فمن المشاهد فى مجال التربية : أن كثيرا من الناس يرون بعض الأمور مستحيلة الوقوع . لأنهم لم يعالجوا قدراتهم للقيام بها .

فإذا شاهدوا غيرهم يفعلها . أخذوا يطوعون قدراتهم حتى يكسبوها المهارات المطلوبة لذلك العمل . بالمعالجة والمحاكاة والتدريب .

ويقوى الميل إلى المحاكاة والتقليد . إذا كان من اتجهت إليه الأنظار قد فرض احترامه وتقديره وحبه !! (١) .

موقف الإسلام من المثالية أو القدوة الحسنة :

نظرا الإسلام الحنيف إلى المثالية أو القدوة الحسنة نظرة فى غاية الأهمية . حيث

---

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها : عبد الرحمن حبنكه جـ ١ ص ٢٠٤ بتصرف .

جعلها وسيلة من أهم وسائله لترقية الأفراد والمجتمعات فـي سـلم الكمـال الخلقـي والسلوكي .

ووجه القرآن الريم بصراحة تامة إلى القدوة الحسنة . فقـال تعـالى : - أولئـك الذين هدى الله فبهداهم اقتده .... (١) .

لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة . لمن كـان يرجـو الله واليـوم الآخـر وذكر الله كثيرا (٢) .

ففي الآية الأولى يخاطب الله تعالى عبده ورسوله محمدا ﷺ : - أولئك - يعنـي الأنبياء المذكورين مع من أضيف إليهم من الآباء والذرية والأخوان . وهم الأشـباه - الذين هدى الله - أي هم أهل الهدى لا غـيرهم - فبهداهـم اقتـده - أي اقتـد واتبع .

وإذا كان هذا أمرا للرسول ﷺ . فأمته تبع له فيما يشرعه ويأمرهم به (٣) .

وفي الآية الثانية يأمر الله تعالى المؤمنين في كل زمان ومكان أن يقتـدوا بـالنبي ﷺ في جميع أمورهم الدينية والدنيوية يقول الحافظ ابن كثير :

هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسـي برسـول الله ﷺ . فـي أقوالـه وأفعالـه وأحواله .

ولهذا أمر تبارك وتعالى النـاس بالتأسي بـالنبي ﷺ يـوم الأحـزاب فـي صـبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته . وانتظاره الفرج من ربه عز وجل (٤) .

---

(١) سورة الأنعام الآية : ٩٠ .

(٢) سورة الأحزاب الآية : ٢١ .

(٣) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير جـ ٢ ص ١٥٥ .

(٤) السابق جـ ٣ ص ٤٧٤ .

فهو خير قدوة يقتدى بهـا الأفراد والمجتمعات الطامحون لبلوغ الكمال الإنسانى .

وإذا كان لنا فى رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة .

قلنا كذلك فى الذين آمنوا معه وصدقوا وأخلصوا واستقاموا -- من الصحابة الكرام . وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين . القدوة الأسوة الحسنة التى يقتدى بها الأفراد والمجتمعات .

ولئن انتقل النبى ﷺ إلى جوار ربه راضيا مرضيا . فإن سيرته التى تحتوى على كل صغيرة وكبيرة من حركاته وسكناته وصفاته الخلقية والخلقية ماثلة لنا فى كتب السنة والسيرة .

وكذلك كتب التراجم والتواريخ لأصحابه الكرام فيها ما يكفى لتجسيد القدوة الحسنة للمجتمع المسلم .

وكذلك مجتمع المسلمين فى كل زمان ومكان من بعد عصر النبى وصحابته لا يخلو من وجود طائفة من أمة محمد ﷺ تصلح لأن تكون قدوة حسنة ومثالا يحتذى - قلت هذه الطائفة أو كثرت - فقد بشر رسول الله ﷺ بذلك فى قوله .

لاتزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم . حتى يقاتل أخرهم المسيح الدجال (١) .

- لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة (٢) .

- لا يزال من أمتى أمة قائمة بأمر الله . لا يضرهم من خذلهم . ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك (٣) .

---

(١) أبو داود عن عمران بن حصين .

(٢) مسلم عن جابر .

(٣) البخارى ومسلم عن معاوية .

إذا لا يخلو أى عصر ولا - مصر من وجود طائفة صالحة تمثل المثال الأعلى أو القدوة الحسنة للأفراد والجماعات •

أهمية الاستقامة للداعية :

إن استقامة الداعية على ما يدعو إليه .من أهم الوسائل المؤدية إلى نجاحه وتاثيره في مدعويه •

وذلك لأن الناس ينظرون إليه على أنه نموذج حى لما يدعو إليه •ويتأثرون بسلوكه أكثر مما يتأثرون بكلماته •

هب أنك بين يدى عالم بارع . أو خطيب مفوه . أو متحدث لبق . يحاضر الناس عن أضرار التدخين . وقد دعم محاضرته بكل الأساليب العلمية التى تثبت أضرار التدخين . وتظهر آثاره السيئة . وأحضر النماذج والأدلة الملموسة التى توضح ذلك . وتدل على صدق ما يقول •

واجتمع الناس عليه يسمعون فى دهشة لما دعم به محاضرته وقد ملكت عليهم المحاضرة قلوبهم . واستولى بحديثه على نفوسهم وعقولهم ومشاعرهم •

وبينما الناس مشدودون غليه لقوة حديثه . وتأثير بيانه . أخرج سيجارة من جيبه وأشعلها على مرأى من الحاضرين . ماذا تكون النتيجة ؟! أيُصدّقُ الناسُ ما يسمعون . ويكذبون ما يشاهدون إن هذه السيجارة قد أفسدت كل ما دبجه . وأفقدت القيمة الحقيقية لكل ما حبره وزينه !!

لا شك أن حديثه مع حلاوته وطلاوته لا يمكن أن يتجاوز المقاعد التى كانوا يشغلونها •

ولكن صورته وهو ممسك بسجارته لن تفارق أذهانهم . وستظل معهم يتفكهون بها . ويتندرون بالحديث عنها بكل من يلقون !!

إنه بذلك قد كذب نفسه . وكأن السجارة التي بيده تصرخ في الناس قائلة لا تصدقوه : إذ لو كان صادقا في قوله . ما كذب في فعله (١) - إذا سلوك الداعية هو الصورة الحية العملية لدعوته . يراها الناس في سكونه وحركته . ووقوفه ومشيته . وبكائه وضحكته .

والقدوة العملية تصيب من القلوب . أكثر مما تصيب الكلمة مهما كانت طيبة وجدية ومؤثرة . وقد حدث مثل هذا مع رسول الله ﷺ حين أمر أصحابه بعد صلح الحديبية أن ينحروا هديهم . ويحلقوا رؤوسهم . يقول الإمام ابن القيم :

لما فرغ من قضية الكتاب . قال رسول الله ﷺ : قوموا فانحروا . ثم احلقوا . فو الله ما قام منهم رجل واحد . حتى قال ثلاث مرات . فلما لم يقم منهم أحد . قام فدخل على أم سلمة - رضى الله عنها - فذكر لها ما لقي من الناس .

فقالت أم سلمة : يا رسول الله . أتحب ذلك ؟

أخرج .ثم لا تكلم أحداً كلمةً حتى تنحر بدنتك . وتدعو حالقك فيحلقك .

فقام ﷺ . فخرج . فلم يكلم أحداً منهم . حتى فعل ذلك - نحر بدنته . ودعا حالقه فحلقه - فلما رأى الناس ذلك . قاموا فنحروا . وجعل بعضهم يحلق بعضا . حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما (٢) .

---

(١) هذا يشبه ما يقوله علماء النفس والتربية : إن الولد مهما كان استعداده للخير عظيما . ومهما كانت فطرته نقية سليمة . فإنه لا يستجيب لمبادىء الخير . وأصول التربية . الفاضلة ما لم ير المربى فى ذروة الأخلاق . وقمة المثل والقيم ... فمن السهل على المربى أن يلقن الولد منهجا من مناهج التربية . ولكن من الصعوبة بمكان أن يستجيب الولد لهذا المنهج حين يرى من يشرف على تربيته ويقوم عل توجيهه غير ملتزم بهذا المنهج . غير مطبق لأصوله ومبادئه - القدوة الصالحة .أخلاق قرآنية.ونماذج ربانية.حسنى أدهم جرار ص١٣-١٤ ط١ سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م دار الضياء للنشر والتوزيع عمان الأردن .

(٢) زاد المعاد جـ ٢ ص ١٣٩ .

فنلاحظ فى هذه الحادثة أن رسول الله ﷺ – وهو مـن هـو ؟ : أمر الصحابة بالنحر ثم الحلق . فلـم يستجب أحـد – وهـم مـن هـم ؟ !! رضـوان الله عليهـم أجمعين – ولم يفعل أحد منهم شيئا مما دعاهم إليه ٠

فلما أخبر السيدة أم سلمة أشارت عليه بالعمل بـدل القـول . ولم يكـد رسـول الله ﷺ يخرج إلى القوم ويفعل ما يجب أن يفعل . حتى بادر الصحابة الكرام بفعـل ما امتنعوا عن فعله حين كلمهم ﷺ ٠

وهكذا نرى أن القدوة العمليـة تؤثر فـى النـاس مـع الصمـت أكـثر مما تؤثـر الخطب البليغة والعبارات المنمقـة ٠

(فعلى الدعاة أن يكونوا عمليـين أكـثر منهـم قوالـين حتـى تثمـر دعوتهـم . وتؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ٠

وعليهم أن يجعلوا بيوتهم يؤمها القاصدون . فيجدون فيها الإسلام حيا يتحـرك ممثلا فى الزوجة والأولاد . والآباء والأحفاد . والخدم والأتباع ٠

وعليهم أن يعلموا أن أى تقصير فى تطبيق ما يدعون إليه يجعلهم عرضة للقيـل والقال . والسخرية والاحتقار . ثم لا يكون لدعوتهم أى أثر فى القلوب) (١) ٠

ويؤكد هذا :

أن انتشار الإسلام فى كثير بلدان العالم المعمور كان بالسيرة الطيبة للمسلمين . وبقدوتهم العملية . وتجسيدهم الحقيقى لتعاليم الإسلام السمحة تلك الأمور التـى كانت تجلب أنظار غير المسلمين . وتحملهم على اعتناق الإسـلام فـالقدوة الحسـنة التى يحققها الداعية بسيرته الطيبة هى فى الحقيقة دعـوة عملية للإسلام يستدل بها

---

(١) أسس الدعوة وآداب الدعـاة : د. محمـد السـيد الوكيـل ص ٧٣ – ٧٥ ط دار الطباعة والنشر الإسلامية بالقاهرة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م٠

غير المسلم على حقيقة الإسلام . وأنه الدين الحق . مـن عنـد الإلـه الحق سبحانه وتعالى .

ومن الشواهد على أهمية الاستقامة . أو السيرة الطيبـة للداعيـة . وأثرهـا فـى تصديقه والإيمان به . وبدعوته .

أن السيده خديجة أم المؤمنين رضى الله عنهـا : عندمـا أخبرهـا الرسـول ﷺ بما حدث له فى غار حراء قالت له :

– أبشر . والله لا يخزيك الله أبدا . أنـك لتصـل الرحـم . وتصـدق الحديـث . وتحمل الكل . وتعين على نوائب الدهر .... (١) .

وأخذت تعدد كثيرا من الأوصاف والأخلاق التى كانت ملموسة فيـه ﷺ طيلة حياته . إيمانا منها به . وتصديقا له . وإعانة له على الحق الذى جاء به من عند الله عز وجل .

مكانة الاستقامة وفضلها :

للاستقامة مكانة مرموقة فى الإسلام . وفضل عظيـم فـى مـيزان الأخـلاق التـى ينبغى على المسلم عموما . والداعية خصوصا أن يتحلى بها .

لأنها من أمهات الفضائل التى تتضمن كثيرا مـن مكـارم الأخـلاق التـى حـض عليها الإسلام .

فمن يتحلـى بالاستقامـة لا يظلـم . ولا يكـذب . ولا يخون . ولا يغـش . ولا يخدع . ولا يسرق . ولا ينافق .... الخ .

لأن الاستقامة تجعلـه يحاسب نفسـه.ويراقب ربـه.ويلـتزم صراطـه المسـتقيم . فتكون استقامته نورا يسعى بين يديه . فيهديـه الطريـق . وروحا تجرى فى حياته .

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ ١ ص ١٩٣ .

فتدفعه إلى فعل الخيرات وترك المنكرات !!

ولهذا . فقد جاء فى نصوص الإسلام الحنيف الأمر بالتحلى بهذا الخلق فى جميع الأمور الظاهرة والباطنة مع الله تعالى . ومع النفس والأهل . ومع الناس أجمعين . ففى القرآن الكريم يأمر الله تعالى النبى ﷺ وكل أتباعه بالاستقامة فى أكثر من آية . منها :

- فاستقم كما أمرت . ومن تاب معك ولاتطغوا إنه بما تعملون بصير (١) .

- فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم (٢) .

- قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد . فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين (٣) .

- وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه (٤) .

وفى السنة النبوية الشريفة كثير من الأحاديث التى تأمر المسلم بالاستقامة . منها : ما رواه الإمام مسلم عن سفيان بن عبد الله الثقفى رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله : قل لى فى الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك . قال : قل : أمنت بالله . فاستقم (٥) .

وما رواه أيضا عن ثوبان عن النبى ﷺ قال : استقيموا ولن تحصوا . واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة . ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن (٦) .

(١) سورة هود الآية : ١١٢ .

(٢) سورة الشورى الآية : ١٥ .

(٣) سورة فصلت الآية : ٦ .

(٤) سورة الجن الآية : ١٦ .

(٥) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب جامع أوصاف الإسلام جـ ٢ ص ٩ .

(٦) السابق .

أسس الاستقامة :

تقوم الاستقامة فى الإسلام على أساس متين يتمثل :

الإيمان با لله تعالى . ثم الاقتداء بالنبى ﷺ فى كل شىء .

- ولا ريب فى أن أساس الاستقامة فى الإسلام هو الإيمان با لله تعالى . وإفراده بالعبادة . وإخلاص النية له . وهذا كله :

[يجعل النفس تشرق بالحكمة . وتنطق بالحق وتعمل به . وتكون المعاملة الحسنة مع الناس . ويكون السلوك المستقيم] (١) ٠

فالمؤمن المستقيم ثابت على طريق الإيمان والتوحيد . دائم فى إخلاص العبادة لربه سبحانه . ملازم طريقه لا يحيد عنه إلى سواه . مهتدبا فى ذلك بقوله سبحانه : – وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه . ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله . ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون (٢) ٠

وسبيل الهداية لهذا الطريق المستقيم . هو الإيمان با لله وحده لا شريك له قال تعالى – وإن ا لله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم (٣) ٠

وعلى آية حال فإن العلاقة وثيقة بين الإيمان والاستقامة ٠

فمن عمر الإيمان قلبه وأشرق نور اليقين فى نفسه . لابد وأن يستقيم على منهج ا لله . وأن تسقيم جوارحه .لأن من صلح قلبه استقامت جوارحه.ولعل هذا هو ما يفهم من إجابة الصديق رضى ا لله عنه لما سئل عن الاستقامة فقال : أن لا تشرك با لله شيئا . يريد الاستقامة على محض التوحيد (٤) ٠

(١) الإسلام ومكارم الأخلاق : أبو زهره ص ١٦ ط دار الكتاب العربى بالقاهرة ٠

(٢) سورة الأنعام : ١٥٣ ٠

(٣) سورة الحج الاية : ٥٤ ٠

(٤) مدارج السالكين جـ ٢ ص ١٠٨ ٠

ومن استقام على محض التوحيد الصادق الذى يدين بـه الصّدّيـق . اسـتقام فـى كل شئونه القولية والفعلية . السرية والعلنية على الصراط المستقيم •

– وكذلك لا ريب أيضا فى أن أساس الاستقامة فى الإسـلام هـو الاقتـداء بـالنبى ﷺ – لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليـوم الآخـر وذكر الله كثيرا (١) •

وذلك ليكون المسلم عموما والداعية خصوصا عنصـرا فعـالا . وقـدوة حسـنة فى أخلاقه وسلوكـه . فتجتمـع حولـه القلوب . وتقتنـع بـه العقـول . وتسـمع منه الآذان •

– ولا يتحقق هذان الأساسان للاستقامة فى الداعية المسلم إلا إذا كـان متـأثرا بما يدعو إليه حتى يؤثر فى المدعو •

فلا يأتى التأثير إلا بعد التأثر . ولا يأتى الإقناع إلا بعد الاقتناع •

إذ الداعية داعية بحاله ومقاله . بهيئته وكلامه . بسمته وسلوكه •

فلا يخالف بين حاله ومقاله . أو بين فعله وقوله •

أضرار مخالفة القول للفعل :

إن مخالفة الداعية بين قوله وفعله . عنوان تناقضه وعدم استقامته علـى صـراط الله المستقيم •

ويوم أن يحدث هذا التناقض فى الداعية يتحقق عليه بعض الأمور :

أولا : يتحقق فشله فى دعوته . وعدم تأثيره فى مدعويه . وكأنى بهم يقولـون : لو كان صادقا لفعل ما يقول !!

---

(١) سورة الأحزاب الآية : ٢١ •

ثانيـا : يتحقق عليه غضب الله تعالى ومقته . قال تعـالى : يأيها الذيـن آمنـوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون (١) .

- أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون (٢) .

وروى الإمام مسلم عن أسامة بن زيد رضـى الله عنهمـا قـال : سمعت رسـول اللهﷺ يقول : يؤتى بالرجل يوم القيامة . فيلقى فى النار فتندلق أقتابـه (٣) فيـدور بها كما يدور الحمار فى الرحى . فيجتمع إليـه أهـل النـار . فيقولـون : يـافلان : مالك ؟ ألم تك تأمر بالمعروف وتنهى عـن المنكـر ؟ . فيقول : بلـى : كنـت آمـر بالمعروف ولا آتيه . وأنهى عن المنكر وآتيه (٤) .

وقال الشاعر الحكيم :

يا أيها الرجـل المعلـم غـيـره ∴ هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا ∴ كيما يصح به وأنت سقيم .

لأنـه عـن خلـق وتأتـى مثلـه ∴ عار عليك إذا فعلت عظيم

إبدأ بنفسـك فانهـا عـن غيهـا ∴ فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يسمـع ما تقـول ويقتـدى ∴ بالقول منك وينفع التعليم

أراك تلقـح بالرشـاد عقولنـا ∴ نصحا وأنت من الرشاد عديم(٥)

لذا كان من الضرورى لنجاح الداعية المسلم . أن يكون قدوة حسنة .

---

(١) سورة الصف الآية : ٢ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٤٤ .

(٣) تندلق أقتابه : تخرج أمعاؤه .

(٤) صحيح مسلم كتاب الفتن باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله جـ ١٨ ص ١١٨ .

(٥) انظر البيان والتبيين : للجاحظ جـ ١ ص ١١١ وجامع بيان العلم وفضله لابـن عبـد البر جـ ١ ص ١٩٦ ودرء تعارض العقل والنقل لابن تيمية جـ ٩ ص ٢٢ - ٢٣ .

مستقيما على المنهج الإسلامى الصحيح . غير مخالف بين القول والفعل .

ثمار الاستقامة :

نظرا لما تقتضيه الاستقامة من جهد ومشقة وعناء . حتى يتحقق الإنسان بها .

ونظرا لما للاستقامة من مكانة وفضل فقد جعل الله تعالى للمستقمين ثواب عظيما . إذ الثواب على قدر المشقة . وقد بين القرآن الكريم هذا الثواب العظيم الذى أعده للمستقمين . ومنه :

- أن الملائكة تنزل عليهم لتخرهم ألا يخافوا مما هو آت . ولا يحزنوا على ما فات . ولتبشرهم بدخول الجنة . ولتطمئنهم بأن الله يتولاهم فى الدنيا والآخرة . وأنه سينعم عليهم بما تشتهيه أنفسهم فى جنات النعيم . قال تعالى : إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عايهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا . وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون .. نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة . ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون . نزلا من غفور رحيم (١) - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون . أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون (٢) .

- ومنه كذلك أن الله تعالى يفتح للمستقمين أبواب الرزق والإنعام عليهم فى الدنيا .

بلا حدود . ومن ذلك قوله تعالى : وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه (٣) - وهذا الماء كناية عن الإنعام وسعة الرزق (٤) .

(١) سورة فصلت الآيات : ٣٠ - ٣٢ .

(٢) سورة الأحقاف الآيتان : ١٣ - ١٤ .

(٣) سورة الجن الآية : ١٦ .

(٤) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٤٣١ .

- ومن ثمرات الاستقامة كذلك : أن المستقيم يصل إلى أعلى درجات الكرامة في الدنيا والآخرة .

يقول الإمام ابن القيم : سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : أعظم الكرامة . لزوم الاستقامة (١) .

وذلك لأن من لازم الاستقامة يكون كريما على نفسه إذ لم يقبل لها أن تنحط إلى دركات المعصية أو الانحراف .

ويكون كذلك كريما على ربه سبحانه وتعالى . لأن الله تعالى يختص برحمته ونعمه من يستقيمون على منهجه . ويخلصون أعمالهم وأقوالهم وأحوالهم لوجه ربهم سبحانه . من المسلمين الصادقين والعلماء المخلصين . والدعاة المربين .

- ومن ثمرات الاستقامة كذلك : قبول قول الداعية . والاقتداء بفعله . فيكون له من الأجر مثل أجور من اتبعه في قوله أو فعله .

إذاً فليحرص المسلم عموماً . والداعية خصوصاً على تحقيق الاستقامة . والالتزام بالمنهج الإسلامي الصحيح حتى يكون قدوة في قوله وفعله .

---

(١) مدارج السالكين جـ ٢ ص ١١٠ .

المطلب الرابع
الإيثـــار

الإيثار هــو : تقديم الغير على النفس . وتفضيله عليها وعلى مطالبها . وحاجاتها . تقول : آثر فلان فلانا : أى اختاره وقدمه . وتقول آثرت أن أقول الحق : أى فضلت أن أقوله . وقدمتـه على غيره . قال تعالى عن يوسف عليه السلام وما قاله أخوته فى حقه : تا لله لقد أثرك ا لله علينا (١) ٠

وفى المعجم الوسيط : آثر : اختار وفضل . يقال : أثره على نفسه : فضلـــه .

قال تعالى : ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (٢) ٠

وآثر الشيء بالشيء : خصه به ٠

الإيثار : تفضيل المرء غيره على نفسه – مج –

الإيثارية [عند علماء الأخلاق] : مذهب يعارض الأثرة . ويرمى إلى تفضيل خير الآخرين على الخير الشخصى – وعند [علماء النفس] : اتجاه اهتمام الإنسان . وميول الحب فيه نحو غيره ، وقبل ذاته سواء أكان هذا عن فطرة . أم عن اكتساب – مج – (٣) ٠

مفهوم الإيثار فى الاصطلاح :

هو حب الخير وتقديمه للغير أكثر من النفس ٠

---

(١) سورة يوسف من الآية : ٩١ ٠

(٢) سورة الحشر الآية : ٩ ٠

(٣) المعجم الوسيط مادة : أثر جـ ١ ص ٢٨ ٠

وهذا الخلق الحميد . والسلوك المثالى . لا يتحلى به إلا أصحاب العزائم القوية التى امتلآت نفوسهم بالإيمان العميق . واليقين الصادق الذين يستطيعون مجاهدة أنفسهم . ومقاومة ما طبعت عليه من أنانية وحرص وحب للذات .

ولذا قال الإمام القرطبى فى تعريفه للإيثار : هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية . رغبة فى الحظوظ الدينية . وذلك ينشأ عن قوة اليقين . وتوكيد المحبة . والصبر على المشقة (١) - وقال الإمام ابن القيم : الإيثار : أن يؤثر الإنسان غيره بالشيء مع حاجته إليه .

وعكسه الأثرة . وهى : استئثاره عن أخيه بما هو محتاج إليه . وهى المرتبة التى قال فيها رسول الله ﷺ للأنصار رضى الله تعالى عنهم : إنكم ستلقون بعدى أثرة. فاصبروا حتى تلقونى على الحوض .

والأنصار هم الذين وصفهم الله تعالى بالإيثار فى قوله سبحانه : ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (٢) .

فوصفهم بأعلى مراتب السخاء . وكان ذلك فيهم معروفا (٣) .

فتأمل سر التقدير . حيث قدّر الحكيم الخبير سبحانه . استئثار الناس بالدنيا على الأنصار - وهم أهل الإيثار - ليجازيهم على إيثارهم إخوانهم فى الدنيا على نفوسهم بالمنازل العالية فى جنات عدن على الناس . فتظهر حينئذ فضيلة إيثارهم ودرجته . ويغبطهم من استأثر عليهم بالدنيا أعظم غبطة فإذا رأيت الناس يستأثرون عليك - مع كونك من أهل الإيثار - فاعلم أنه لخير يراد بك (٤) .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم جـ ٢٨ ص ١٣٥ .

(٢) سورة الحشر الآية : ٩ .

(٣) مدارج السالكين جـ ٢ ص ٢٢٤ ط مكتبة الإيمان بالمنصورة .

(٤) السابق جـ ٢ ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

الفرق بين الإيثار والأثرة :

إن الإيثار بذل وعطاء مصحوب بالحب والتفضيل للآخرين . طوعا واختيارا •

أما الأثرة تقتير وإمساك مصحوب بالأنانية وحب الذات . طوعا واختيارا •

فمن يتصف بالإيثار يترك ما هو محتاج إليه لغيره •

ومن يتصف بالأثرة حريص على ما ليس بيده . فإذا صار بيده ازداد حرصا عليه . وبخل به على غيره . وقد يبخل به على نفسه وأهله •

وهذا البخل نتيجة الشح . والشح نتيجة الأنانية وحب الذات . قال ﷺ : إياكم والشح . فإن الشح أهلك من كان قبلكم أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا . وأمرهم بالفجور ففجروا (١) •

وقال ﷺ : اتقوا الظلم . فإن الظلم ظلمات يوم القيامة . واتقوا الشح . فإن الشح أهلك من كان قبلكم . حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم (٢) •

أهمية الإيثار للمسلم عموما وللداعية خصوصا :

إن الإيثار من أهم الوسائل التي تزيد قرب المسلم من الله تعالى . ومن عباده وذلك لأن المتصف بها : هو الذي يتغلب على هوى نفسه . ويملك مقاليدها . ويطوعها إلى عمل الخير والسعي في تحقيقه . وينزل الآخرين منزلة نفسه . بل ويقدمهم عليها (٣) •

---

(١) أبو داود والحاكم . والترغيب والترهيب للمنذرى جـ ٣ ص ٢٤٦ •

(٢) رواه مسلم والترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٢٤٥ - ٢٤٦ •

(٣) وسائل الدعوة : د. محمد إبراهيم الجيوشي ص ٣٤ ط ٣ سنة ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م القاهرة •

وإذا كان هذا هو حال المسلم عموما . فإنه للداعية ألزم واشد ضرورة . لأنه قدوة لغيره .

نماذج وأدلة :

لقد كان النبى ﷺ المثل الأعلى للبشرية جمعاء فى الإيثار . حتى إنه كان يجوع ليشبع غيره . حتى قالت السيدة عائشة رضى الله عنها :

ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا . ولو شئنا لشبعنا . ولكننا كنا نؤثر على أنفسنا (١) .

فقد كانت حياة رسول الله ﷺ تطبيقا عمليا للإيثار . يفيض على الناس بما عنده . وإن لم يكن عنده شيء حاضر طلب إلى سائله أن ينتظر حتى يأتيه ما يعطيه منه . وكانت تأتيه الأموال فيقسمها جميعها ولا يبقى لنفسه شيئا يستأثر به دونهم (٢) .. وكان يعطى عطاء من لا يحسب حسابا للفقر ولا يخشاه . ثقة بعظيم فضل الله تعالى . وإيمانا بأن الله هو الرزاق ذو الفضل العظيم . حتى قال ﷺ - لو كان لى مثل أحد ذهبا لسرنى أن لا يمر على ثلاث ليال وعندى منه شيء : إلا شيء أرصده لدين (٣) حتى يأتى صاحب الدين ليأخذه .

وهذا القول النبوى الشريف يقدم النموذج الأمثل . والتطبيق الحى لإيثاره ﷺ خاصة حينما نلحظه فى عطاءاته الفعلية مطبقا لهذا القول الشريف .

وقال جابر رضى الله عنه : ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط فقال : لا (٤) - وقال أنس رضى الله عنه : ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئا إلا أعطاه :

---

(١) الترغيب والترهيب جـ ٤ ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٢) وسائل الدعوة ص ٣٤ - ٣٥ .

(٣) البخارى عن أبى هريرة .

(٤) البخارى ومسلم .

فجاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين . فرجع إلى قومه . فقال يا قوم أسلموا فإن محمدا يعطى عطاء لا يخشى الفاقة وإن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا . فما يلبث إلا يسيرا حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما فيها (١) •

وقال جبير بن مطعم : بينما هو يسير مع رسول الله ﷺ مقفلة من حنين (٢) •

فعلقت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة (٣) فخطفت رداءه فوقف النبى ﷺ فقال : أعطونى ردائى لوكان لى عدد هذه العضاة (٤) نعم لقسمته بينكم - ولا أبقى لنفسى منه شيئا - ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا (٥) •

وعن سهل بن سعد أن امرأة جاءت النبى ﷺ ببردة منسوجة فقالت نسجتها بيدى لأكسوكها . فأخذها النبى ﷺ - محتاجا إليها - فخرج إلينا وإنها إزاره •

فقال فلان : أكسنيها . ما أحسنها ! فقال : نعم . فجلس النبى ﷺ فى المجلس ثم رجع فطواها . ثم أرسل بها إليه . فقال له القوم : ما أحسنت . لبسها النبى ﷺ محتاجا إليها . ثم سألته وعلمت أنه لا يرد سائلا . فقال : إنى والله ما سألته لألبسها . وإنما سألته لتكون كفنى •

قال سهل : فكانت كفنه (٦) •

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قسم رسول الله ﷺ قسما .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الفضائل . باب ما سئل ﷺ شيئا قط فقال لا . وكثرة عطائه جـ ٤ ص ١٨٠٦ •

(٢) حين رجوعه من غزوة حنين •

(٣) شجرة من شجر السمر •

(٤) اسم يطلق على أصناف كثيرة من الشجر •

(٥) البخارى •

(٦) البخارى •

فقلت يا رسول الله لغير هؤلاء كانوا أحق به منهم . فقال : إنهم خيرونى بين أن يسألونى بالفحش فأعطيهم . أو يبخلونى .ولست بباخل (١) .

الحكمة من إيثار النبى ﷺ :

لقد كان إيثار النبى ﷺ . وبذله وسخاؤه حكم بالغة . وأهداف سامية . وأغراض نبيلة . تدور حول :

= ابتغاء مرضاة الله تعالى . وترغيبا للناس فى الإسلام . وتأليفا لقلوبهم على الإسلام .

وحينما كان أحد هؤلاء يدخل فى الإسلام بهذه الوسيلة . ربما كان يدخل من أجل حرصه على هذا العطاء الدنيوى أولا :

ثم لا يلبث إلا يسيرا – بفضل الله تعالى . ثم بفضل النبى ﷺ . ونور الإسلام – حتى ينشرح صدره للإسلام . ويتعلق قلبه بالإيمان تعلقا صادقا .

فيكون حينئذ أحب إليه من الدنيا وما فيها (٢) – وتهون الدنيا وما فيها على نفسه . فينظر إلى الوسيلة التى حببته فى الإسلام – الإيثار أو العطاء – نظر العاقل البصير .

فلا يرها إلا كما يرى راكب السيارة سيارته بعد أن توصله إلى قصر عظيم . أنها لا تعادل بالنسبة إلى القصر إلا شيئاً قليلاً حقيراً .

وقياساً على هذا الإيثار النبوى الشريف . نرى أنه من المستحسن ، فى وسائل التربية وطرق الدعوة إلى الله تعالى : أن نجلب الشباب إلى الخير والالتزام بمبادىء الإسلام الحنيف . برياضة يحبونها . أو رحلة يسرون بها . أو دعوة كريمة

---

(١) مسلم .

(٢) انظر النووى على مسلم جـ ١٥ ص ٧٢ كما هو الحال فى حديث أنس رضى الله عنه .

إلى طعام أو شراب . أو هدية محبوبة أو طرفة مسلية . أو نحو ذلك مما تميل إليه النفوس من مباحات . وقد تغدو مثل هذه الوسائل من واجبات الداعي أو المربي المسلم . خاصة حينما يتخذها الأعداء وسائل للصد عن الإسلام . ولجلب الشباب واستدراجهم إلى مواقع الشر والرذائل .

فمن الملاحظ أن دعاة الشر والفساد لا يتركون وسيلة من الوسائل التي تميل إليها النفوس إلا ويستخدمونها لجلب الشباب واستدراجهم إلى الشر . وهم يمهدون لها كل الطرق . ويبعدون عنها كل العقبات . حتى تكون مصايد يصيدون بها ذوي النفوس الضعيفة .

إنهم يستخدمون المال . والشهوات . ومطامع الجاه والمنصب وملذات العين والسمع وغيرهما من الحواس . والرياضات والرحلات والأغاني والأفلام والتمثيليات والكتب والمجلات والقصص ... الخ .

وباستطاعة الداعية أو المربي المسلم أن يستخدم من هذه الوسائل ما كان منها مباحا لا يتعارض مع الإسلام .

ولما كان بذل المال أقوى وسيلة تجلب الناس في عصر النبي ﷺ فقد ركز عليه ﷺ في مواطن كثيرة من وسائله الدعوية والتربوية العملية . وقد أعطى رسول الله ﷺ بعض الناس مع أن غيرهم أحق بالعطاء منهم كما جاء في حديث عمر برواية مسلم السابق الذكر .

خوفا عليهم من أن تسوء حالهم أمام ثورة المطامع التي التهبت نيرانها فيهم .

فقال ﷺ - إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه خشية أن يكب في النار على وجهه (١) .

---

(١) البخاري كتاب الزكاة باب قوله تعالى - لا يسألون الناس إلحافا جـ ٣ ص ٣٤٠ ومسلم كتاب الزكاة باب إعطاء من يخاف على إيمانه جـ ٣ ص ٧٣٣ .

ولذلك كان ﷺ - يعطى رجالا من قريش المائة من الإبل (١) .

= ومن الحكم البالغة للإيثار والعطاء - أنه يشيع فى المجتمع روح التعاون والتراحم . لأنه نوع من البر الذى حث عليه القرآن الكريم - وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان (٢) .

= كما أنه ينشر فى المجتمع روح المودة والتعاطف . ويجعل المسلمين كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر .

لأن المؤثر يقف مع أخيه فى حاجته . ويفرج عنه كربته - من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته . ومن فرج عن مسلم كربة . فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة . ومن ستر مسلما ستره يوم القيامة (٣) .

= كما أن الإيثار يؤلف بين القلوب . ويزيل الضغائن من الصدور حتى قيل :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ∴ طالما استعبد الإنسان إحسان

وقيل : بالإحسان يرتبط الإنسان - وقيل : جود الرجل يحببه إلى أضداده وبخله يبغضه إلى أولاده -

= وتجدر الإشارة إلى أن الإيثار والسخاء لو انتشر فى المجتمع لاختفت كثير من العداوات والسرقات والجرائم والأحقاد .

فحرى بالمسلمين عموما . والدعاة خصوصا . دعم هذا الخلق . وتثبيته فى المجتمع بشتى السبل والوسائل حتى يشيع التراحم فى النفوس .

فلو تراحم الناس ما كان بينهم جائع ولا عار . ولا مغبون ولا مهضوم . ولا حاقد ولا سارق . ولاسائل ولا محرم !!

---

(١) البخارى كتاب فرض الخمس باب ما كان النبى ﷺ يعطى المؤلفة قلوبهم جـ٦ص٢٤٩ .

(٢) سورة المائدة الآية : ٣ .

(٣) البخارى ومسلم والترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٢٥١ .

إيثار الصحابة الكرام رضى الله عنهم أجمعين :

اقتدى الصحابة الكرام برسول الله ﷺ فى كرمه وإيثاره حتى ضربوا أروع الأمثلة فى الإيثار . وقد مدحهم الله تعالى فى القرآن الكريم بقوله : للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا . وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون (١) •

ذكر المفسرون فى نزول هذه الآية أن المهاجرين نزلوا بعد الهجرة فى دور الأنصار الذين رحبوا بهم . وأعطوهم من أموالهم وأشركوهم فى ديارهم •

فلما غنم ﷺ أموال بنى النضير .دعا الأنصار وشكرهم مع إخوانهم المهاجرين . من إنزالهم . وإشراكهم فى أموالهم . ثم قال لهم : إن أحببتم قسمت ما أفاء الله على من بنى النضير بينكم وبينهم . وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى فى مساكنكم وأموالكم . وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دياركم •

فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ رضى الله عنهما : بل تقسمه بين المهاجرين ويكونون فى دورنا كما كانوا . ونادت الأنصار قائلة : رضينا وسلمنا يارسول الله فقال ﷺ : اللهم أرحم الأنصار . وأبناء الأنصار •

وأعطى المهاجرين . ولم يعط الأنصار – فنزلت الآية الكريمة (٢) •

---

(١) سورة الحشر الآيتان : ٨ ، ٩ •

(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم . للقرطبى جـ ١٠ ص ٦٧٤٧ ط دار الغد بالقاهرة ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م•

وعـن أبـى هريـرة رضـى الله عنه قال : أتى رجل لرسـول الله ﷺ . فقـال يا رسول الله : أصابنى الجهد . فأرسل إلى نسائه . فلم يجـد عندهـن شيئا . فقـال النبى ﷺ : - ألا رجل يضيف هذا الليلة رحمه الله !

فقام رجل من الأنصـار - هو أبو طلحة الأنصارى رضى الله عنه - فقـال . أنا يا رسول الله . فذهـب إلى أهلـه . فقال لامرأته : هذا ضيـف رسـول الله ﷺ لا تدخريه شـيئا . فقـالت : والله مـا عنـدى إلا قـوت الصبيـة . قـال : فـإذا أراد الصبية العشـاء فنوميهـم وتعـالى . فأطفـىء السـراج . ونطـوى بطوننـا الليلـة . ففعلت .

ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ .

فقال : لقد عجب الله - عز وجل - أوضحك من فلان وفلانة .

وأنزل الله تعالى :

- ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (١) .

ومن هذا الإيثار : تصدق أبى بكر الصديق رضى الله عنه بجميع ماله . فقال له رسول الله ﷺ : ما أبقيت لأهلك ؟ فقال رضى الله عنه : أبقيت لهم الله ورسـوله (٢) ومنه : إيثار عمر بنصف ماله . وإيثاره لأعرابى بقميصه .

فقد جاءه أعرابى قائلا :

يا عمر الخير جزيت الجنـة ∴ أكس بناتى وأمهنـه

وكن لنا من الزمان جنـة ∴ أقسم بالله لتفعلنـه

---

(١) البخارى جـ ٦ ص ١٧٥ ط الحلبى بمصـر ١٩٧٥ ، وانظـر تفسـير ابن كثير جـ ٤ ص ٣٣٨ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٣٣٨ .

فقال عمر رضى الله عنه : فإن لم أفعل يكون ماذا ؟ قال :

إذن أبا حفص لأهبنـه

فقال : فإذا ذهبت يكون ماذا ؟ . فقـال :

يكون عن حالى لتسألنه ∴ يوم تكون الأعطيات هنة

وموقف المسئول بينهنـه ∴ إما إلى نار وإما إلى جنـة

فبكى عمر رضى الله عنه . ثم قال : يا غلام أعطه قميصى هذا لذلك اليـوم . لا لشعر . أما والله لا أملك غيره (١) •

ومنه : تجهيز عثمان بن عفان رضى الله عنه لجيش العسـرة •

ومنه : اشتراك الأشعريين فيما عندهم إذا قل طعام عيالهم •

عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن الأشعريين إذا أرملوا فى الغزو . أو قل طعام عيالهم بالمدينة . جمعوا ما كان عندهم فـى ثـوب واحد . ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية . فهم منى . وأنا . منهم (٢) •

ومنه أيضا : أنه أهدى إلى رجل من الصحابة رضى الله عنهم رأس شـاة . فقال : إن أخى أحوج إليه منى . فبعث بـه إلى آخر . فبعث بـه هـذا إلى ثـالث . وهكذا حتى تداولته سبعة بيوت . فرجـع إلى الأول (٣) – فـنزلت الآيـة – ويؤثرون على أنفسهم –

ومنه أيضا : الماء الذى عرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك . كل منهـم يأمر بدفعه إلى صاحبه وهـو جريح مثقل أحوج ما يكون إلى الماء . حتى ماتوا عن

---

(١) أدب الدنيا والدين : الماوردى ص ١٧٦ •

(٢) البخارى ومسلم •

(٣) مختصر منهـاج القاصدين : ابن قدامة المقدسى ص ٢٠٦ وتفسير القرطبى جـ ١٠ ص ٦٧٤٩ •

آخرهم . ولم يشربه أحد منهم .

عن حذيفة العدوى رضى الله عنه قال: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى .

ومعى شيء من ماء . وأنا أقول : إن كان به رمق سقيته . ومسحت به على وجهه . فإذا أنا به . فقلت : أسقيك ؟ . فأشار إلى أن نعم .

ثم سمع رجلا أخر يردد : آه . آه . فأشار ابن عمى إلى أن انطلق به إليه . فجئته . فإذا هو هشام بن العاص . فقلت : أسقيك ؟ فسمع به آخر . فردد : آه . آه . فأشار هشام : انطلق به إليه . فجئته فإذا هو مات . فرجعت إلى هشام . فوجدته قد مات . فرجعت إلى ابن عمى فإذا هو قد مات - رضى الله عنهم أجمعين (١) .

إيثار التابعين بإحسان :

سلك كثير من الناس مسلك النبى ﷺ وصحابته الكرام فى الإيثار حتى كانوا مضرب الأمثال . ومن ذلك :

ما ذكره عبد الله بن جعفر أنه خرج إلى ضيعة له . فنزل على نخل لقوم فيها غلام أسود يعمل فيها . إذ أتى الغلام بقوته . فدخل الحائط كلب . فدنا من الغلام . فرمى إليه قرصا فأكله . ثم رمى إليه قرصا آخر فأكله . ثم رمى إليه ثالثا فأكله . وعبد الله بن جعفر ينظر إليه .

فقال : يا غلام : كم قوتك كل يوم ؟! قال: ما رأيت . قال : فلم آثرت به هذا الكلب ؟ .. قال : هذه الأرض ما هى بأرض كلاب . وهذا الكلب جاء من مسافة بعيدة جائعا . فكرهت رده : قال : فما أنت صانع ؟ قال : أطوى يومى هذا . فقال عبد الله بن جعفر : ألام على السخاء وهذا أسخى منى ؟ . فاشترى

---

(١) فتح البارى بشرح البخارى : للحافظ ابن حجر جـ ٦ ص ١٧٧ ط الحلبى بمصر ١٩٥٩ ، وابن كثير جـ ٤ ص ٣٣٨ .

الحائط وما فيه من الآلات . واشترى الغلام وأعتقه ووهب له الحائط بما فيه (١) ٠

هذه أمثلة رائعة فــي الإيثار . نؤكد أنه فضيلة سامية وخلــق فـاضل . ومحمـدة عالية . يتحلى بها الأخيار الأبرار من عباد الله تعالى . فما أجدرنا أن نعمل بها ٠

وإن لم نستطع أن تكون من أهل الإيثار . فلا أقـل مـن أن نحـارب فـي أنفسـنا رذيلة الأثرة والأنانية ٠

المطلب الخامس
حب الخير للناس

هو تمنى الخير وحبه للغير . كتمنيه وحبه للنفس ٠

الفرق بينه وبين الإيثار :

فى الإيثار يجد الداعية الشيء الذى يمكن أن يؤثر به المدعو عند الحاجة إليه ٠

أما فى حب الخير للناس : لا يملك الداعية ما يجود به علـى المدعـو أو يؤثـره بـه عند الحاجة إليه ٠

فيكون دوره هنا : أن يسعى جاهــدا – قـــدر المستطـــاع – فى ســبيل تحقيـق ما يحتاجه المدعو ٠

ويدلنا على ذلك : ما رواه الإمام مسلم عن جرير بـن عبـد الله البجلـى قـال : كنا فى صدر النهار عند رسول الله ﷺ .فجاء قوم عراة (٢) . مجتابى النمار (٣) أو العباء . متقلدى السيوف . عامتهم مـن مضـر . بل كلهم من مضر . فتمعر وجه

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ص ٢٠٦ ٠

(٢) عراة . جمع عار . وهو من خلقت ثيابه ٠

(٣) مجتابى النمار : أى مقطعى الثياب . والنمـار جمـع نمـرة . وهـى بـردة مـن صـوف يلبسـها الأعراب . مخططة تشبه جلد النمر ٠

رسول الله ﷺ (١) . لما رأى بهم من الفاقة (٢) . فدخل ثم خرج . فأمر بلالا . فأذن وأقام (٣) . فصلى ، ثم خطب فقال : يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها . وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام . إن الله كان عليكم رقيبا (٤) – يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون (٥) .

– تصدق رجل من ديناره . من درهمه . من ثوبه . من صاع بره . من صاع تمره . حتى قال : ولو بشق تمرة .

قال : فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها . بل قد عجزت .

قال : ثم تتابع الناس . حتى رأيت كومين من طعام وثياب . حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل (٦) كأنه مذهبه (٧) .

فقال : رسول الله ﷺ : من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها . وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء .

ومن سن فى الإسلام سنة سيئة . كان عليه وزرها . ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء (٨) .

---

(١) تمعر وجه رسول الله ﷺ : أى تغير لونه شفقة عليهم . وتألما لفقرهم .

(٢) الفاقة : الفقر والحاجة .

(٣) يبدو أنها كانت صلاة الظهر .

(٤) سورة النساء الآية : ١ .

(٥) سورة الحشر الآية : ١٨ .

(٦) يتهلل : أى يستنير ويتلألأ .

(٧) كأنه مذهبه : أى كأنه فضة مموهة بالذهب .

(٨) صحيح مسلم .

وبالتأمل البسيط فى هذا الحديث الشريف نجد أن إنسانية النبى ﷺ الكاملة . ورحمته العظيمة . وشفقته الكريمة بهؤلاء المضريين البؤساء . الذين قدموا عليه بأثوابهم المقطعة . وجوعهم الظاهر . وفاقتهم التى تبعث الألم فى قلوب الرحماء •

إن إنسانية الرسول ﷺ الكاملة لم تمر على مشهد فاقة القوم . المضريين مرور أكثر الناس الذين تبلد حسهم الإنسانى . فلا يجدون انفعالا وجدانيا نحو ذوى الحاجة . يدفعهم لمواساتهم ورفع الضر عنهم •

ولكن إنسانيته الكاملة ﷺ . قد انفعلت لهذا المشهد انفعالا بالغا . ظهر فى :

تلون وجه النبى ﷺ رحمة بهم •

ثم فى دخوله ﷺ إلى بيته لعله يجد عنده ما يواسيهم به •

ثم باهتمامه البالغ بهم الأمر الذى دعاه إلى جمع الناس . وحثهم بنفسه – فى خطبه مؤثرة – على مواساة هؤلاء القوم ذوى الفاقة (٢) •

وهو ما دفع المسلمين إلى أن يساهموا بمعوناتهم . حتى تكون كومان من طعام وثياب بين يدى الرسول ﷺ . قبل أن ينفض الجمع عقب صلاة الظهر علىْ ما يظهر – والله أعلم – •

ألا فليتخذ الدعاة والقادة وعظماء الناس . هذا الإنسان الكامل ذا الخلق العظيم ﷺ أسوة حسنة . به يقتدون . وبهديه يسترشدون . لأنه من سياق هذا الحديث الشريف يتبين لنا ما كان يتحلى به الرسول ﷺ من خلق الرحمة والمشاركة الوجدانية • وما كان يتحلى به من جود نفسى عظيم •

---

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها : عبد الرحمن حبنكه جـ ٢ ص ٦٢٠ •

فالجواد إذا لم يجد ما يبذله أو يواسى به غيره من ذوى الحاجة . بلغ الألم من نفسه مبلغا كبيرا . ولا يسرى عنه هذا الألم .إلا أن يجد الباذلين قد قاموا بما كان يريد القيام به .

ولا يشعر بالسعادة حتى يرى ذوى الحاجة والبؤس قد مسحت على صدورهم يد السعادة بتفريج الكرب وإزالة البؤس (١) .

ويتمثل هذا كله فى أن الرسول ﷺ يخطب المسلمين بنفسه ويتحمل بنفسه مهمة الجباية لهؤلاء الفقراء .

وكان منهج النبى ﷺ فى الدعوة لمساعدة هؤلاء الفقراء منهج بارع بالغ اللطف والرقة . والحكمة والكياسة .

- فقد جاء بأسلوب الخبر لا بأسلوب الأمر - تصدق رجل ... -

- وبأسلوب التنكير والإبهام لا بأسلوب الخطاب والتصريح - رجل -

- وجاء التوجيه للبذل فى حدود اليسر والاستطاعة . حتى لا يعتذر منهم معتذر بأنه لا كثير عنده ينفق منه .

وحتى لا يخجل مقل منهم بما يقدم من قليل عطاء .

- وبإجاز رائع أرشد وحث . وبلغ الغاية .

واستجابة لهذه الدعوة الكريمة الرفيقة الرقيقة إلى البذل والعطاء . تسابق المسلمون إلى تقديم ما جادت به أنفسهم .

فقد علمهم النبى ﷺ كيف تكون العاطفة الأخوية . والرحمة الإنسانية والمشاركة الوجدانية . وكيف ينبغى أن تكون أخلاق المسلمين تجاه إخوانهم المسلمين - وخاصة ذوى الحاجة .

---

(١) السابق حـ ٢ ص ٦٢٠ .

ويدل على كمال إنسانية الرسول ﷺ مشهده وقد امتلأ قلبه سرورا وابتهاجا حتى طفح فظهر على وجهه تهللا وإشراقا . وبشرا . حينما رأى عطايا الصدقة تترابى بين يديه . لسد حاجة هؤلاء الفقراء المعوزين . الذين قدموا إليه بائيسن •

ثم لم ينس النبى ﷺ التنويه بفضل أول من بادر من المسلمين إلى تقديم صدقته . فسن بسبقه إلى البذل سنة حسنة تبعه فيها غيره •

وانتهز ﷺ هذه المناسبة لإعلان مبدأ هام من مبادىء الإسلام وأصل عظيم من أصوله . فقال : من سن فى الإسلام سنة حسنة ، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء •

ومن سن فى الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء •

وفى هذا التنويه أعلان لأصل من أصول المحاسبة والجزاء •

وهو المحاسبة على العمل . وعلى آثار العمل خيرا كان أو شرا ؟ ! (١) •

مجالات حب الخير للغير :

تتنوع مجالات حب الخير بتنوع مواطن الخير التى يحبها الإنسان لنفسه . ومن أهم هذه المواطن :

١- المال وكل ما يمتلكه الإنسان من أشياء ينتفع بها . كالذهب والفضة . والأنعام والحرث . وكل مأكول أو مشروب أو ملبوس أو مركوب أو مسكون أو يؤدى إليه . وكل آله أو سبب أو وسيلة ينتفع بها وكل ما يتداوى به أو يقى ضرا . أو يدفع بأسا .... الخ •

---

(١) السابق جـ ٢ ص ٦٢١ •

وحب هذه الأشياء مـن الأمـــور التى قطر الإنسان عليها . وكما يحبها الإنسان لنفسه ينبغى أن يحبها ويتمناها لعيره - لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب . ما يحب لنفسه (١) .

٢ - العلم والمعرفة . فقد فطر الإنسان على التطلع لما لا بعلمه أو يعرفه . فإذا علم شيئا أو عرفه . وينبغى أن يحبه ويتمناه لغيره بتعليمه أو بمعاونته ليتعلمه . ولا يضن به .

ولما كان رسول الله ﷺ كامل الخلق - ومن كمال خلقه أنه جواد يحب الخير للغير كحبه للنفس بل أكثر . وصفه الله تعالى بالجود فى هذا المجال .

فقال سبحانه متحدثا عن القرآن . وجبريل والرسول ﷺ : وإنه لقول رسول كريم . ذى قوة عند ذى العرش مكين . مطاع ثم أمين . وما صاحبكم بمجنون . ولقد رآه بالأفق المبين . وما هو عل الغيب بضنين (٢) ففى وصفه ﷺ بأنه ليس بضنين على الغيب بيان بأنه ليس بشحيح أو بخيل على الغير فى مجال العلوم الغيبية التى يصطفيه الله تعالى بها أو بغيرها .

ثمرة حب الخير للغير :

إن حب الخير للغير له آثار فردية واجتماعية عظيمة . وثمار وفيرة .

إذ هوعنصر من أهم عناصر صفاء الفطرة وعلوها . وارتقاء الإنسانية وسمو العقل ورجاحة الفكر .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب من خصال الإيمان أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك جـ ٢ ص ١٦ .

(١) سورة التكوير الآية ; ١٩ - ٢٤ .

ومن أهم آثاره وثماره :

١- يولد فى الفرد شعورا بأنه جزء من الجماعة . وليس فردا منعزلا . إلا فى حدود مصالحه ومسئولياته الشخصية .

فهو بهذا الشعور النبيل يجد نفسه مدفوعا إلى مشاركتهم فى عواطفهم مشاركة وجدانية . ومشاركة مادية .

فهو يفرح لفرحهم . ويحزن لحزنهم . ويتألم عندما يتألمون . وينشرح صدره إذا وجدهم منشرحين .

وهو يساهم معهم فى الأعمال العامة . ويعين منهم ذا الحاجة بجسمه أو جاهه أو ماله . أو شفاعته فى الحق . أو عواطفه ومشاعره وتعبيراتها (١) .

ومتى كان هذا المعنى متبادلا بين أفراد الجماعة . استطاعت أن تمثل فى واقعها معنى الجسدية الواحدة للجماعة . التى إذا اشتكى عضو منها تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

٢- يزكى النفس ويطهرها من رذائل الأنانية المقيتة . والأثرة القبيحة والشح الذميم .

وبهذه التزكية يرتقى الإنسان فى معارج الكمال .

وحب الخير للغير من الكمال .

وقد أفلح من زكى نفسه - ونفس ما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها - (٢) .

٣- يحل مشكلات ذوى الحاجات والبؤس من أفراد المجتمع الواحد .

وإبقاء هذه الحاجات من غير حل يعرض المجتمع إلى عواقب وخيمة . وويلات

(١) الأخلاق الإسلامية حبنكه جـ ٢ ص ٣٦٣ .

(٢) سورة الشمس الآية : ٧ - ١٠ .

جسيمة . منها :

يتولد بين أفراده الحقد والحسد والبغضاء والشحناء والميل إلى العدوان والجريمة . والانطلاق الخطير فى كل موبقة •

وعندئذ يرتفع الأمن ويحل الخوف محله . ويشيع فى المجتمع فوضى الغاب . وتنحدر الحضارة (١) •

ولكن متى شاع فى المجتمع حب الخير للغير كحبه للنفس . لم يكن لهذه الشرور أثار تذكر !!

٤-- حب الخير للغير كحبه للنفس يقيم سدا واقيا يمنع النفس عن الجنوح الخطير فى مجال حب التملك والأثرة •

فمتى جنحت النفوس هذا الجنوح الخطير كان حب التملك غاية بنفسه •

وليس مجرد وسيلة لتحقيق منافع الحياة ومصالحها . وعندئذ يستأثر الإنسان داء الجمع والمنع ، حتى يعيش حياته كلها جماعا للمال (٢) !!!

٥- هذا . بالإضافة إلى أن هذا الخلق الكريم يؤدى إلى تفريج كرب المسلم فى الدنيا والآخرة . لقول النبى ﷺ : من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا . فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة . والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه (٣) •

كما أنه ينجح فى دعوته . لتأثيره بقوله وفعله أو سلوكه فى المدعويين . ولكى ينجح الداعية فى القيام بمعاونة المدعويين وتفريج كربهم .لابد أن تهيأ له الوسائل والإمكانات التى يستطيع من خلالها أن ينهض برسالته . ماديا ومعنويا . ليكون له تأثيره الإيجابى والفعال فى مجتمعه •

---

(١) الأخلاق الإسلامية : حبنكة جـ ٢ ص ٣٦٥ •

(٢) السابق جـ ٢ ص ٣٦٦ •

(٣) سبق تخريجه فى صفحة ٧٨ من هذا البحث •

المطلب السادس
الزهد فيما عند الناس

الزهد . مأخوذ من الفعل الثلاثي – زهد – فيه . وعنه . زهدا وزهادةً: أعرض عنه وتركه . لاحتقاره . أو لتحرجه منه .أو لقلته .للاستغناء عنه بخير منه ٠

والزهادة في الشيء : خلاف الرغبة فيه (١) ٠

فكل من عدل عن شيء إلى غيره بمعاوضة او بيع أو غيره فإنما عدل عنه لرغبته عنه وعدل إلى غيره لرغبته فيه ٠

فحاله بالإضافة إلى المعدول عنه يسمى زهدا . وبالإضافة إلى المعدول إليه يسمى رغبة وحبا (٢) ٠

قال تعالى : وشروه بثمن بخس دراهم معدودة . وكانوا فيه من الزاهدين (٣) ٠

مفهوم الزهد فيما عند الناس :

يتضح بما سبق أن الزهد فيما عند الناس أعنى به :

تنزه الداعية . وعفته . وعدم تطلعه إلى ما يملكه الآخرون من متاع حسى أو معنوى – حتى وإن كان محتاجا إلى شيء منه – لتيقنه بما عند الله تعالى ٠

أهمية الزهد فيما عند الناس للداعية :

إن تنزه الداعية وعفته عما فى أيدى الناس هو قمة جوده وسخائه . وهو أفضل من جوده بالبذل والإنفاق ٠

---

(١) المعجم الوسيط مادة : زهد ٠

(٢) إحياء علوم الدين للغزالى جـ ٤ ص ٢١٦ ط دار المعرفة بيروت بدون تاريخ ٠

(٣) سورة يوسف الآية : ٢٠ ٠

قال عبد الله بن المبارك رضى الله عنه : سخاء النفس عما فى أيدى النـاس . أفضل من سخاء النفس بالبذل (١) .

لأنه يجود على الناس بتركه ما فى أيديهم . فلا يلتفت إليه . ولا يستشـرف لـه بقلبه . ولا يتعرض له بحاله . ولا لسانه .

فلسان حال القدر . يقول للفقير الجواد :

إن لم تعط ما تجود به على الناس ، فجد عليهـم بزهـدك فـى أموالهـم . ومـا فـى أيديهم . تفضل عليهم . وتزاحمهم فى الجود . وتنفرد عنهم بالراحة (٢) .

لـذا : فإن الزهد فيما عند النـاس خلـق مهـم وضـرورى لكـل مسـلم . لكـى يسود الحب والإخاء بين المسلمين . وتتلاشى أسباب الحقد والبغضاء من قلوبهم . وينال الجميع محبة الله تعالى لهم ومحبة الناس .

تصديقا لقوله ﷺ : أزهد فى الدنيـا يحبـك الله وأزهـد فيمـا عنـد النـاس يحبـك النـــاس (٣) .

وإذا كان هذا الخلق ضروريا لكل مسلم. فهو أشد ضرورة للداعية علـى وجـه الخصوص . لأنه قدوة لغيره .

أضرار تطلع الداعية إلى ما عند الآخرين :

يوم أن يشعر الناس أن الداعية يتطلع إلى ما فى أيديهم . يسقط مـن أنظـارهم . ولا يقيمون له أى وزن . ولا يسمعون لكلامه . وإذا سمعـوا لن يتأثروا به . لأنهم

---

(١) مدارج السالكين : جـ ٢ ص ٣٠٣ .

(٢) السابق جـ ٢ ص ٣٠٨ .

(٣) رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة عن سهل بن سـعد السـاعدى رضـى الله عنـه قـال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله . دلنى على عمل إذا عملتـه أحبنـى الله وأحبنى الناس . فقال : أزهد فى الدنيا ... الحديث .

ينظرون إليه على أنه أجير يعمل لهم نظير أجر .

وهذا إن جاز شرعا وعقلا . فيمن يقوم بعمل دنيوى . غير الدعوة إلى الله تعالى . فلن يجوز بالنسبة للداعية الذى ينشر دين الله . فيعلم الجاهل . وينبه الغافل . ويذكر الناسى . ويقوم المعوج .

وقد أدب الله تعالى نبيه محمدا ﷺ – وهو إمام الدعاة أن يكون عمله فى تأدية رسالته . خالصا لوجه الله تعالى . لا يبتغى به أجرا من الناس . أو تحصيل مصالح دنيوية عاجلة .

وقد بدأ هذا التأديب الربانى للرسول ﷺ مع أولى مراحل الدعوة الإسلامية . قال تعالى :

– ن والقلم وما يسطرون . ما أنت بنعمة ربك بمجنون . وإن لك لأجرا غير ممنون وإنك لعلى خلق عظيم (١) .

فأبان له ربه سبحانه أن عليه أن يخلص لربه فى دعوته . وأن له الأجر العظيم غير المنقطع عند الله تعالى .

ثم أبان له فى السورة نفسها : أن الداعى إلى الله تعالى . من شأنه أن لا يطالب الناس بأجر على هدايته لهم . وإرشاده إياهم إلى سبيل سعادتهم فى العاجل والآجل . حتى يكون مؤثرا فيهم . بقوله وخلقه وسلوكه .

إذ يشعرون أنه لا غرض له عندهم ماديا أو معنويا . وإلا اتهموه بالنفعية . فيضعف تأثيره فى قلوبهم ومشاعرهم . فقال تعالى – أم تسألهم أجرا . فهم من مغرم مثقلون (٢) – وقد جاء هذا الأسلوب القرآنى على صيغة استنكار تكذيبهم له . مع أنه ﷺ لم يسألهم أجرا قط .

---

(١) سورة القلم الآيات : ١ – ٤ .

(٢) سورة القلم الآية : ٤٦ .

ثم أمره سبحانه أن يوجههم بقوله لهم : ما أسلكم عليه من أجر - حتى يقطع ظنونهم وأوهامهم التى قد تصور لهم أنه طالب دنيا : ملك أو مال . أو زعامة . أو حسب . أو نسب . أو غير ذلك من متاع الدنيا . فأنزل الله تعالى عليه قوله : قل : ما أسالكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين . إن هو إلا ذكر للعالمين . ولتعلمن نبأه بعد حين (١) - أى ما أسألكم على هذا الأمر الذى أدعوكم إليه . وابذل فيه كل جهدى . من أجر قل أو كثر . وما أنا فيه من المتتبعين المتكلفين لما يعنيهم . بل أنا مكلف من قبل ربى أن أبلغكم وأرشدكم . وأعلمكم وأزكيكم - إن هو إلا ذكر للعالمين . ولتعلمن نبأه بعد حين . فلكل نبأ مستقر ينكشف به صدقه .

ولقد حدد لهم ﷺ هذا الأمر بوضوح تام حين قال لهم : ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم . ولا الشرف فيكم . ولا الملك عليكم ولكن الله بعثنى إليكم رسولا وأنزل على كتابا . وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا . فبلغتكم رسالات ربى . ونصحت لكم . فإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة . وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم (٢) . وهكذا نجد أنهم عرضوا عليه الدنيا بحذا فيرها ولكن رفضها ﷺ رفضا قويا . لأنها ليست من أهداف دعوته . وهذا الرفض جاء بالأسلوب النبوى الذى يتحدث بما أوحى إليه من ربه سبحانه - وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا . قل ما أسألكم عليه من أجر . إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا (٣) .

---

(١) سورة ص الآيات : ٨٦ - ٨٨ .

(٢) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٢٩٦ .

(٣) سورة الفرقان الآيتان : ٥٦ - ٥٧ .

وهذا أمر من الله تعالى لنبيه ﷺ . أن يؤكد للناس أنه لا يسألهم على الأمر الذى يقوم به من أجل خيرهم وسعادتهم أى أجر .

إلا رضا قلبه . وسعادة نفسه ﷺ بهداية من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا يكون فيها من الناجين من عذاب الله . ومن المقيمين فى جنات النعيم .

فهذا من جانبهم يكفيه . أما أجره عند الله . فلسوف يعطيه ربه حتى يرضى رضا تاما !!

ويمكن أن يراد بالاستثناء إتباع الرسول ﷺ وتعظيمه وتوفيره والصلاة والسلام عليه . فكل هذه الأمور سبيل تأخذ بيد من سلكها إلى مرضاة الله تعالى .

فمن اتبع الرسول . أحبه الله . ومن عظم الرسول ووقره أثابه الله . ومن صلى عليه مرة . صلى الله بها عليه عشرا . وهكذا .

– كما أنزل عليه قوله تعالى : – وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين . وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين (١) – قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين (٢) .

– ولما أصر كثير من قومه على تكذيبه . وعاندوا وجحدوا . أنزل الله عليه :

قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا . ما بصاحبكم من جنة . إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد . قل ما سألتكم من أجر فهو لكم . إن أجرى إلا على الله . وهو على كل شىء شهيد (٣) – وفى توجيههم أن يقوموا لله متجردين من عصبياتهم وسوابق أفكارهم . مثنى وفرادى . تحرير لهم من أمرين آسرين للنفوس البشرية :

---

(١) سورة يوسف الآيتان : ١٠٣ – ١٠٤ .

(٢) سورة الأنعام الآية : ٩٠ .

(٣) سورة سبأ الآيتان : ٤٦ – ٤٧ .

الأمر الأول : العصبيات وسوابق الأفكار . والأهواء والأغراض الخاصة التي تميل بالأفكار عن سواء السبيل •

وتحرير الأنفس من هذه . إنما يكون بقيامهم لله تعالى •

الأمر الثانى : الضغط الاجتماعي . والغوغائية الجماعية . والعقل الجمعي الذى تنعدم معه التأملات الفردية الصافية •

وتحرير الأنفس من هذا الأمر . إنما يكون بتأمل الباحثين عن الحق مثنى أو فرادى •

أما أن يجتمعوا فى غوغائيه جماهيرية . فهذا يفسد صفاء تأملاتهم . ويجعلهم ينساقون انسياقا ببغاويا مع شياطين التضليل فيهم . وفى قوله سبحانه لرسوله ﷺ : قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله – توجيه إلى تنويع البيان الذى يتضمن أنه لم يطالبهم بأجر فى كل المدة السابقة التى جاهد فيها . جهادا صادقا . وهو يدعوهم إلى خيرهم وسعادتهم •

والصيغة التى جاءت فى هذا التوجيه تشبه قول الوالد الرحيم بأولاده الخارجين عن طاعته – بعد أن يقدم لهم النصح والتوجيه الذى لا هدف له منه إلا أن يكونوا سعداء فى ذات أنفسهم – :

يا أولادى هذا نصحى لكم . ولا أريد منكم جزاء ولا شكورا وما أعطيتمونى من أجر على تربيتى وحبى لكم وبذلى من أجلكم فخذوه واستردوه •

أى . لم آخذ منكم شيئا . ولم تعطونى شيئا . كل ما عندى لكم هو حبى وإخلاصى وحرصى على سعادتكم •

– كما أنزل سبحانه قوله : – أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون (١) – أى

---

(١) سورة الطور الآية : ٤٠ •

إنك لم تسألهم أجرا ولن تسألهم أجرا حتى يجدوا هذا الأجر مغرما يستثقلونه . فيصدون من أجل استثقاله . عن الاستجابة لك . والإيمان برسالتك . وتصديقك فيما تبلغ عن ربك سبحانه (١) .

- كذا نزل بمايد قوله سبحانه : - قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى - (٢) .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال ﷺ : لا أسألكم على ما آتيتكم من البينات والهدى أجرا . إلا أن توادوا الله تعالى وأن تتقربوا إليه بطاعته (٣) .

لذا يجب على كل من يتصدى للدعوة إلى الله تعالى أن يتنزه ويتعفف عن كل ما يملكه الناس لئلا ينظر إليه نظرة ازدراء . ولكي يكون مؤثرا بقوله وهيئته .

وقد أدب الله تعالى نبيه ﷺ - وهو إمام الدعاة - بقوله سبحانه : - ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه . ورزق ربك خير وأبقى (٤) - فلم يمد الرسول ﷺ عينه إلى شيء مما آتاه الله الناس من متاع الدنيا . وحول نظره إلى ما ادخره الله له في الفردوس الأعلى من مقام كريم ونعيم مقيم . ولم يكن يتمنى لنفسه شيئا مما في أيدي الناس من متاع الحياة تخلقا بما أدبه الله تعالى به .

ولو أراد الدنيا ومباهجها . والتمتع بها وبزهرتها . لجاءته الدنيا . طائعة صاغرة .

---

(١) سورة الشورى من الآية : ٢٣ .

(٢) الأخلاق الإسلامية وأسسها : عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني جـ ١ ص ٤٤١ - ٤٤٤ ط دار الفكر - دمشق ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م .

(٣) مسند الإمام أحمد رحمه الله ، وتفسير ابن كثير جـ ٤ ص ١١٢ .

(٤) سورة طه الآية : ١٣١ .

ولكنه ﷺ أراد بزهده في الدنيا وتعففه عما عند الآخرين أمورا من أهمها :

١- أن يعلم الأجيال المسلمة في كل زمان ومكان بزهده وتعففه . معنى التعاون والعطاء . والمحبة والإيثار .

٢- أن ينظر المسلم إلى من فوقه في أمور الدين والأخلاق ولا ينظر إلى من هو دونه عندئذ يجد من يفوقه ويفضله دنيا وخلقا وسلوكا . وأن ينظر إلى من دونه في أمور الدنيا وزينتها الحسية والمعنوية ولا ينظر إلى من فوقه فيها . عندئذ يجد نفسه مفضلا على كثير من عباد الله في نعم كثيرة . وقد ارشد النبي ﷺ إلى هذه الوسيلة التربوية الفعالة فيما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : انظروا إلى من هو أسفل منكم - أى في أمور الدنيا - ولا تنظروا إلى من هو فوقكم . فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم (١) .

وفي رواية البخاري : إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه (٢) .

٣- أن تتأسى الأجيال المسلمة بالعيش الكفاف القنوع . مخافة أن تقعدهم زهرة الحياة الدنيا وفتنتها عن واجب الدعوة إلى الله تعالى . وإعلاء كلمته سبحانه .

ومخافة أن تبسط لهم الدنيا فتهلكهم . كما أهلكت من كان قبلهم . روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : جلس رسول الله ﷺ على المنبر . وجلسنا حوله فقال : إن مما أخاف عليكم بعدي . ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها (٣) - وعن عمر بن عوف الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ... فو الله ما الفقر أخشى عليكم . ولكني أخشى أن تبسط

---

(١) صحيح مسلم .

(٢) صحيح البخاري .

(٣) البخاري ومسلم .

الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها . فتهلككم كما أهلكتهم (١) .

ففي هذين الحديثين الشريفين : تنبؤ أو وعد من النبي ﷺ بأن الله تعالى سيبسط الدنيا على أمته .

كما فيهما تخوف من النبي ﷺ على أمته من بسط الدنيا على الأمة .

ذاك البسط الذي يفضي بهم إلى الهلاك . بسبب التنافس فيها . والتقاتل والتحاسد من أجلها . وهذا التنافس فيها لا حدود له . ولابد أن تضيق الدنيا عن مطامع الناس فيها . وينتهي بهم الأمر إلى التحاسد والتقاتل والفساد وسفك الدماء . والاغترار بزينتها . والانغماس في ترفها . والسقوط في المعاصي والآثام ونسيان الله تعالى . والدار الآخرة (٢) .

٤ – أن يفهم الذين في قلوبهم مرض من منافقين وأعداء وكفار .

أنه ما أراد بدعوته التي يدعو إليها الناس . جمع مال . أو مظاهر فانية . ولا دنيا زائلة . ولا نعيم أو ترف زائف .

وإنما أراد الأجرة والمثوبة من الله وحده لا شريك له . وأن يلقى الله وليس عنده من حطام الدنيا شيء . وكان شعاره دائما :

– وياقوم لا أسألكم عليه مالا . إن أجري إلا على الله (٣) .

حتى ينبه البشرية في كل زمان ومكان إلى أن الدعوة الصحيحة الخالصة لله تعالى . تتميز عما عهده الناس من الكهان والمشعوذين والدجالين ورجال الأديان من استغلال الدين لسلب أموال العباد .

---

(١) البخاري ومسلم . كتاب الجزية .

(٢) الأخلاق الإسلامية حبنكه جـ ٢ ص ٥١٨ – ٥١٩ .

(٣) سورة هود الآية : ٢٩ .

(وهو توضيح لطبيعة الدعوة . وبيان للشرف النبيل الذى يضطلع بـه الداعيـة المنتسب إليها) (١) ٠

المطلب السابع

الإخــــلاص

هو مأخوذ من الثلاثى : خلص خلوصا وخلاصا . وأخلص إخلاصا . أى صفـا وزال عنه شوبه (٢) . وخلص إليه الشيء : وصل ٠

وخالصةُ فى العشرة : صافاه . وهــذا الشيء – خالصة – لك : أى خاصـة . و – استلخصه لنفسه : استخصه (٣) . ومنه قوله تعالى للنبـى ﷺ – خالصـة لـك من دون المؤمنين (٤) – وقال الملك ائتونى به استخلصه لنفسى (٥) ٠

فكل شيء يتصور أن يشوبه غيره . إذا صفا عـن شـوبه . وخلـص عنـه . حتـى يصل إلى من يختص به : يسمى خالصا . قال تعالى :

– من بين فرث ودم لبنا خالصـا (٦) ٠

فخلوص اللبن : أن لا يكون فيه شوب من الفرث والدم ٠

مفهوم الاخلاص فى الاصطلاح :

تعددت تعاريف العلماء للإخلاص . وتنوعت عباراتهم . كل حسب مفهومـه وتذوقه ٠

---

(١) فى ظلال القرآن : سيد قطب جـ ١٩ ص ٩٩ – ١٠٠ ٠

(٢) المعجم الوسيط جـ ١ ص ٢٤٩ ٠

(٣) مختار الصحاح ص ١٨٤ ٠

(٤) سورة الأحزاب الآيـة : ٥٠ ٠

(٥) سورة يوسف من الآية : ٥٤ ٠

(٦) سورة النحل الآيــــة : ٦٦ ٠

وقيل : تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين .

وقيل : الإخلاص استواء أعمال العبد فى الظاهر والباطن .

والرياء : أن يكون ظاهره خيرا من باطنه .

والصدق فى الإخلاص : أن يكون باطنه أعمر من ظاهره (١) .

وهذه الأقوال تشير إلى أن الإخلاص هو تصفية الإنسان أقواله وأفعاله وأحواله عن كل ما يشوبها .

حتى يتجرد الباعث على أى منها من كل هدف سوى طاعة الله تعالى وابتغاء مرضاته .

ليتحقق السر بين الإنسان وربه دون أن يطلع عليه كائن آخر أيا كان . على حد قول الجنيد فى الإخلاص : سر بين الله وبين العبد . لا يعلمه ملك فيكتبه . ولا شيطان فيفسده . ولا هوى فيميله (٢) . إذ هو سر الله تعالى يودعه قلب من يحب من عباده (٣) .

إذاً . فالاخلاص فى صورته الحقيقية المثالية يقتضى أن يكون الباعث على أمر ما . والهدف من هذا الأمر . واحدا بعينه . متمثلا فى رضا الله تعالى .

وإذا امتزج بهذا الباعث باعث آخر من حظوظ النفس . خرج العمل عن حد الإخلاص . ففى الحديث قال رسول الله ﷺ : إن الله تبارك وتعالى يقول : أنا خير شريك . فمن أشرك معى شريكا فهو لشريكى . يأيها الناس أخلصوا أعمالكم . فإن الله تبارك وتعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما خلص له . ولا تقولوا هذه لله .

---

(١) مدارج السالكين جـ ٢ ص ٩٥ .

(٢) السابق جـ ٢ ص ٩٥ .

(٣) السابق جـ ٢ ص ٩٤ .

وللرحم فإنها للرحم وليس لله منها شيء . ولا تقولوا هذه لله ولوجوهكم . فإنها لوجوهكم . وليس لله منها شيء (١) .

فمن تعلم ليسهل عليه طلب ما يكفيه . مع قصد التقرب إلى الله تعالى . لم يكن عمله خالصا لله تعالى .

ومن صلى بالليل لدفع النعاس . ومراقبة أهله وماله . مع قصد التقرب لله تعالى لم يكن عمله خالصا لله تعالى .

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية (حكى أن أبا حامد الغزالى بلغه أن من أخلص لله أربعين يوما تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه . قال : فأخلصت لله أربعين يوما . فلم يتفجر شيء . فذكرت ذلك لبعض العارفين . فقال لى : إنك أخلصت للحكمة . ولم تخلص لله (٢) – وذلك . أن الإنسان قد يكون مقصوده نيل العلم والحكمة . أو نيل المكاشفات والتأثيرات . أو نيل تعظيم الناس له .

ومدحهم إياه . أو غير ذلك من المطالب التى فيها حظوظ النفس فإذا قصد طلبها بالإخلاص لله وإرادة وجهه . كان متناقصا . لأن من أراد شيئا لغيره . فالثانى هو المراد المقصود بذاته . والأول يراد لكونه وسيلة إليه . فإذا قصد أن يخلص ليصير عالما . أو عارفا . أو ذا حكمة . أو متشرفا بالانتساب إلى أى من ذلك . أو صاحب مكاشفات وتصرفات .

فهو فى كل هذا لم يرد الله . بل جعل الله تعالى وسيلة له إلى ذلك . المطلوب الأدنى . وإنما يريد الله ابتداء من ذاق حلاوة محبته وذكره (٣) .

---

(١) الترغيب والترهيب . للحافظ المنذرى جـ ١ ص ٢٤ .

(٢) درء تعارض العقل والنقل جـ ٦ ص ٦٦ .

(٣) المرجع السابق جـ ٦ ص ٦٦ بتصرف .

لذا كان تجريد العمل وتصفيته من كل هدف سوى ا لله تعـالى . أمـراً ضروريـاً لقبوله وخلوصه لله تعالى •

وإذا خلى العمل من الاخلاص . وأريد به غير ا لله. فإنه مردود على صاحبه • إذ ورد في الحديث الشريف .

إذا كان يوم القيامة جاءت الملائكة بصحف مختمة .فيقول ا لله عز وجل : ألقوا هذا . واقبلوا هذا . فتقول الملائكـة : وعزتـك وجلالـك مـا كتبنـا إلا مـا كـان . فيقول : إن هذا كان لغيرى . ولا أقبل اليوم إلا ما كان لى (١) •

وهذا يؤكد سرية الإخلاص بين ا لله تعالى وعباده . فلا يطلـع عليـه أحـد غـيره سبحانه . من الملائكة أو الإنس أو الجن •

ويدل على هذا : ما ورد عن النبى ﷺ قال : إن الملائكة يرفعون عمل العبـد . فيكثرونه ويزكونه . فيوحى ا لله تعالى إليهم . أنتم حفظة على عمل عبـدى . وأنـا رقيب على ما فى نفسه •

إن عبدى لم يخلص فى عمله . فاجلعوه فى سجين •

ويصعدون بعمل العبد يستثقلونه . فيوحى ا لله إليهم : إنكم حفظـة علـى عمـل عبدى . وأنا رقيب على ما فى نفسه . فضاعفوه واجعلوه فى عليين (٢) •

فضل الإخلاص :

إن فضل الإخلاص ومكانتـــه عظيمـة عنـد ا لله تعـالى . وعنـد النـاس . إذ هـو سبب فى رفعة العمل وقبولـه عنـد ا لله تعالى وزيادة ثوابه ومضاعفة أجره كما فى

---

(١) الترغيب والترهيب جـ ١ ص ٣٧ •

(٢) الجامع الصغير للسيوطى جـ ١ ص ١٨٥ ط ونشر عبد الحميد أحمد حنفى القـاهرة بـدون تاريـــخ •

الحديث : يأيها الناس أخلصوا لله العمل . فإن الله سبحانه لا يقبل من الأعمال إلا ما خلص له (١) .

كما أنه بالإخلاص تحول العادات المباحات كالمأكل والمشرب والنوم ... الخ . إلى طاعات وقربات .

وهو سبب لجريان الحكمة على اللسان ينطق بها فى جميع الأمور على حد قول مكحول – ما أخلص عبد قط أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه (٢) .

هذا بالإضافة إلى أن الإخلاص سبب فى نجاة صاحبه من جميع المحن والكربات . وخير دليل على ذلك : ما رواه البخارى وسلم من قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى الغار .

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم . حتى أو اهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل . فسدّت عليهم الغار .

فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم . قال رجل منهم : اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران . وكنت لا أغبق (٣) قبلهما أهلا ولا مالا . فنأى بى طلب الشجر يوما فلم أرح (٤) عليهما . حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما . فوجدتهما نائمين . فكرهت أن أوقظهما .

---

(١) سبق تخريجه ص ١٠٢ .

(٢) مدارج السالكين لابن القيم جـ ٢ ص ٩٦ .

(٣) الغبوق : الشرب بالعشى .

(٤) أرح : أرجع .

وأن أغبق قبلهما أهلا أو مالا . فلبثت - القدح على يدى - أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون (١) عند قدمى فاستيقظا فشربا غبوقهما .

اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة . فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه .

قال الآخر : اللهم إنه كانت لى ابنة عم كانت أحب الناس إلى .

وفى رواية : - كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء - فأردتها على نفسها فامتنعت منى حتى ألمت بها سنة من السنين (٢) فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها ففعلت . حتى إذا قدرت عليها .

وفى رواية : - فلما قعدت بين رجليها - قالت : اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه . فانصرفت عنها . وهى أحب الناس إلى . وتركت الذهب الذى أعطيتها .

اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه .

فانفجرت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها .

وقال الثالث : اللهم استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد . ترك الذى له وذهب . فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال . فجاءنى بعد حين فقال : يا عبد الله أدّ إلى أجرى . فقلت : كلّ من أجرك - من الإبل والبقر والغنم والرقيق . فقال : يا عبد الله لا تستهزئ بى . فقلت : لا استهزىء بك . فأخذه كله باستاقه فلم يترك منه شيئا . اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه . فانفجرت الصخرة . فخرجوا يمشون -

---

(١) يتضاغون : يصيحون من الجوع .

(٢) السنة : الجدب . يقال : أخذتهم السنة إذا أجدبوا وأقحطوا .

أهمية الإخلاص :

إن أهمية الإخلاص عظيمة وضرورية للمسلم عموما وللداعية خصوصا فى جميع الأقوال والأفعال والأحوال . التى بينه وبين ربه سبحانه . والتى بينه وبين نفسه . والتى بينه وبين الناس . وذلك :

- لوضوح وصراحة الأوامر الإلهية والنبوية به فى كل شىء .

قال تعالى : وما أمروا إلا ليعبدوا (١) الله مخلصين له الدين (٢) - إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين . ألا لله الدين الخالص (٣) .

- الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا .. (٤) .

قال الفضيل بن عياض : هو أخلصه وأصوبه . قالوا : - يا أبا على : ما أخلصه وأصوبه ؟ ! فقال : إن العمل إذا كان خالصا . ولم يكن صوابا لم يقبل . وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل . حتى يكون خالصا صوابا . والخالص : أن يكون لله . والصواب : أن يكون على السنة . ثم قرأ قوله تعالى : - فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا (٥) ، (٦) - ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ؟ (٧) .

---

(١) العبادة فى مفهومها العام الشامل هى : تحقيق الصلة المشروعة بين الإنسان وربه ونفسه والناس أجمعين .

(٢) سورة البينة الآية : ٥ .

(٣) سورة الزمر الآيتان : ٢ ، ٣ .

(٤) سورة الملك الآية : ٢ .

(٥) سورة الكهف الآية : ١١٠ .

(٦) مدارج السالكين جـ ٢ ص ٩٣ .

(٧) سورة النساء الآية : ١٢٥ .

فإسلام الوجه لله : إخلاص القصد والعمل لله .

والإحسان فيه : متابعة رسول الله ﷺ . وسنته (١) - وعن الإخلاص في طلب العلم يقول رسول الله ﷺ .

من تعلم علما مما يبتغي به وجه الله تعالى . ولا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة (٢) - يعني ريحها -

لذا كان من الواجب على الداعية تعلم العلم . والعمل بالعلم . والإخلاص في العلم والعمل الدعوى وغيره .

ملامح إخلاص الداعية :

ملامح إخلاص الداعية تبدو في مدى انفعاله بدعوته . وتحمسه لها . وبذله أقصى الجهد في تبليغها .

وذلك لأن من أخلص لشيء أعطاه كل ما يملك من نفس ونفيس . فما له . ووقته . وجهده . وفكره . وكل إمكاناته لابد أن تكون كلها في خدمة الدعوة . وتحت تصرفها .

فالداعية الذى يعطى الدعوة ماله . ويبخل عليها بوقته . أو يعطيها جهده الجسمي ، ويضن عليها بنتاج عقله وفكرة . لا يمكن أن يكون مخلصا لدعوته ولا مهتما بنشرها .

لأن الداعية المخلص يجب أن تكون دعوته هي شغله الشاغل الذى لا يصرفه عنها صارف مهما عظم . فهو يقدمها على طعامه وشرابه . ويؤثرها على زوجه

---

(١) مدارج السالكين جـ ٢ ص ٩٣ .

(٢) رواه أبو داود كتاب العلم . باب في طلب العلم لغير الله جـ ٣ ص ٣٢٣ وابن ماجه في المقدمة باب الانتفاع بالعلم جـ ١ ص ٩٣ .

وأولاده . ويتصورها في يقظته ومنامه . ويبذل ماله ليكسب لها الأنصار . ويتألف به الأعوان . ويضنى جسمه ليبلغ بها أبعد الآفاق . ويكد عقله ليبتكر الوسائل التى تعينه على إقناع الناس بها . وتحثهم على الالتفاف حولها (١) .

إن ثمرة إخلاص الداعية لدعوته . واهتمامه بنشرها وتبليغها . لابد أن يظهر فى نفسه أولا .

فيبذل للإسلام . ولا يثرى على حسابه . ويجوع ليشبع المسلمون . ولا يتخم من كثرة الطعام وهم جياع . ويقدم مصلحة المسلمين على . مصلحته الشخصية . ولا يهتم بنفسه ويترك غيره .

حينئذ يرى الداعية شجرة الإسلام قد أينعت فى قلوب المدعويين . ويرى جناها ماثلا بين يديه فى كل حين (٢) .

أما الدعاة الذين يستغلون عواطف الناس ويملأون بطونهم وجيوبهم باسم الإسلام . ويسخرون الناس لخدمتهم الخاصة . ومآربهم الشخصية . هم أبعد الناس عن الإسلام ولو دعوا إليه . وهم أكثر الناس إساءة إلى الإسلام . ولو جمعوا الناس عليه .

لأن أمرهم سينكشف حتما . وسيعلم الناس أنهم دجالون . ابتزوا أموالهم باسم الإسلام . ولم يقدموا له خدمة . وملأوا بطونهم على حساب الاسلام ولم يفعلوا شيئا . وحينئذ ينصرف عنهم الناس . وعن غيرهم من الدعاة الصادقين المخلصين. بسبب ما قدمه هؤلاء المخادعون . عن الإسلام من صورة مشوهة بشعة .

الرسول ﷺ قدوة للداعية المخلص :

إن الرسول ﷺ أسوة حسنة لكل داعية يريد لدعوته النجاح .

---

(١) أسس الدعوة . د. محمد السيد الوكيل ص ٨٧ .

(٢) السابق ص ٨٨ .

حيث أعطى ﷺ الدعوة كل ما يملك . ولم يترك فرصة يستطيع فيها تبليغ الدعوة إلا انتهزها .

فقد كان يمر على الناس فى بيوتهم . ويغشاهم فى محافلهم . ويتعرض للقبائل فى منازلهم . ولما ضاق به أهل مكة . وضاق بهم . خرج منها يلتمس الأعوان من أهل الطائف . وقطع المسافة الطويلة المضنية عله يجد فيهم من ينصره ويؤازره حتى يبلغ رسالة ربه سبحانه . ولكنه لم يجد فيهم رجلا رشيدا . فعاد إلى مكة والأمل يملأ قلبه . والاعتقاد بنصر الله تعالى يسيطر على كل حواسه .

ولقد عبر عن ذلك ﷺ حين قال له زيد بن حارثة: كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك ؟!

فقال يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا . إن الله ناصر دينه (١) .

وبعد أن استقر به المقام بالمدينة المنورة لم يخلد إلى الراحة . ولم يركن إلى الدعة . ولم يستبح لنفسه ﷺ فترة استجمام يقر فيها - ولم يكن بذلك بأس فى عرف الناس لو لم يكن رجل دعوة . وصاحب فكرة . ورسول أمة .

وماذا لو استراح ليجدد نشاطه . ويستجمع قوته ؟!

ولكن كيف يستريح ومسئولية الأمة كلها على عاتقه ؟!

أم كيف يهدأ ورسالته لم تظهر بعد على كل الديانات ؟

لهذا كله كان ﷺ يتفقد كل شيء ويستقصى عن كل شيء . ويجهز الجيوش ليحارب بها أعداء الله . وكتب للحكام يدعوهم للدخول فى دين الله . ويتفقد الأسواق ليطمئن على احتياجات الناس (٢) .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ ٢ ص ٨٠ .

(٢) أسس الدعوة ص ٨٧ .

المبحث الثانى
الوسائل الدعوية المادية

مفهومها :

هى كل ما يستخدمه الداعية من وسائل مادية محسوسة . تعينه فى أداء عمله وتحقيق دعوته . كالأقوال والحركات وللملامح والأدوات المستحدثة ،

أنواعها :

تتنوع الوسائل الدعوية المادية إلى ثلاثة أنواع :

النوع الأول:الوسائل الفطرية :وهى التى فطر عليها الإنسان منذ نشأته ، وهى تنمو بنمو الإنسان . وتتطور بتطوره . كالأقوال والحركات .

النوع الثانى : الوسائل المكتسبة : وهى الوسائل التى يحصل عليها الإنسان من خلال التجارب والخبرات العلمية والفنية ،

وهذه الوسائل دائمة التطور والنمو حسب تطورات الزمان والمكان والإنسان والشأن . كالخطابة والكتابة والإذاعات ومكبرات الصوت والتلفزيون والفيديو والصحيفة والمجلة والكتاب ... الخ ،

النوع الثالث : الوسائل التطبيقية : وهى الوسائل التى تجسد فيها الوسائل الفطرية والمكتسبة . لإخراجها إلى حيز الوجود المفيد للمدعو فى عاجل أمره وآجله . كالمساجد والمراكز الإسلامية والجمعيات والنوادى والمعسكرات والمخيمات .... الخ ،

المطلب الأول
الوسائل الفطرية القولية والحركية

أولا : الوسيلة الفطرية القولية :

مفهومها :

هى مشافهة الداعية للمدعو بالدعوة ليقنعه بها ويستميله نحوها . وتتمثل هذه الوسيلة فى : الخطابة . والمحاضرة . والدرس . والندوة . والمحاورة . والمناظرة . والكلمة .....

وهذه كلها أقوال فطرية . نمت وتطورت بالمران حتى صارت موهبة فى الإنسان .

وقد أنعم الله تعالى على الإنسان بهذه النعمة الفطرية ليعبر بها عما يجول بخاطره من معان وأفكار . أو مشاعر وأحاسيس .

قال تعالى : الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان (١) .

القول هو وسيلة جميع الأنبياء والمرسلين فى الدعوة إلى الله تعالى :

لقد كان القول هو وسيلة جميع الأنبياء والمرسلين فى الدعوة أو تبليغ رسالة الله تعالى لأقوامهم . وما من رسول ولا نبى إلا قال لقومه شيئا . وبينه لهم بشتى وسائل البيان ولذلك قضت حكمته سبحانه أن يبعث كل رسول بلغة قومه . قال تعالى : – وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم (٢) .

---

(١) سورة الرحمن الآيات : ١ – ٤ .

(٢) سورة إبراهيم الآية : ٤ .

وقد قص القرآن الكريم كثيرا من دعوات وحوارات الأنبياء لأقوامهم وكلها قائمة على وسيلة القول ٠

قال تعالى : لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره . إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم - ... الآيات (١) ٠

- وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون (٢) ٠

- وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ... الآيات (٣) ٠

- ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين .. الآيات (٤) ٠

- وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ... الآيات (٥) ٠

القول وسيلة نبينا محمد ﷺ في التبليغ :

لقد جاء الأمر الإلهي لنبينا محمد ﷺ باستخدام وسيلة القول بالإضافة إلى غيره في تبليغ دعوة الله تعالى خلال العهد المكي - قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى إنما إلهكم إله واحد ... (٦) ٠

(١) سورة الأعراف الآيات : ٥٩ - ٦٤ ٠

(٢) سورة الأعراف الآيات : ٦٥ - ٧٢ ٠

(٣) سورة الأعراف الآيات : ٧٣ - ٧٩ ٠

(٤) سورة الأعراف الآيات : ٨٠ - ٨٤ ٠

(٥) سورة الأعراف الآيات : ٨٥ - ٩٣ ٠

(٦) سورة الكهف الآية : ١١٠ ٠

- قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون .... الآيات (١) .

- قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد (٢) .

كما جاء الأمر باستخدام وسيلة القول فى بيان الأوامر والنواهى الشرعية فى كثير من آيات القرآن الكريم . قال تعالى :

- يسألونك عن الروح . قل الروح من أمر ربى ... الآية (٣) .

- يسألونك عن الأنفال . قل الأنفال لله والرسول ... الآية (٤) .

- يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما .

- ويسألونك ما ينفقون . قل العفو ... (٥) ويسألونك عن اليتامى . قل إصلاح لهم خير (٦) .

- ويسألونك عن المحيض . قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن ... (٧) الآية .

- قل إنى نهيت أن أعبد الذي تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين (٨) .

---

(١) سورة الكافرون الآيتان : ١ ، ٢ .

(٢) سورة الإخلاص .

(٣) سورة الإسراء الآية : ٨٥ .

(٤) سورة الأنفال الآية : ١ .

(٥) سورة البقرة الآية : ٢١٩ .

(٦) سورة البقرة الآية : ٢٢٠ .

(٧) سورة البقرة الآية : ٢٢٢ .

(٨) سورة الأنعام الآية : ٥٦ .

- قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى (١) .

وقد بدأ رسول الله ﷺ دعوته على النحو الذى رسمه له ربه سبحانه وتعالى بالوسيلة القولية للأفراد والجماعات فى السر والعلانية .

أولا . الوسيلة القولية الفردية :

مفهومها :

هى مشافهة الداعية المدعو بالدعوة حال كونه فردا فردا . - أى واحدا واحدا ...

وبالنظر فى سيرة النبى ﷺ نلاحظ أنه كان يركز على الوسيلة القولية فى دعوته للأفراد خلال العهد المكى .

فأول ما دعا : زوجه أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضى الله تعالى عنها . يقول ابن إسحاق : كانت خديجة أول من أمنت برسول الله ﷺ . وصدقت بما جاء به . وآزرته ونصرته . على أمره . فخفف الله بذلك عن رسول ﷺ .

فكان لا يسمع شيئا يكرهه : من رد عليه . أو إيذاء . أو تكذيب له .

فيجزنه ذلك إلا فرج الله عنه بها . إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه . وتصدقه . وتهون عليه أمر الناس (٢) .

ولذا قال ﷺ : أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب . لا صخب فيه ولا نصب .

قال ابن هشام : القصب : اللؤلؤ المجوف (٣) .

---

(١) سورة يوسف الآية : ١٠٨ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام جـ ١ ص ٢٥٠ .

(٣) السابق جـ ١ ص ٢٥٠ .

وكان من البدهى أن تستجيب لأمرين :

أولهمـا : ما تستيقنه من صدقه وأمانته ﷺ فى كل ما يقول . وما يدعو إليه •

ثانيهما : ما حدث به ورقة بن نوفل حين اصطحابهـا النبـى ﷺ إليـه . مـن أن الذى أتاه إنما هو وحى الله تعالى •

وما وعديـه مـن اتباعـه ومؤازرتـــه إذا قـدر لـه أن يعيـش إلى وقـت أن يؤمـر بالدعـوة •

وقد كان من المدعوين بهذه الوسـيلة القوليـة الفرديـة . مـن يـتردد فـى قبـول الدعوة . ومنهم من كان يستجيب من فوره •

نموذج ممن تردد فى قبول الدعوى :

لقد كان أول من آمن بالنبى ﷺ بعد خديجة رضى الله عنها على بن أبـى طـالب رضى الله عنه وهو يومئذ ابن عشر سنين . وكان مما أنعم الله به عليه أنه تربى فـى حجر النبى ﷺ يقول ابن إسحاق : أصابت قريشا أزمة شديدة . وكان أبـو طـالب رجلا ذا عيال كثير . فأخذ الرسول ﷺ عليا فضمه إليه . فلم يزل مع رسـول الله ﷺ حتى بعثه الله نبيا •

فجاء ذات يوم . فوجد النبى ﷺ وزوجه خديجة رضى الله عنها يصليان فقال : ما هذا يا محمد : فقال ﷺ : دين الله تعالى . اصطفى لنفســه . وبعـث بـه رسـله . فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له . وإلى عبادته . وتكفر باللات والعزى •

فقال على : هذا أمر لم اسمع عنه من قبل . فلست بقاض أمرا حتـى أحـدث أبـا طالب – وهذا يدل على تردده فى قبول الدعوة – وكره النبى ﷺ أن يغشى عليه سره قبل أن يستعلن أمره فقال له يا على : إذا لم تسلم فاكتم . فمكث علىّ تلـك الليلة . ثم إن الله تعالى أوقع فـى قلب علىّ الإسلام . فأصبــح غاديـا إلى رسول

ا لله ﷺ حتى جاءه فقال : ماذا عرضت على يا محمد ؟

فقال له رسول ا لله ﷺ : تشهد أن لا إله إلا ا لله وحده لا شريك لـه . وتكفـر باللات والعزى وتبرأ من الأنداد – ٠

ففعل عليّ واسلم . ومكث يأتى النبى ﷺ . على خوف من أبى طالب . وكتم على إسلامه ولم يظهره (١) ٠

ويفهم من إسلام على كرم ا لله وجهه أنه تردد فى قبول الإسلام فى بداية أمره حين دعاه النبى ﷺ بالوسيلة القولية سرا ٠

نموذج ممن قبل الدعوة من فوره دون تردد :

بعد أن أسلم بيت النبوة ممثلا فى : أم المؤمنين خديجة وعلى وزيد . كان أبو بكر الصديـق رضـى ا لله عنـه أول مـن أسـلم مـن الرجـال الأحـرار . برسـول ا لله ودعوتـه ٠

ولا غرو ! فقد كان صاحب رسول ا لله قبل البعثة . وكـان يعلـم مـن صدقـه وأمانته وحسن أخلاقه وكرم سجيته . ما يمنعه من الكـذب علـى النـاس . فكيـف يكذب على رب الناس ؟ !

ولـذا بادر بإجابة دعوة ا لله تعالى ولم يتردد أو يتلعثم ٠

ولـذا قال ﷺ : ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كـانت فيـه عنـده كبـوة (٢) . ونظر وتردد . إلا ما كان من أبى بكر بن أبى قحافة . ما عكم (٣) . حـين ذكرتـه له . وما تردد فيه (٤) ٠

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير جـ ١ ص ٣٩٨ ، ودلائل النبوه للبيهقى جـ ١ ص ١١٤ ٠

(٢) الكبوة : التأخر ٠

(٣) عكم : إنصاع وذهب ٠

(٤) السيرة النبوة لابن هشام جـ ١ ص ٢٥٩ ٠

وقال : - إن الله بعثني إليكم . فقلتم : كذبت . وقال أبو بكر : صدق . وواساني بنفسه وماله . فهل أنتم تاركوا لي صاحبي ؟ ! (١) .

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : أول من صلى أبو بكر رحمه الله . ثم تمثل بأبيات حسّان :

إذا تذكرت شجوا من أخ ثقة ∴ فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أتقاها وأعدلها ∴ إلا النبي . وأوفاها بما حملا

الثاني التالي المحمود مشهده ∴ وأول الناس حقا صدق الرسلا

عاش حميدا لأمر الله متبعا ∴ يأمر صاحبه الماضي وما انتقلا (٢)

يضاف إلى ذلك أن الصديق رضي الله عنه : كان رجلا مؤلفا لقومه . محببا سهلا وكان أنسب قريش لقريش . وأعلم قريش بها . وبما كان فيها من خير وشر . وكان رجلا تاجرا . ذا خلق ومعروف . وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر : لعلمه . وتجارته . وحسن مجالسته . فجعل يدعو إلى الله تعالى وإلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه (٣) .

كما يقول عنه الحافظ ابن كثير :

وأول من أسلم من الرجال الأحرار : أبو بكر الصديق . وإسلامه كان أنفع من إسلام من تقدم ذكرهم (٤) إذ كان صدرا معظما . ورئيسا في قريش مكرما .

---

(١) السيرة لابن كثير جـ ١ ص ٤٣٣ ، وصفة الصفوة جـ ١ ص ٢٣٧ .

(٢) النساء الداعيات : د. توفيق يوسف الواعي ص ١٠٤ ط ٣ دار الوفاء بالمنصورة ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام جـ ١ ص ٢٥٨ .

(٤) كعلي بن أبي طالب وزيد بن حارثة .

وصاحب مال وداعية إلى الإسلام . وكان محببا متألفا . يبذل المال فى طاعة ا لله ورسوله ﷺ (١) ٠

وبجهوده ودأبه على الإقناع : أسلم قادة الدعوة . ورواد الحركة الإسلامية الأولى . أمثال : عثمان بن عفان . والزبير بن العوام . وعبد الرحمن بن عوف . وسعد ابن أبى وقاص . وطلحة بن عبد ا لله . وجاء بهم إلى الرسول ﷺ . حين استجابوا له فأسلموا وصلوا (٢) ولذا لا نبالغ إذا قلنا : إن الدعوة الإسلامية إذا كانت أطلقت من النبى ﷺ فإنها انطلقت من أبى بكر الصديق رضى ا لله عنه !!!٠

ثانيا : الوسيلة القولية لدعوة الجماعة :

مفهومها :

هى مشافهة الداعية المدعو بالدعوة حال كونه جماعة قلت أو كثرت . وبالنظر فى السيرة النبوية الشريفة نجد أن النبى ﷺ دعا بالوسيلة القولية الجماعات من الناس سواء أكانت الجماعة قليلة أم كثيرة ٠

ومن أهم هذه اللقاءات الجماعية التى اتخذ فيها النبى ﷺ الوسيلة القولية للدعوة إلى ا لله تعالى :

١- دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى :

لما كثر عدد المسلمين الأوائل . ولم يكن هناك مكان يتجمعون فيه لتلقى تعاليم الإسلام من النبى ﷺ . فكر النبى ﷺ فى اتخاذ دار الأرقم لتكون أول مجتمع يجتمع فيه بأصحابه الكرام بصورة جماعية لتعليمهم كل ما يتعلق بالإسلام

(١) البداية والنهاية جـ ٣ ص ٢٦ ٠

(٢) السيرة النبوية لابن هشام جـ ٤ ص ٢٥٩ ٠

الحنيف . فى جانب عقيدة التوحيد الصحيحة . ومحو كل ما يخالفها من آثار الوثنية والأصنام . وجانب الإيمان باليوم الآخر وما فيه من البعث والحساب والجنة والنار .... الخ : حتى حققت أهدافها وثمارها (١) .

٢- دعوته لعشيرته الأقربين (٢) :

لما نزلت الآيات التى تأمر النبى ﷺ بالجهر بالدعوة جمع بنى هشام على مأدبة طعام . ثم دعاهم بصورة جماعية إلى الإسلام بعد أن عارضه أبو لهب مرتين .

٣- دعوته لعشيرته الأكبر (٣) :

لقد حاول النبى ﷺ تبليغ كل القرشيين فى مكة دعوة الله تعالى . فصعد الصفا وجعل ينادى كل بطون قريش حتى اجتمعوا حوله ثم بلغهم دعوة الله تعالى .

٤- دعوته للقبائل والوفود (٤) :

ما كان النبى ﷺ يترك فرصة نزول القبائل والوفود إلى مكة فى أى موسم من مواسم الحج أو التجارة إلا اغتنمها بتبليغ دعوة الله تعالى لكل قبيلة أو وفد من العرب بصورة جماعية .

متطلبات الداعية فى استخدامه للوسيلة القولية للجماعة :

مخاطبة الجماعة بالوسيلة القولية تتطلب من الداعية بعض الأمور التى لا غنى عنها ليؤثر بوسيلته . فتنجح دعوته من أهمها :

١- **القدرة على الحديث** . ومواجهة الجماعة وهذا يتم بالدربة المتوالية .

---

(١) راجع فقه الدعوة إلى الله تعالى فى ضوء السيرة النبوية الشريفة ص ٦٢ - ٦٥ .

(٢) السابق ص ٦٩ .

(٣) السابق ص ٧٢ .

(٤) السابق ص ٨٥ .

والمران المستمر بالإضافة إلى الاستعداد النفسى الذى يكسب الإنسان الجرأة على المواجهة . والاقناع والاستمالة لجماعة المدعويين .

٢- **سعة الثقافة فى شتى مجالات الحياة الإنسانية** . لأن الجماعة تكون متنوعة الثقافة . فتحتاج إلى الداعية الموسوعى الذى يستطيع أن يلبى كل ما تحتاجه .

٣- **دراسة أحوال الجماعة** . والوقوف على ما يسيطر عليها من أفكار أو تخصصات . ليواجهها بما يتناسب معها من أساليب ووسائل وموضوعات .

ثانيا : الوسيلة الفطرية الحركية :

مفهومها :

هى تحرك الداعية وتنقله بالدعوة من مكان إلى مكان داخليا وخارجيا . لتبليغ الدعوة لكل إنسان فى كل مكان سواء استجاب الناس أم لم يستجيبوا .

وقدوة الدعاة فى التحرك بالدعوة نبينا محمد ﷺ .

- فقد كان يتحرك بالدعوة من مكان إلى آخر داخل مكة ، ولم ينتظر مجىء المدعويين إليه . فطاف على الناس فى منازلهم . وفى الشوارع . وفى الأسواق وتحرك بين الحجيج بمنى . وكان من بركات هذه التحركات . لقاءات العقبة التى مهدت لهجرة النبى ﷺ وصحابته الكرام إلى المدينة المنورة .

- كما تحرك ﷺ بالدعوة خارج مكة . حيث ذهب إلى الطائف ووجد فيها من الصدود والعنت مالا يخفى . وتحرك إلى المدينة المنورة . وكان فيها من الخير للإسلام ما فيها !!

- كما تحرك أصحابه الكرام بالدعوة إلى الحبشة وهو فى العهد المكى .

- وظلت الحركة من أهم الوسائل الدعوية الفعالة منذ عهد النبى ﷺ . وعهود أصحابه الكرام وتابعيهم بإحسان . وإلى ما شاء الله رب العالمين .

ما يجب على الداعية المعاصر . بعد دراسته للوسيلة القولية والحركية فى عهد النبى ﷺ :

أولا : يجب على الداعية المعاصر الالتزام بمنهج النبى ﷺ فى استعماله للوسيلة القولية للفرد والجماعة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن ٠

[فيستعمل وسيلة القول فى مجالاتها المستحدثة من حوار ومحاضرة وأحاديث ودروس وندوات مما تستدعيه الحياة المعاصرة . وما جدّ فيها من وسائل لم تكن معروفة من قبل . لكن مادة القول هى عمودها الفقرى] (١) ٠

وكذلك فى استعماله للوسيلة الحركية . حيث لم يترك فرصة متاحة لايصال الدعوة إلى المدعويين . أينما كانوا وحيثما وجدوا . داخل محلته أو خارجها محتسبا أجره على الله تعالى . مراعيا أوامر الشرع فى الالتزام بالقول والحركة المفيدين والنافعين للإسلام والمسلمين ٠

ثانيا : إدراك الداعية المسئولية الكاملة عن كل كلمة يتكلمها . وكل حركة يتحركها فى أى مجال من المجالات الدينية أو الدنيوية . لأن كل أقواله وحركاته وسكناته محسوبة عليه . والأنظار محدجة إليه . لمكانته بين الناس واقتدائهم به فى جميع أمورهم ٠

ثالثا : وجوب القول على الداعية إن كان له داع أو مجال . وإلا فالصمت خير من القول ٠

لقول النبى ﷺ : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر.فليقل خيرا.أو ليصمت(٢).

---

(١) وسائل الدعوة : د. محمد إبراهيم الجيوشى ص ٥١ - ٥٢ ط ٣ القاهرة ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤م٠

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الحث على إكرام الجار والضيف والصمت إلا عن خير جـ ٢ ص ١٨ ٠

من رأى منكم منكرا فليغيره بيده . فإن لم يستطع فبلسانه . فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان (١) .

المطلب الثانى
الوسائل المكتسبة

مفهومها :

هى الوسائل التى جدّت فى الحياة المعاصرة . ويكتسبها الإنسان من خلال التجارب والخبرات العلمية والفنية .

أشهر هذه الوسائل :

من أبرز واشهر الوسائل المكتسبة :

الوسائل المسموعة : كالراديو ومكبرات الصوت . والتليفون ...

والوسائل المرئية : كالتلفزيون والفيديو والسينما والمسرح ......

والوسائل المقروءة : كالكتب والمجلات والصحف والفاكس والإنترنت .

تقييم هذه الوسائل :

تعتبر الوسائل المكتسبة من الأسلحة الفعالة فى توجيه الأفراد والمجتمعات . والتأثير عليها سلبا أو إيجابا . لأنها ذات حدين تستعمل فى الخير وفى الشر .

بل يغلب على بعضها الشر باعتبار البيئة التى اخترعتها وابتكرتها . أو البيئة التى تصدرها . وتتولى قيادتها والتحكم فيها . أو البيئة لتى تستخدمها .

[إما رغبة فى إشاعة الأفكار السيئة ، والعادات القبيحة عن قصد وتخطيط وإما إشباعا لرغبات الناس المتنوعة . وجذبا لهم دون مراعاة للضوابط الشرعية والخلقية عن إهمال وغفلة ..

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر جـ٢ص٢٢ .

وإما ملاءا للفراغ مع قلة البرامج الخيرة وندرتها ...

وما إلى ذلك من أسباب ودوافع تختلف من بلد لآخر ....] (١) •

وأصبحت هذه الوسائل على كثرتها وتنوعها - تزاحم الأسرة والمدرسة فى التأثير على الناشئة بوجه خاص . وجميع طبقات المجتمع بوجه عام •

وتشد الجميع إليها شدا . وتستأثر بهم عما سواها استئثارا .

ومن هنا يكمن الخطر فى هذا الوسائل . خاصة وأن الكثير منها ومما تقدمه فى بلادنا العربية الإسلامية مستورد من خارجها . ومصمم بقصد إفسادنا وإفقارنا . فى الحاضر والمستقبل •

إن هذه الوسائل - بما تقدمه - تعتبر غزو فكريا جديدا يروج للقيم والمبادىء التى تخدم أعداءنا . وتعرقل عملية التقدم نحو الإسلام •

إنه استخدام لأساليب الإبهام والإيحاء بأن الإسلام هو سبب تأخر المسلمين . وأن المذاهب الأخرى هى سبب تقدم أصحابها .

حتى يتوهم الشباب والناشئة أن التقدم قرين التخلى عن دينهم وقيمهم إلى التبعية للشرق أو الغرب !!

إنه استخدام للجانب الغريزى فى الإنسان للتأثير عليه بإعلاء شأن الجنس . واللذة واللهو . وتعاطى المخدرات . وترويج للأهواء والرغبات الفردية الشاذة لتوسيع دائرة التحلل وتمكين السيطرة والظلم ..

إنه ترويج للأعمال التى تبدد العقل . وتهدد الطاقات الإنتاجية . وتصرف الشباب إلى اللهو وضياع الإنتاج . مثل : الغناء المثير . وإشاعة مقدمات الجنس ومحركات الشهوة كالرقص والعرى . إنه تهديد للأمن والاستقرار النفسى

---

(١) المدخل إلى علم الدعوة : د. محمد أبو الفتح البيانونى ص ٣١٩ - ٣٢٠ •

للفرد والمجتمع ببث وسائل الرعب والتخويف من قدرات أعداء الإسلام والمسلمين . ومن قوة وسائلهم المتطورة . لإتاحة الفرصة للتوتر والأنانية والصراع والسلبية واللامبالاة . وكل ما يخدم أعداء الإسلام (١) .

موقف العلماء المسلمين من الوسائل المكتسبة :

لما لم يرد نص شرعي صحيح وصريح بحل هذه الوسائل أو بحرمتها اجتهد العلماء المسلمون بشأنها . واختلفت مواقفهم تجاهها .

أ - فمنهم من حكم بحرمتها المطلقة . فحارب وجودها . وكسر أجهزتها . وحرم على بيته دخولها ...

ب - ومنهم من حكم بحرمتها المشروطة . فقاطعها وابتعد عنها للسلامة من شرها . لأن الأصل فيها الحرمة .

جـ - ومنهم من حكم بإباحتها المشروطة .فشارك فيها مشاركة فردية أو ارتجالية لم تجد في إصلاح واقعها كثيرا ، لأن الأصل فيها الإباحة .

وعلى الرغم من تنوع مواقف العلماء تجاه هذه الوسائل الحديثة . لم يحصل تغيير يذكر في واقعها .

وإنما كثر شيوعها وانتشارها . وعظم تأثيرها في الكبار والصغار . وأقبل عليها الناس مستسلمين لواقعها . مستقبلين ما تبثه عليهم من خير أو شر . وإن كان غالب ما تبثه مشوب اختلط فيه الحلال بالحرام . وإن كان يختلف قلة وكثرة من بلد إلى آخر (٢) .

---

(١) القدوة الحسنة أخلاق قرآنية . ونماذج ربانية - حسن أدهم جرار ص ٢٥ - ٢٦ ط ١ دار الضياء للنشر والتوزيع . عمان . الأردن ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م.

(٢) وسائل الدعوة : د. الجيوشي ص ٦٣ بتصرف والمدخل إلى علم الدعوة د./ البيانوني ص ٣٢٠ بتصرف .

تعليق على آراء العلماء تجاه الوسائل المكتسبة :

لا يشك عاقل فى أن مواقف العلماء المسلمين من هذه الوسائل حرمة مطلقة . أو مشروطة . أو إباحة مشروطة . ترجع إلى :

أ - حرصهم الشديد على حفظ الإسلام الحنيف - عقيدة. وشريعة وأخلاقا . وسلوكا - من عبث العابثين فىأى زمان ومكان.تحت أى مسمى من المسميات •

ب - حرصهم الشديد على سلامة واستقلالية الشخصية الإسلامية للفرد والمجتمع من الذوبان فى غير المسلمين انبهارا بهذه الوسائل الحديثة •

جـ - حرصهم الشديد على مواكبة أو مسايرة المسلمين لمستجدات الحياة المعاصرة دون المساس بالقيم والمبادىء الإسلامية •

الرأى الأقرب إلى الصواب فى هذه الوسائل المكتسبة :

لقد اشتملت هذه الوسائل الحديثة - نظرا لما يعرض فيها - على ثلاثة أنواع من أنواع الوسائل من حيث الحكم الشرعى عليها . وهذه الأنواع :

١ - **الوسيلة المباحــة** (١) : نظرا لما يعرض فيها من خير أو مباح •

٢- **الوسيلة المشوبة**(٢) : نظرا لما يعرض فيها من برامج اختلط فيها الخير بالشر أو الحلال بالحرام •

٣- **الوسيلة المختلف فى حكمها** (٣) : نظر لما تقوم عليه من أنواع التصوير والتمثيل الذى اختلف العلماء فى حكمه •

---

(١) وهى الوسائل التى سكت المشرع عن القول فيها بحل أو حرمة . كالأناشيد والحدود وهذه لا بأس باستخدامها •

(٢) وهى الوسائل التى اختلط فيها الحلال بالحرام . كالوسائل العصرية . وهذه لا بأس باستخدامها إلى أن تطهر مما خالطها •

(٣) التى قال عنها بعض العلماء بالحل . وبعضهم بالحرمة . كالتصوير والتمثيل . وهذه لها ضوابطها ستأتى فيما بعد إن شاء الله تعالى •

وهذا التنوع جعل الحكم الشرعى عليها صعبا ومعقدا . كما جعل عملية علاجها صعبة وشاقة .

فلا نستطيع أن نحكم بتحريمها مطلقا لمجرد غلبة الشر عليها .

إذ أن هذه الغلبة تتفاوت من مكان إلى آخر . ومن وقت إلى آخر . ومن وسيلة إلى اخرى . بل من برنامج إلى آخر ......

كما لا نستطيع أن نحكم بحلها مطلقا مع ما خالط برامجها من محرمات ومفاسد قلت أو كثرت .

ولا نستطيع أن نعاملها معاملة المختلف فيه من كل وجه . لأن المحرمات والمفاسد التى تعرض فيها ليست من المحرمات ظنية التحريم التى اختلف العلماء بشأنها (١) .

يضاف إلى ذلك : أن كثيرا من هذه الوسائل الحديثة لا يخلو منها بيت - مسلم أو غير مسلم . مثقف أو غير مثقف - فى هذا العصر . حتى اقتحمت على الناس مضاجع نومهم .

ولو أعرض عنها المسلمون كلية . فكان هذا الإعراض بمثابة ترخيص أو موافقة على ما يفعله الخصم . وترك الميدان لهذا الخصم يفعل فيه ما يشاء . وكيف يشاء . ومتى يشاء . وأين يشاء . دون أية معارضة أو ممانعة .

مع العلم أن هذا الخصم متعدد الأسلحة والقوى . منها :

[القوى الإلحادية . والقوى العلمانية . والقوى التبشيرية . والقوى المثيرة للغرائز والشهوات ... يحاول كل منها أن يعرض أفكاره واتجاهاته من خلال الصوت أو الصورة أو التمثيل . فهل من الحكمة وسداد الرأى أن نترك هؤلاء يصولون ويجولون ونقف نحن سلبيين أمام هذه الوسائل الحديثة .

---

(١) المدخل إلى علم الدعوة : د. البيانونى ص ٣٢١ بتصرف .

أم نتخذ مواقف إيجابية نستطيع بواسطتها أن نسخر هذه الأجهزة لخدمة دعوتنا . وسيادة مبادئنا وقيمنا . وننطلق بها إلى دائرة أوسع .... ؟!] (١) •

إذاً : ليس من الحكمة أن يترك دعاة الإسلام هذه الوسائل الحديثة لينفرد بها الخصم لنشر مبادئه وأفكاره •

بل لابد أن يتخذوا مواقف إيجابية لإفادة الإسلام والمسلمين من هذه الوسائل في كل زمان ومكان •

- ثم إن هذه الوسائل مستحدثة . والأصل في الأشياء الإباحة ما لم يرد نص بالتحريم . أو ما لم تصطدم بأصل شرعي •

- كما أن هذه الوسائل تكون حراما أو حلالا بمقدار اتفاق أو اختلاف ما يعرض فيها مع الإسلام ومبادئه . ومع عادات المسلمين وتقاليدهم .

- فلو وجهت هذه الوسائل توجيها سليما لخدمة الإسلام والمسلمين تلاوة وتفسيرا للقرآن الكريم . وقراءة وشرحا للسنة الشريفة وبسطاً وتبسيطا لأحكام الفقه الإسلامي . لكان ذلك أبلغ أثرا في نشر دين الله تعالى . وإشاعة الخير - ماديا ومعنويا - بين الناس •

[وبهذا المسلك نكون قد وجهنا الأجهزة لتخدم قيمنا ودعوتنا . وتكون عاملا من عوامل إشاعة الخير في المجتمع وسلامته مما يعطل نموه واستقراره] (٢) •

---

(١) وسائل الدعوة : د. الجيوشي ص ٦٤ •

(٢) وسائل الدعوة : د. الجيوشي ص ٦٥ •

المطلب الثالث
الوسائل التطبيقية العملية

مفهومها :

هى الوسائل التى تطبق وتنفذ فيها الوسائل الفطرية والمكتسبة ٠

أمثلتها :

المساجد . والجمعيات . والمراكز الإسلامية والمخيمات والمعسكرات . والأندية [التى تقام لاستقبال مجموعات من الشباب وتدريبهم عمليا على أخذ أنفسهم بالالتزام بالإسلام عقيدة وسلوكا وأخلاقا وتعاملا] (١) ٠

وتضاف إلى تلك الوسائل التطبيقية العملية : وسيلة الجهاد ٠

تقييمها :

كل وسيلة من هذه الوسائل التطبيقية له وضع خاص يتناسب مع تأثيره النفسى والروحى فى قلوب الناس ومشاعرهم ٠

فما يتناسب مع المنتديات والمعسكرات وأماكن التجمعات . قد لا يتناسب مع المساجد . وإن كانت جميعها تؤدى إلى هدف واحد. وغاية واحدة (٢) ٠

المساجد أو الجوامع :

المساجد هى كل مكان فى الأرض إلا المنصوص عليه فى الشرع كالأضرحة أو المقابر . وأماكن النجاسات (٣) . لقوله ﷺ : ... وجعلت لى الأرض مسجدا

---

(١) وسائل الدعوة . د. الجيوشى ص ٦٥ ٠

(٢) السابق ص ٦٦ ٠

(٣) كقوله ﷺ: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وكنهيه ﷺ عن الصلاة فى مرابض الإبل والغنم ٠

وطهورا (١) - وبالتالى فهو أعم من الجامع ٠

والجامع هو كل مكان يتجمع فيه المسلمون فى الجمع والجماعات والأعياد فهو أخص من المسجد ٠

والمساجد أو الجوامع هى أول الرسائل العملية التطبيقية التى يباشر فيها التطبيق العملى لمناهج الدعوة وأساليبها ووسائلها الفطرية والمكتسبة ٠

مكانتها فى الإسلام وفى نفوس المسلمين :

للمسجد مكانة مرموقة فى الإسلام .

ولها فى نفوس المسلمين كل التقدير والإجلال والالتزام بكل ما يتناسب مع قدسيتها المغروسة فى القلوب والمشاعر ٠

- لأنها بيوت الله تعالى . وما يجوز فى بيوت الناس قد لا يجوز فيها . وما يجوز فيها لابد أن يسود فى بيوت المسلمين . إذ لا يذكر فى المساجد إلا اسم الله تعالى. وما يتعلق بأمر العقيدة.وطرق العبادة . ومناهج السلوك التى شرعها الله ... قال تعالى - وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا (٢) - ولأن المساجد تمثل فى حياة المسلمين مراكز التجمع . والاتجاه إلى الله تعالى والإقامة فى ضيافته الكريمة (٣) . كما يفهم ذلك من قول النبى ﷺ من توضأ فى بيته . فأحسن الوضوء . ثم أتى المسجد . فهو زائر لله وحق على المزور أن يكرم زائره (٤) ٠

- **يضاف إلى ذلك :** أن المساجد لها أكبر الأثر فى نفوس المسلمين ومشاعرهم . ومختلف مجالات حياتهم الروحية والمادية ٠

---

(١) صحيح البخارى كتاب الطهارة باب التيمم ٠

(٢) سورة الجن الآية : ١٨ ٠

(٣) وسائل الدعوة ص ٦٦ ٠

(٤) الترغيب والترهيب جـ ١ ص ١٣٠ ٠

من أجل ذلك كله . كان المسجد هو أول عمل أقامه النبى ﷺ بعد أن استقر به المقام بالمدينة المنورة . واشترك ﷺ فى بنائه مع أصحابه الكرام من المهاجرين والأنصار وهم ينشدون :

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ∴ فاغفر للأنصار والمهاجرة

فالمسجد بهذا يعتبر أول عمل تعاونى عام . وَحّدَ بين القلوب . وأظهر الهدف العام لعمل النبى ﷺ وصحابته الكرام .

وقد كان لكل حى فى المدينة – قبل هجرة النبى ﷺ – مكان يلتقون فيه . فيسمرون ويسهرون . وينشدون الأشعار . فكانت هذه الحال تدل على التفرقة والاختلاف .

وعندما بنى المسجد . كان مركز المسلمين جميعا . ومكان تجمعهم . يلتقون به فى كل وقت . ويسألون رسول الله ﷺ فيعلمهم ويرشدهم ويوجههم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم . وبهذا تجمعت الأندية . والتفت الأحياء . واقتربت القبائل . وتحابت البطون وانقلبت التفرقة إلى وحدة . ولم تعد فى المدينة جماعات . بل جماعة واحدة . ولم تعد زعامات . بل قائد واحد هو رسول الله ﷺ يتلقى من ربه الأوامر والنواهى . ويعلم أمته ، فأصبح المسلمون صفا واحد . وامتزجت النفوس والعقليات وتقوت الوحدة . وتآلفت الأرواح . وتعاونت الأجسام .

وظيفة المسجد فى العهد النبوى الشريف والسلف الصالح :

استخدم النبى ﷺ وسلفنا الصالح المسجد فى كل شئون الحياة الدينية والدنيوية . كالصلاة وغيرها من ألوان العبادة . وأمور العقيدة . والتعليم والسياسة والحرب والسلام وبعث البعوث وإرسال الكتب واستقبال الوفود .

وأمور الطب (١) والرياضة (٢) .

فلم يكن المسجد في عهد النبوة والسلف الصالح مكانا لأداء الصلوات فحسب . بل كان جامعة يتلقى فيها المسلمون تعاليم الإسلام وتوجيهاته . ويجتمعون فيه . فتلتقي العناصر القبلية المختلفة التي طالما نافرت بينها النزعات الجاهلية وحروبها .

كما كان قاعدة لإدارة جميع الشئون . وبث الانطلاقات . وموضعا للمجالس الاستشارية والتنفيذية .

فكان هيئة نشطة تؤدى أكثر من هدف : ديني واجتماعي . وثقافي وسياسي ... الخ .

وكان في مقدمة هذه الأهداف اتخاذ المسجد كمؤسسة دعويه وثقافية لتعليم المسلمين وأبنائهم أمور دينهم ودنياهم .

فقد روى البخارى عن أبي واقد الليثي . أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر . فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد .

قال : فوقفا على رسول الله ﷺ . فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها . وأما الآخر فجلس خلفهم . وأما الثالث فأدبر .

---

(١) يدل على ذلك الخيمة التي أمر بها فأقيمت في مسجده إبان غزوة الخندق . واختار السيدة رفيدة الأسلمية لمعالجة جرحى المسلمين الذين يصابون في المعركة . فلما أصيب سعد بن معاذ رضي الله عنه . قال ﷺ لأصحابه : أجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب - صحيح مسلم كتاب الجهاد باب جواز قتال من نقض العهد جـ ١٢ ص ٩٤ .

(٢) يدل على ذلك لعب الأحباش بسهامهم في المسجد النبوى الشريف . وكان ﷺ ينظر إليهم . ومن خلفه السيد عائشة رضي الله عنها .

فلما فرغ رسول الله ﷺ قال : ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ؟ !

أما أحدهم : فأوى إلى الله فآواه الله ، وأمـــا الآخر فاستحيا . فاستحيا الله منه . وأما الثالث فأعرض . فأعرض الله عنه (١) .

وقد ألقت دعوة النبي ﷺ وتعاليمُهُ السامية بمسجده الشريف بُذُورَهَا في تربة خصبة فأنتجت جماعة من أعظم الرجال قدراً . فكانوا الحفظة على نصوص القرآن الكريم . وهم وحدهم الذين وعوها عن ظهر قلب . وهم الحراس الحريصون المتحمسون لحفظ كل ما روى عن النبي ﷺ . من وصايا ... ولقد تألفت من هؤلاء جماعة الإسلام المبجلة الذين انبثقت منهم يوما طبقة الأجلاء من أوائل الفقهاء والأصوليين والمحدثين والدعاة في المجتمع الإسلامي (٢) .

وعلى هذا . فقد أصبح مسجد النبي ﷺ . هيئة علمية دعوية يتلقى فيها المسلمون أحكام دينهم ودنياهم . متحلقين حول النبي ﷺ وحول صحابته الكرام من بعده . ثم حول العلماء في كل زمان من بعدهم إلى اليوم . وإلى ما شاء الله رب العالمين .

يروى ابن خلكان : أن حلقات الدرس كانت تعقد بالمسجد النبوى . في المدينة المنورة . ومن أشهرها حلقة ربيعة الرأى . فقيه أهل المدينة . أدرك جماعة من الصحابة رضى الله عنهم . وعنه أخذ مالك بن أنس رضى الله عنه (٣) .

وقد ظل المسجد في تاريخ المسلمين مؤسسة تعليمية للصغار والكبار . وأول الأمكنة التي تحقق الأهداف العملية لتربية الناس بعامة والناشئة والشباب بخاصة .

---

(١) صحيح البخارى كتاب العلم جـ ١ ص ٢٤٨ .

(٢) الحضارة العربية الإسلامية . د. حسن على الخربوطلى ص ٣٢٩ ط مكتبة الأنجلو المصرية بدون تاريخ .

(٣) وفيات الأعيان . لابن خلكان جـ ٢ ص ٢٨٨ ط دار صادر بيروت بدون تاريخ .

وَجَدّت المساجدُ فى آداء وظيفتين هامتين :

أولاهما : تربية الناس وتعليمهم طرق العبادة الصحيحة . وعلى رأسها الصلاة . باعتبارها العبادة المستمرة الممارسة فى الحياة اليومية . والملازمة للمسلم منذ نشأته . وباعتبارها عمود الدين ٠

ثانيتهما : نشر التعليم الدينى والدنيوى حيث يمثل المسجد المؤسسة التعليمية الأولى فى عهود الإسلام المختلفة (١) . حتى إن الداخل إلى المسجد كان يرى فيه : جماعة تصلى (٢) . وأخرى تقرأ القرآن الكريم . وثالثة تفسرد . ورابعة للحديث وعلومه وخامسة للفقه وسادسة للأدب والشعر ... وهكذا ٠

وقد حرص المسلمون أثناء حركة الفتوح الإسلامية على إقامة المساجد فى كل إقليم ينزلون فيه لتكون مراكزاً لنشر الدين الإسلامى . وهيئات تعليمية وتربوية لنشر العلم والمعرفة بين الصغار والكبار من الرجال والنساء . وكان الفاتحون يطلبون من الخلفاء من يعلم فى هذه المساجد – فقد كتب يزيد بن أبى سفيان إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه . أن :هل الشام قد كثروا وملأوا المدائن . **واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن الكريم ويفقههم . وطلب يزيد من عمر أن يبعث إليه برجال يعلمونهم . فبعث عمر معاذا وعبادة وأبا الدرداء . فصار الأول والثانى إلى فلسطين . وصار الثالث إلى دمشق (٣) ٠**

---

(١) مشكلات الشباب والحلول المطروحة والحل الإسلامى . د. عباس محجوب ص ١٢٨ كتاب الأمة . رقم ١١ جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ ٠

(٢) قد تكون جماعة تخلفت عن الجماعة الأولى ٠

(٣) الإسلام والحضارة العربية : محمد كرد على جـ ١ ص ١٧٠ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٦٨م٠

وقد تفرق العلماء من الصحابة الكرام فى الأمصار الإسلامية فقاموا فيها بحركة علمية ودعوية واسعة والتف حولهم تلاميذ أخذوا العلم عنهم وأذاعوه بين الناس . ولم يكن جميع هؤلاء من العرب بل كان منهم من الموالى .

-- وكانت عناية المسلمين فى صدر الإسلام مقصورة على العلوم الدينية . وهى القرآن الكريم وتفسيره . والحديث وروايته . واستنباط الأحكام الفقهية . والفتاوى الشرعية . فيما يَجدّ من مشاكل . وما يعرض من أحداث .

ولذلك يلاحظ أن العلوم المتصلة بالدين قد انتشرت فى عهد بنى أمية – وما قبله .

بخلاف ما كانت عليه الحال فى أيام العباسيين – وما بعدهم – الذين اشتغلوا بالعلوم العقلية أيضا كالطب والفلسفة والرياضيات وغيرها (١) روى الإمام السيوطى : أن دورسا مختلفة رتبت فى الجامع الطولونى . وقد شملت التفسير والحديث . والفقه على المذاهب الأربعة. والقراءات والطب والميقات – الفلك – حتى جعل من جملة ذلك وقفا على الديكة تكون فى سطح الجامع فى مكان مخصوص بها . لأنها تعين الموقتين وتوقظهم فى السحر (٢) .

ويتضح من ذلك :

أن الحلقات العلمية بالمساجد لم تكن مقصورة على الدراسات الدينية . وإنما تعدتها إلى سواها من معارف العصور .

وكان من أوائل المساجد التى أنشئت بعد حركة الفتوح الإسلامية وكان لها دور بارز فى نشر العلم بين المسلمين :

---

(١) تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى : د. حسن ابراهيم حسن جـ ١ ص ٥٠٨ ط مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٧٩م.

(٢) حسن المحاضرة : للسيوطى جـ ٢ ص ٢٤٩ ط . الحلبى بمصر ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨م.

مسجد البصرة الذى أسسه عتبه بن غزوان سنة ١٤ هـ .

والمسجد الأقصى بالقدس الذى افتتحه الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة ١٥ هـ .

ومسجد الكوفة الذى أسسه سعد بن أبى وقاص سنة ١٧ هـ .

ومسجد عمرو بن العاصى بمصر الذى أسسه عمرو بن العاصى سنة ٢١ هـ .

ومسجد القيروان بالمغرب الذى أسسه عقبة بن نافع الفهرى سنة ٥٠ هـ .

والمسجد الجامع الأموى بدمشق الذى أسسه الوليد بن عبد الملك سنة٨٨هـ .

وجامع الزيتونة بتونس الذى بناه الوالى الأموى عبد الله بن الحجاب سنة ١١٤ هـ .

وجامع المنصور ببغداد الذى أسسه الحجاج بن أرطأة بأمر من الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور سنة ١٤٥ هـ .

وجامع قرية بالأندلس الذى أسسه عبد الرحمن الداخل بقرطبة سنة ١٧٠ هـ .

وجامع القرويين بالمغرب الذى أسسته فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهرى القيروانى سنة ٢٤٥ هـ .

وجامع ابن طولون بمصر الذى أسسه أحمد بن طولون سنة ٢٥٦ هـ .

والجامع الأزهر بمصر الذى أسسه جوهر الصقلى . قائد الخليفة المعز لدين الله الفاطمى سنة ٣٥٩ هـ (١) .

وهذا الجامع يُعَدّ من أقدم وأشهر المساجد التى أدت أعظم الأدوار فى خدمة الدعوة والثقافة الإسلامية . ونشرها فى شتى أرجاء المعمورة .

---

(١) الأزهر جامعا وجامعة : محمد كمال السيد المحامى ص ٧ ط مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م.

ولا ترجع مكانتـه إلى قدمـه - فقـد أنشئت قبلـه وبعده مساجد عدة - كما سبق القول -

[ولكن ترجع مكانته إلى الدور الذى اضطلـع بـه أكثر مـن غـيره فـى التـاريخ الإسلامى . من المحافظة على العلوم الدينية . والثقافة الإسلامية واللغة العربية -- لغة القرآن الكريم وأنه كان - ولا يزال - مقصدا للطلاب والدارسين من كل البلاد الإسلامية يحجون إليه ليتزودوا من شيوخه العلم والمعرفة .

ويعتبر الأزهر أقدم الجامعات العالمية القائمة الآن . لا فى البلاد الإسلامية فحسب . بل فى جميع أنحاء العالم .

فجامعات أوربا وأمريكا . لم تنشأ إلا بعده بحوالى قرنين من الزمان فجامعة باريس أنشئت فى القرن الثانى عشر الميلادى .

وجامعة اكسفورد بانجلترا فى القرن الثالث عشر الميلادى .

وجامعة لوفان ببلجيكا . وأوبسالا بأسبانيا أنشئتا فى القرن ١٥ م .

وأنشئت جامعات : أشبيليه فى أسبانيا . وجامعة المكسيك .

وجامعة بوجاتا فى كولومبيا . وجامعة القديس مرقص فى ليما عاصمة بيرو فى القرن السادس عشر الميلادى .

وأنشئت جامعة قرطبة الوطنية فى الأرجنتين فى القرن السابع عشر الميلادى ... وهكذا (١) .

وهكذا كان المسجد أو الجامع فى الإسلام له أعظم الأدور فى نشر الدعوة والثقافة الإسلامية التى تؤدى إلى سعادة الإنسان فى عاجل أمره وآجله .

---

(١) السابق ص ٨ .

وهذه الوظيفة التى قام بها المسجد – ولا يزال – يجب أن تكون دائما فى كل زمان ومكان . لتربط حياة الناس كلها بمبادىء الدين وتوجيهاته الرشيدة فى أمور الدين والدنيا معا .

[وقد تنبه لأهمية وظيفة المسجد فى حياة المسلم . رؤساء الأقليات الإسلامية فى بلاد غير المسلمين . فجعلوا المسجد مركزا للنشاط الإنسانى فى مجالات الحياة المختلفة ليربطوا المسلمين بمساجدهم . وليعطوهم المثل العملى . بأن هناك من يقوم على رعايتهم ورعاية أبنائهم فى مجالات التعليم . والصحة والخدمات الاجتماعى . والتدريب على بعض الأعمال التى نقتضيها الحياة المعاصرة . والتى لا تتعارض مع قيم الإسلام ومبادئه] (١) .

الجمعيات الإسلامية :

من أهم الوسائل الدعوية التطبيقية : الجمعيات الإسلامية .

مفهومها :

هى عقد أخوة فى الله . يؤدى إلى ارتباط المسلم بأخيه المسلم فى أى مجال من مجالات الحياة للتعاون على مرضاة الله فى ضوء كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وهدى سلفنا الصالح .

أهميتها :

تظهر أهمية الجمعيات أو التجمعات الإسلامية من عدة جهات : من جهة الشكل . ومن جهة المضمون . ومن جهة الهدف .

فمن جهة الشكل : تعتبر الجمعية أو التجمع عملا جماعيا تشترك فيه مجموعة أفراد . وليست عملاً فردياً يقوم بـه فـرد واحـد . والعمل الجماعى أفضل من

---

(١) وسائل الدعوة : د. / الجيوشى ص ٦٨ .

العمل الفردى . لورود الأمر به فى الكتاب والسنة . كقوله تعالى : واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا (١) - وكقوله ﷺ - عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة . فإن الشيطان مع الواحد . وهو من الاثنين أبعد . ومن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة (٢) .

أما من جهة المضمون . فإن العمل الجماعى يقوم على أسس رئيسه أهمها :

١- التخطيط والتنظيم . لأنه يقوم على مناهج مدروسة .

٢- التطبيق والتنفيذ . لأنه يقوم على أساليب حكيمة .

٣- المتابعة الدقيقة للأمرين السابقين . لأنه يراقب من أكثر من فرد .

وإذا : لأن العمل الجماعى أقدر على الوصول إلى التخطيط والتنظيم الكاملين الأمثلين . انطلاقا من المشورة التى شرعها الإسلام للوصول إلى الأصوب فى جميع الأمور . ولن تكون هناك مشورة إلا إذا كان هناك جماعة تتشاور فى أمورها لتأخذ بالرأى الأمثل قال تعالى - وأمرهم شورى بينهم (٣) .

- كما أن العمل الجماعى أقدر على التطبيق الصحيح للخطط والتنظيمات . وعلى المتابعة الدقيقة الكاملة للتخطيط وتطبيقاته فى الواقع الملموس . من العمل الفردى الذى يقصر تخطيطه غالبا على تخصصه ومقدار ثقافته . وحدود بيئته وعاداته وإمكاناته .. الخ .

ويصعب على الفرد تطبيقه .

ويضعف صاحبه عن متابعته .

---

(١) سورة أل عمران من الآية : ١٠٣ .

(٢) رواه الترمذى ٢٢٥٤ .

(٣) سورة الشورى من الآية : ٣٨ .

وذلك انطلاقا من الحكمة القائلة – المرء قليل بنفسه ، كثير باخوانه ،

وأما من جهة الهدف . فإن العمل الجماعى الإسلامى دائما يهدف إلى التعاون على تحقيق مرضاة الله تعالى . وهذا هو أسمى ألوان البر الذى يجب أن يتعاون عليه المسلمون . قال تعالى : وتعاونوا على البر والتقوى . ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ... (١) ،

ويضاف إلى ذلك كله :

أنه لاشك فى أن الاجتماعات واللقاءات الدورية المنظمة بين المسلمين من وقت لآخر . تترك أثرا بالغ الأهمية فى نفوس المترددين على هذه الاجتماعات والملتزمين بها . انطلاقا من قاعدة التأثير والتأثر بين الناس ،

كما أن لهذه الاجتماعات بالغ الأثر فى تحقيق الأهداف التى ينادى بها القائمون على هذه الجمعيات من الدعاة والمصلحين ،

الدليل على مشروعية الجمعيات وأهميتها كوسائل دعوية :

يدل على ذلك أن النبى اتخذ هذه الوسيلة الدعوية فى البدايات الأولى للدعوة الإسلامية فى مكة المكرمة ،

إذ لما كثر عدد المسلمين كان يجتمع بهم النبى ﷺ فى دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى لتعليمهم أمور دينهم ،

فهى أول جمعية إسلامية متخصصة لتربية وتعليم الدعاة فى التاريخ الإسلامى ،

وكان من أثر هذه الدار . والاجتماع المستمر فيها بين الرسول ﷺ وأصحابه الكرام . أن نصر الله الإسلام والمسلمين بإسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ،

---

(١) سورة المائدة من الآية :٢ ،

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : خرج عمر متقلدا السيف . فلقيه رجل من بنى زهرة . فقال : أين تعمل يا عمر ؟ . قال : أريد أن أقتل محمدا . قال : وكيف تأمن بنى هاشم وبنى زهرة . إن قتلت محمدا ؟

فقال له عمر : ما أراك إلا قد صبأت . وتركت دينك الذى أنت عليه قال : أفلا أدلك على العجب يا عمر . إن أختك وختنك قد صبآ . وتركا دينك الذى أنت عليه . فمشى عمر ذامرا (١) حتى أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له : خباب . فسمع خباب حس عمر فتوارى فى البيت . فدخل عليهما . فقال : ما هذه الهينمة (٢) التى سمعتها عندكم ؟ ! قال : وكانوا يقرؤون – طه – فقالا : ما عدا حديثا تحدثناه بيننا . قال : فلعلكما قد صبأتما . فقال له ختنه : أرأيت يا عمر إن كان الحق فى غير دينك إفوثب عمر على ختنه فوطئه وطئا شديدا . فجاءته أخته فدفعته عن زوجها . فنفحها نفحة (٣) بيده فدمى وجهها . فقالت وهى غضبى : ياعمر إن كان الحق فى غير دينك . أشهد أن لا إله إلا الله . وأشهد أن محمدا رسول الله فلما يئس عمر قال : أعطونى هذا الكتاب الذى عندكم فأقرأه – وكان عمر يقرأ الكتب . فقالت أخته : إنك رجس . ولا يمسه إلا المطهرون . فقم فاغتسل أو توضه . فقام فتوضأ . ثم أخذ الكتاب فقرأ – طه – حتى انتهى إلى قوله تعالى : إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى (٤) .

---

(١) أى متهددا .

(٢) الصوت الخفى .

(٣) ضربها ورماها .

(٤) سورة طه الآية : ١٤ .

فقال عمر : دلونى على محمد . فلما سمع خباب قول عمر . خرج من البيت فقال : أبشر يا عمر . إنى أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ ليلة الخميس : اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام ٠

قال : ورسول الله ﷺ فى الدار التى فى أصل الصفا - دار الأرقم - فانطلق عمر حتى أتى الدار - دار الأرقم - وحمزة وطلحه فى ناس من أصحاب رسول الله ﷺ. فلما رأى حمزة رضى الله عنه وجل القوم من عمر . قال : نعم فهذا عمر . فإن يرد الله بعمر خيرا يسلم . ويتبع النبى ﷺ وإن يرد غير ذلك يكن قتله علينا هينا ، قال : والنبى ﷺ داخل يوحى إليه . فخرج رسول الله ﷺ حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه حمائل السيف . فقال : ما أراك منتهياً يا عمر حتى ينزل الله بك - يعنى من الخزى والنكال - ما أنزل بالمغيرة بن المغيرة . اللهم أهد عمر ابن الخطاب . اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب فقال عمر رضوان الله عليه : أشهد أنك رسول الله . وقال أخرج يا رسول الله (١) ٠

وبإسلام عمر رضى الله عنه خرج رسول الله ﷺ من دار الأرقم إلى المسجد الحرام وسماه الفاروق لأن الله تعالى فرق به بين الحق والباطل . وهذا يؤكد أهمية الجمعيات والتجمعات الإسلامية لأنها تأتى بآثار طيبة فى تحقيق الأهداف التى ينادى بها الدعاة فى أى زمان ومكان ٠

أهمية الجمعيات كوسيلة دعوية فى العصر الحاضر للمسلمين فى الداخل والخارج :

هذه الوسيلة الدعوية الفعالة لها أهمية كبرى . وضرورة ملحة فى العصر الحاضر للمسلمين داخل بلاد الإسلام ٠

---

(١) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب للإمام عبد الرحمن بن الجوزى ص ١٥ - ١٧ تحقيق د. زينب ابراهيم القاروط . ط دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ ٠

[فقد واجهت المجتمعات الإسلامية فى هذا العصر طوفانا من الآراء والأفكار الوافدة التى تحاول أن تشغل المسلمين عن دينهم . وتصرفهم عن الالتزام بما يدعو إليه من منهج سوى يشمل كل جوانب الحياة فى مجالاتها المتعددة : ثقافية . أو اجتماعية . أو اقتصادية . إلى غير ذلك مما تستدعيه الحياة من علاقات وأنشطة .

فنرى وسائل الإعلام تنقل بوعى أو بغير وعى ما يسود فى المجتمعات الغربية متعلقا بالمرأة وسلوكها أو بالأسرة وأوضاعها . أو بالمجتمع ككل من مظاهر تعتبر نشازا فى سلوك المجتمع المسلم .

وترك مثل هذه التيارات بدون مواجهة . قد يؤدى إلى فساد كبير فى سلوك الأسرة ونظامها . ومنهج التربية الذى يؤثر فى توجيه الأجيال الجديدة ونظرتها إلى الحياة] (١) .

فإقامة الجمعيات أو التجمعات الإسلامية يعتبر حفاظا ووقاية للمجتمع المسلم من هذه التيارات الموجهة التى تحاول شغل المسلمين عن دينهم وما يقرره من تنظيمات رشيدة لشتى مجالات الحياة .

وإذا كانت وسيلة الجمعيات الإسلامية ضرورية ولازمة للمجتمعات الإسلامية داخل بلاد الإسلام .

فإنها تكون أشد ضرورة ولزوما للأقليات المسلمة التى تعيش فى بلاد غير مسلمة . وذلك لأن أفراد هذه الأقليات[يواجهون فى كل خطوة من خطواتهم . وفى كل مجال يشتركون فيه . أو يعملون به . هذه التيارات التى تعارض على خط مستقيم ما يؤمنون به من مبادىء . وما يريدون أن يربوا عليه أطفالهم من قيم وأخلاق وسلوك] (٢) .

---

(١) وسائل الدعوة . د. الجيوشى ص ٧٢ .

(٢) السابق ص ٧٣ .

أنواع الجمعيات الإسلامية :

يمكن أن تنوع الجمعيات الإسلامية إلى نوعين :

١ - الجمعيات الرسمية أو الحكومية . وهى التجمعات التى تقيمها الدولة وتشرف عليها . أو معترفا بها من قبل الدولة . وذلك مثل : مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف . أو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف . أو رباطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة . أو هيئة الإغاثة العالمية . والندوة العالمية للشباب الإسلامى . أو غير ذلك من التجمعات الإسلامية فى شتى أنحاء العالم الإسلامى .

٢ - الجمعيات الأهلية أو الشعبية . وهى التجمعات التى يقيمها فعال الخير من الأفراد والجماعات خدمة لدينهم وأمتهم .وذلك مثل : جمعيات البر . والجمعية الشرعية . وجمعية دعوة الحق أو غير ذلك من التجمعات الإسلامية فى شتى أنحاء العالم الإسلامى .

ولكى تكون هذه الجمعيات الأهلية مثمرة ومفيدة لابد أن يكون عملها علانية . وتحت سمع وبصر المسئولين بالدولة . وإلا فيكون ضررها أكبر من نفعها . والواقع خير دليل !!!

وكلا النوعين ينقسم فى شكله العام إلى ثلاثة أقسام هى :

أ - جمعيات تهتم بالتربية الإسلامية لكل أبناء المسلمين فى شتى مجالات حياتهم فى جميع أنحاء العالم .

ب - جمعيات تهتم ببعث الشعور الدينى فى النفوس والمحافظة عليه .

جـ - تهتم بتنشئة الأجيال المعاصرة على الانتماء إلى الجذور الحضارية التى نشأ عليها الآباء والأجداد . وعدم الانبهار بالجديد وحده فهى تقول : الجمع بين الأصالة والمعاصرة .

المنهج العام للجمعيات الإسلامية :

الجمعيات الإسلامية التى تتخذ الإسلام الصحيح شعارا لها . مهما كان مسماها . منهجها شبه متفق عليه وإن اختلفت وسيلة تطبيقه . ويتمثل هذا المنهج فى أمرين رئيسين :

الأول : الاقتداء بالنبى ﷺ فيما فعله بدار الأرقم بن أبى الأرقم . حين كان مجتمع بصحابته الكرام على ما فيه صالحهم وصالح إسلامهم ٠

الثانى : التعاون فيما بينها على تقديم الخير والمنفعة للمسلمين . ودفع الشر عنهم فى كل مكان . انطلاقا من قول الله تعالى : وتعاونوا على البر والتقوى . ولا تعاونوا على الإثم والعدوان .... (١) ٠

أهداف الجمعيات الإسلامية :

الجمعيات الإسلامية الصحيحة . وإن اختلفت مسمياتها . وتنوعت مناهجها . فهى تتفق فى هدفها ، وهو :

حماية الأجيال المسلمة المعاصرة داخل البلاد الإسلامية وخارجها من التأثر بالتيارات غير الإسلامية التى تريد النيل من الإسلام والمسلمين ٠

إذا . هذه الجمعيات ضرورية ولازمة للمجتمع المسلم . ولها دور بارز لا ينكر فى مجال الدعوة إلى الله تعالى ٠

حيث تعتبر من أهم الوسائل الفعالة لتطبيق مبادىء الإسلام فى الحياة المعاصرة . ووضعها موضع التنفيذ لنفع الإسلام والمسلمين (٢) ٠

---

(١) سورة المائدة الآية : ٢ ٠

(٢) السابق بتصرف ص ٧٤ ٠

الفصل الثانى

أنواع الوسائل الدعوية من حيث مجالات استخدامها

تتنوع الوسائل الدعوية من حيث المجالات التى تستخدم فيها إلى : تعليمية . وإعلامية . وقدوة حسنة .

المبحث الأول

الوسائل التعليمية

تستخدم فى مجال التعليم . وهى الوسائل التى يعلم بها الداعية المدعو ما يجهله من أمور دينه أودنياه .

وتتمثل هذه الوسائل التعليمية فى : الكلمة . والدرس . والندوة أو المحاضرة .

المطلب الأول

الكلمة

هى وسيلة دعوية يتوجه بها الداعية لتعليم المدعو حالة كونه فردا واحدا .

وقد استخدم النبى ﷺ هذه الوسيلة فى تعليم وتوجيه كثير من المدعويين . ومن أمثلة ذلك :

جاء رجل إلى النبى ﷺ وقال يا رسول الله . دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس . فقال : أزهد فى الدنيا يحبك الله وأزهد فيما عند الناس يحبك الناس (١) . جاء رجل إلى النبى ﷺ وقال يا رسول الله . قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدا غيرك . فقال : قل أمنت با لله ثم استقم (٢) .

وقال ﷺ لعمر بن سلمة – وهو غلام تطيش يده فى الطعام – يا غلام سم الله . وكل بيمينك . وكل مما يليك (٣) .

---

(١) الترغيب والترهيب جـ ٤ ص ٩٥ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب جامع أوصاف الإسلام جـ ٨ .

(٣) سنن ابن ماجه كتاب الأطعمة باب الأكل باليمين جـ ٢ ص ١٠٨٧ رقم ٣٢٦٧ .

المطلب الثانى

الدرس

هو وسيلة دعوية يتوجه بها الداعية لتعليم المدعو كل ما يجهله - بطريقة سهلة مبسطة - حالة كونه عددا قل أو كثر .

والغالب فى درس الداعية المسلم [أن يكون شرحا لآية من القرآن الكريم .

أو لحديث رسول الله ﷺ . أو بيانا لمسألة أو مسائل من الفقه .

كما أن الغالب فى الدرس أن يحضره عدد قليل من الناس جاءوا قاصدين سماع الدرس مما يعطى فرصة طيبة للداعية أن يتعرف عليهم عن كثب ويوثق علاقته بهم] (١) ويتعهد حضورهم . ويسأل عن غائبهم . كسؤال النبى ﷺ عن ثابت بن قيس لما غاب عن حضور مجلسه حين نزلت الآية الكريمة - يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم تشعرون (٢) - وقد كان ثابت يحرص على الجلوس قرب النبى ﷺ . وكان يرفع صوته عند رسول الله ﷺ . لأن فى أذنيه وقرا . فاعتزل المجلس النبوى الشريف ظنا منه أن الآية نزلت فيه . فقعد فى الطريق يبكى . فمر به عاصم بن عدى من بنى العجلان . فقال : ما يبكيك يا ثابت ؟ قال : هذه الآية . أتخوف أن تكون نزلت فى . وأنا صيتٌ رفيع ... وغلبه البكاء . فأتى امرأته جميلة ابنة عبد الله بن أبى سلول . فقال لها : إذا دخلت بيت فرشى فشدى على الضبة بمسمار . فضربته بمسار . وقال : لا أخرج حتى يتوفانى الله تعالى . أو يرضى عنى رسول الله ﷺ وأتى عاصم رضى الله عنه رسول ﷺ فأخبره خبر

---

(١) أصول الدعوة عبد الكريم زيدان ص ٤٥٨ .

(٢) سورة الحجرات الآية : ٢ .

ثابت بن قيس . فقال ﷺ اذهب فادعه لى – فجاء عاصم رضى الله عنه إلى المكان فلم يجده . فجاء إلى أهله فوجده فى بيت الفرش . فقال له : إن رسول الله ﷺ يدعوك . فقال : اكسر الضبة . فخرجا حتى أتيا النبى ﷺ فقال له رسول الله ﷺ ما يبكيك يا ثابت ؟ فقال رضى الله عنه : أنا صيّتٌ . وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت فىّ . فقال له النبى ﷺ : أما ترضى أن تعيش حميدا . وتقتل شهيدا . وتدخل الجنة ؟ . فقال : رضيت ببشرى الله تعالى ورسوله ﷺ . ولا أرفع صوتى أبدا على صوت رسول الله ﷺ (١) .

وكذلك سؤال سعيد بن المسيب – يرحمه الله تعالى – عن أحد رواد مجلسه وهو – كثير بن المطلب بن أبى وداعه . المشهور بابن أبى وداعة (٢) . يقول عن نفسه :

كنت أجالس سعيد بن المسيب أى فى درسه العلمى بالمسجد . ففقدنى أياما . فلما جئته قال : أين كنت ؟ . قلت : توفيت أهلى فاشتغلت بها . فقال : ألا أخبرتنا فشهدناها ؟ . ثم قال : هل استحدثت امرأة ؟ . فقلت : يرحمك الله ! ومن يزوجنى وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة ؟ . قال : أنا . فقلت : وتفعل ؟ . قال : نعم . ثم تحمد وصلى على النبى ﷺ وزوجنى على درهمين . أو قال : ثلاثة : فقمت وما أدرى ما أصنع من الفرح . فصرت إلى منزلى وجعلت أتفكر فيمن أستدين . فصليت المغرب . ورجعت إلى منزلى . وكنت وحدى صائما . فقدمت عشائى أفطر . وكان خبزا وزيتاً . فإذا بابى يقرع . فقلت : من هذا ؟ فقال : سعيد . فأنكرت فى كل من اسمه سعيد إلا ابن المسيب . فإنه لم ير أربعين

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٢٠٧ .

(٢) هو سهمى مكى . روى عن أبيه المطلب أحد مسلمة الفتح وروى عن ابن وداعة هذا . ولده جعفر بن كثير وابن حرملة .

سنة إلا بين بيته والمسجد . فخرجت فإذا سعيد بن المسيب . فظننت أنه قد بدا لـه فقلت يا أبا محمد ألا أرسلت إلى فـآتيك ؟ قـال : لا . أنـت أحـق أن تؤتـى . إنـك كنت رجلا عزبا . فتزوجت . فكرهت أن تبيت الليلة وحدك . وهـذه امرأتـك . فإذا هي قائمة من خلفه في طوله . ثم أخذ بيدها فدفعها فـي البـاب . ورد البـاب فسقطت المرأة من الحياء . فاستوثقت مـن البـاب . ثـم وضعـت القصعـة فـي ظـل السراج لكـي لا تـراه . ثـم صعـــدت إلى السـطح فرميـت الجـيران . فجـاءوني . فقالوا : ما شأنك ؟ فأخبرتهم . ونزلوا إليها . وبلغ أمي . فجاءت وقالت : وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيـام . فـأقمت ثلاثـا . ثـم دخلت بها . فإذا هي من أجمل الناس . وأحفظ الناس لكتاب الله . وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ وأعرفهم بحق زوج . فمكثت شهرا لا آتي سعيد بن المسـيب . ثـم أتيته وهو في حلقتـه . فسـلمت . فـرد علـى السـلام . ولم يكلمنـي حتـى تقـوض المجلـس . فلمــا لم يبــق غــيرى قـــال : ما حال ذلك الإنسان ؟ . قلت : خير يا أبا محمد . على ما يحب الصديق . ويكره العدو . قال : إن رابك شيء فالعصا . فانصرفت إلى منزلي . فوجه إلى بعشرين ألف درهم (١) .

وهكذا ينبغي أن يكون الداعية متفقدا لرواد مجلسه سائلا عن أحوالهم . سـاعياً في تحقيـق مصـالحهم – قـدر اسـتطاعته – حتـى يكـون مؤثـرا بعلمـه وعملـه فـي مدعويه .

–] ويستحسن للداعية في درسه أن يحضر مادته مسبقا تحضيرا جيـــدا . وأن لا يستطرد كثيرا . وهــو يلقــي موضوعـه . لأن الاستطراد يبعد السامع عن أصل

(١) حلية الأولياء . لأبـي نعـــيم جـ ٢ ص ١٦٧ – ١٦٨ ، وسـير أعـــلام النبـــلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي . ط ٢ مؤسسة الرسـالة بـيروت ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢م جـ ٤ ص ٢٣٣ – ٢٣٤ .

الموضوع . ويبعث فى نفسه السآمة .

- كما يستحسن للداعية فى تفسيره للقرآن الكريم . أن يكون بالقرآن نفسه . فما أجمله القرآن في موضع . فصله فى موضع آخر ، فإن لم يجد هذا البيان فى القرآن . تحول إلى السنة . فإن لم يجد ففى أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين . وكذلك يفعل فى تفسيره الحديث النبوى .

- وعند كلامه فى الفقه الإسلامى يستحسن أن يبين الحكم الفقهى الراجح إن كان من ذوى المقدرة على تمييز الأقوال الفقهية الراجحة من المرجوحة . فإن لم يستطع ذلك فعليه أن يبين الحكم وفقا لاتجاه أحد المذاهب الإسلامية الصحيحة دون أن يذكر الخلافات الفقهية فى كل مسألة يتعرض لها . لأن ذكر هذا الخلاف يشتت أذهان المستمعين (١) .

وقد استخدم النبى ﷺ - وهو إمام الدعاة إلى الله تعالى - هذه الوسيلة الدعوية الفعالة . حيث كان يجلس فى مسجده الشريف بالمدينة المنورة يعلم أصحابه الكرام كل ما يهمهم فى أمور دينهم ودنياهم . ومن ذلك :

مجلسه ﷺ مع أصحابه حين جاءه جبريل يسأله عن الإيمان والإسلام والأحسان وعن علامات الساعة ... وفى نهاية الحديث يقول لأصحابه الكرام . أتدرون من السائل ؟ إنه جبريل جاء ليعلمكم أمور دينكم (٢) .

وكقوله ﷺ للصحابة . صلوا كما رأيتمونى أصلى (٣) - خذوا عنى مناسككم (٤) .

---

(١) أصول الدعوة . د. عبد الكريم زيدان ص ٤٥٨ - ٤٥٩ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب تعريف الإسلام جـ ١ ص ١٦٢ .

(٣) فتح البارى كتاب الصلاة باب رفع اليدين إذا كبر وإذا ركع وإذا رفع جـ٤ ص ١٢٠ .

(٤) صحيح البخارى كتاب الحج باب استحباب رمى جمرة العقبة يوم النحر جـ ٩ ص ٤٤ .

وبعثه ﷺ الصحابة الكرام إلى البيوت والأنصار لتعليم الناس أمور دينهم : كمصعب بن عمير . وخباب بن الأرث . ومعاذ بن جبل وعلى بن أبى طالب . وأبى موسى الأشعرى .. الخ - كما سيأتى إن شاء الله تعالى فى مبحث - البعثات العلمية -

- وقد توارث المسلمون هذه الوسيلة الدعوية الفعالة عن النبى ﷺ جيلا بعد جيل إلى أن يرث الأرض ومن عليها •

المطلب الثالث
النـدوة

من أهم الوسائل الدعوية ذات التأثير الفعال فى نجاح الدعوة : النـدوة وهى لقاء عام للمتهمين بأمر معين . فى مكان عام يأخذ شكلا محليا كالقاعة أو النادى أو المعسكر أو السرادق ... الخ •

مستلزمات الندوة :

يلزم للندوة عدة أمور لابد منها . من أهمها :

أولا : الاختيار المناسب للندوة من حيث :

الزمان . والمكان . والإنسان . والشأن - الموضوع -

ثانيا : الإعلان عنها فى شتى وسائل الإعلان الممكنة . كالإذاعة . والتلفزيون . والصحف . والمجلات . وأماكن التجمعات العامة كالمساجد والجامعات ... الخ •

بالإضافة إلى دعوات خاصة للمهتمين بموضوع الندوة . كالدعاة أو الاقتصاديين . أو السياسيين . أو التربويين . أو الإعلاميين .... الخ •

ثالثا : إعلان حوافز مادية أو معنوية . كمأدبة طعام . أو هدايا . أو عرض فيلم تلفزيونى أو سينمائى يتعلق بموضوع الندوة . أو فتح باب النقاش . إلى غير ذلك مما يعد حافزا لحضور الندوة .

الدليل الشرعى للندوة :

يدل على مشروعية الندوة ما كان يقوم به رسول الله ﷺ من لقاءات وحوارات بعرض فيها نفسه على القبائل فى مواسم الحج . ويتمثل ذلك فى لقائه ببنى شيبان . وبالأنصار قبل البيعة عن العقبة وبعدها .

كما يدل على إقامة الندوة ما فعله ﷺ بعد نزول قوله تعالى : - وأنذر عشيرتك الأقربين (١) - إذ قال لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه : إن الله أمرنى أن أنذر قومى . فاصنع لنا يا على طعاما . ثم ادع لى بنى هاشم .. (١) .

ويلاحظ أن ما فعله النبى ﷺ يتضمن كل مستلزمات الندوة من حيث :

الإعلان عنها : - ادع لى -

اختيار الإنسان : بنى هشام -

تحديد الموضوع : - إنذارهم بالدعوة -

إعلان حوافز : - اصنع لنا طعاما -

---

(١) راجع فى هذا الموضوع : فقه الدعوة إلى الله تعالى فى ضوء السيرة النبوية الشريفة ص ٦٩ وما بعدها .

المبحث الثانى
الوسائل الإعلامية

هى الوسائل التى يبلغ بها الداعية دعوته محليا وعالميا •

وهى وسائل مقروءة . ومسموعة . ومرئية •

الوسائل المقروءة . وهى الوسائل التى يكتبها الداعية ليفيد بها المدعو • ويتلقاها المدعو عن طريق القراءة لها •

وهذه الوسيلة قد تكون مكتوبة بطريقة خفية – كالشفرة أو الحبر السرى – وذلك عندما يكون المدعو مضطهدا فى بلد غير إسلامى وهو ما يسمى بالأقليات الإسلامية •

وقد تكون مكتوبة بطريقة علنية – بالحبر الظاهر – كالكتاب . والصحف اليومية . والمجلات الدورية . والمطويات ... الخ •

[ونحن كدعاة نستعمل هذه الوسيلة فى الدعوة إلى الله تعالى : رسالة أو مقالة أو كتابا . عن أحوال المسلمين . أو للرد مع الفساد المنشور أو لكل ما من شأنه أن يخدم الدعوة إلى الله تعالى : كغرس العقيدة الصحيحة فى النفوس . وتزكية النفس وتربيتها . وغير ذلك من الأمور] (١) •

الوسائل المسموعة : وهى الوسائل التى يتوجه بها الداعية إلى المدعو من خلال وسائل الإعلام المسموعة . كمكبرات الصوت . أو الإذاعات المحلية والعالمية وأشرطة الكاسيت .... الخ •

الوسائل المرئية : وهى الوسائل التى يتوجه بها الداعية إلى المدعو من خلال

---

(١) وسائل الدعوة د. الجيوشى ص ٩٦ •

الرؤية البصرية . كالتلفزيون والفيديو والسينما ... الخ (١) .

جـ - القدوة الحسنة : النوع الثالث من أنواع الوسائل الدعوية من حيث مجالاتها : هو القدوة الحسنة .

وهى عبارة عن تجسيد الداعية للقيم والمبادىء التى يدعو إليها - فى حركاته وسكناته . مما يجعله قدوة طيبة وأسوة حسنة لغيره . ويكون الداعية حينئذ [كالكتاب المفتوح يقرأ فيه الناس معانى الإسلام . فيقبلون عليها . وينجذبون إليها . لأن التأثر بالأفعال والسلوك ابلغ وأكثر من التأثر بالكلام فقط .

وقد انتشر الإسلام فى كثير من بلاد الدنيا بالسيرة الطيبة للمسلمين التى كانت تجلب أنظار غير المسلمين . وتحملهم على اعتناق الإسلام .

فالقدوة الحسنة التى يحققها الداعية بسيرته الطيبة هى فى الحقيقة دعوة عملية للإسلام يستدل بها غير المسلم على أحقية الإسلام . وأنه من عند الله تعالى] (٢) .

---

(١) راجع ص ١٢٢ من هذا البحث .

(٢) أصول الدعوة عبد الكريم زيدان ص ٤٦٧ وراجع ص ٦١ من هذا البحث .



الفصل الثالث
أنواع الوسائل من حيث مشروعيتها

تتنوع الوسائل الدعوية من حيث كونها مشروعة .إلى ثلاثة أنواع نظرا لتعدد أغراضها . وتنوع استعمالاتها . وهذه الأنواع هى : – المشروعة – المباحة – المشوبة –

الوسائل المشروعة : وهى الوسائل التى ورد بشأنها نص شرعى . وتلتزم بالإسلام فى كل صغيرة وكبيرة [فهى منضبطة بالكتاب والسنة . لا تخالف لهما نهيا أو أمرا . بل تخدم غرض الدعوة إليهما . والحث بالتمسك بهما . وتقوية القلوب فى التمسك بعقيدتها . فمن هنا تكتسب مشروعيتها ولزومها] (١) •

الوسائل المباحة : وهى الوسائل التى لم يرد بشأنها نص شرعى . ولا تعارض أصلا شرعيا فى أى زمان وأى مكان •

الوسائل المشوبة : وهى الوسائل التى اختلط فيها الخير بالشر كالتلفزيون وغيره من الوسائل العصرية •

وهذا النوع يجب على الدعاة استخدامه بأى وسيلة وعدم الإعراض عنه حتى يأتى الوقت المناسب لتنقيتها مما فيها من شر أو باطل . وذلك لأن الإعراض عنه يمثل ترك المجال للباطل يصول ويجول بحرية تامة •

---

(١) وسائل الدعوة د. الجيوشى ص ١٠١ •

ويدل على مشروعية استخدام الدعاة لهذا النوع من الوسائل : ما كان يفعله النبي ﷺ من العبادة والصلاة في الكعبة المشرفة يوم أن كانت مملوءة بالأوثان والأصنام . حتى جاء الوقت المناسب فكسر الأصنام وطهر الكعبة منها . قائلا : – جاء الحق وزهق الباطل . إن الباطل كان زهوقا (١) – جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد (٢) .

(١) سورة الإسراء الآية : ٨١ .

(٢) سورة سبأ الآية : ٤٩ .

الفصل الرابع
الضوابط العامة لمشروعية الوسائل الدعوية

مفهومها :

يقصد بالضوابط العامة لمشروعية الوسائل الدعوية :

أن تكون هذه الوسائل منضبطة بالأحكام الشرعية . ولها سند شرعى سواء أكانت هذه الوسائل مستعملة فى عهد النبى ﷺ أم جدت بعده .

تقييم هذه الضوابط :

تبرز قيمة هذه الضوابط من خلال الآتى :

أولا : إن الدعوة الإسلامية دعوة إلى الله تعالى . وإلى العمل بدينه الحنيف .

- كما أن هذه الدعوة هى العمل الأساسى للنبى ﷺ . ولكل أتباعه فى كل زمان ومكان . قال تعالى : - قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى - (١) .

- هذا بالإضافة إلى أن هذه الدعوة الإسلامية هى أحسن عمل يقوم به المسلم فى كل زمان ومكان . قال تعالى : - ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين - (٢) .

ثانيا : ما دام هذا هو شأن الدعوة الإسلامية :

أ - يجب أن تكون هذه الدعوة منطلقة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فى كل ما يتعلق بها من قريب أومن بعيد .

---

(١) سورة يوسف الآية : ١٠٨ .

(٢) سورة فصلت الآية : ٣٣ .

من حيث أصولها . ومناهجها . وأساليبها . ووسائلها ... الخ

ب – وذلك . لأن الإسلام لا يفصل فى أحكامه بين الأصول والمناهج والأساليب والوسائل والغايات .

جـ – كما لا يقر الإسلام بأن الغاية تبرر الوسيلة كما يقول الوضعيون . فالوسائل لها حكم الغايات . والغايات لها حكم الوسائل . ويشرف كل منهما بشرف الآخر . ويدنو بدنوه .

د – يضاف إلى ذلك أن أى جهل أو تجاهل لحكم الإسلام فيما يتعلق بالأصول أو المناهج أو الأساليب أو الوسائل . يعتبر انحرافا بالدعوة عن مسارها الحقيقى الذى كانت عليه فى عهد النبى ﷺ . وخروجا بها عن مصادرها الأساسية فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

لماذا ندرس الضوابط الشرعية للوسائل الدعوية ؟ !

١– ندرس هذه الضوابط لتكون على بينة وبصيرة نيرة بهدى ديننا الإسلامى الحنيف وتنظيماته لكل شؤننا : القولية والفعلية . الدينية والدنيوية . النظرية والتطبيقية .

٢– لغموض الضوابط الشرعية للوسائل فى حياة بعض الدعاة حتى :

أ – ظن بعض الدعاة أنهم يتوسلون فى دعوتهم بأى وسيلة بغض النظر عن كونها مشروعة أو غير مشروعة .

ب – وظن البعض الآخر أن وسائل الدعوة توقيفية لا دخل للاجتهاد فيها .

لذا . كانت دراستنا للضوابط الشرعية للوسائل الدعوية ضرورية لدفع هذا الغموض . وما يترتب عليه من إفراط أو تفريط فى استعمال وسائل الدعوة عند بعض الدعاة .

أهم الضوابط العامة لمشروعية الوسائل :

١- النص على مشروعية الوسيلة فى الكتاب أو السنة الشريفة .

٢- النص على عدم مشروعية الوسيلة فى الكتاب أو السنة .

٣- دخول الوسيلة فى دائرة المباح .

٤- خروج الوسيلة عن كونها شعاراً لغير المسلمين .

٥- الترخيص فى استعمال بعض الوسائل الممنوعة فى بعض الأحوال .

المطلب الأول

الضابط الأول : النص على مشروعية الوسيلة فى الكتاب أو السنة

مفهوم هذا الضابط :

ورود نص شرعى على مشروعية وسيلة ما . أمرا بها . أو ترغيبا فيها . حينئذ تكون هذه الوسيلة مشروعة . يلتزم الداعية المسلم باستخدامها ويكون استخدامها حسب نوع مشروعيتها : وجوبا أو ندبا أو إباحة .

أمثلة لهذا الضابط :

وردت نصوص شرعية كثيرة تنص على استخدام كثير من الوسائل المعنوية والمادية : الفطرية والمكتسبة . والتطبيقية . من هذه النصوص :

١- الأمر باستخدام وسيلة الصدق - وهى وسيلة معنوية - قال تعالى : - يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (١) - من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه (٢) .

---

(١) سورة التوبة الآية : ١١٩ .

(٢) سورة الأحزاب الآية : ٢٣ .

وقال النبي ﷺ : - تحروا الصـــدق فإن الصدق يهدى إلى البر . وإن البر يهدى إلى الجنة . وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا - (١) ٠

٢- الأمر باستخدام وسيلة القول : - وهي وسيلة مادية فطرية - قال تعالى : يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا (٢) - وقولوا للناس حسنا (٣) - قل هو الله أحد - (٤) ٠

٣- الأمر باستخدام وسيلة الحركة : وهي وسيلة مادية فطرية - قال تعالى : - قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين (٥) - فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور - (٦) ٠

٤- الأمر باستخدام وسيلة الكتابة والتعليم : وهـي وسيلة مادية مكتسبة - قال تعالى : - ن والقلم وما يسطرون (٧) - إقرا وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم - (٨) ٠

٥- الأمر باستخدام وسيلة الجهاد : وهـــي وسيلـــة مادية تطبيقية - قال تعالى : يأيها النبي جاهـــد الكفـار والمنافقين وأغلظ عليهم ... (٩) - وجاهدهم

---

(١) متفق عليه ٠

(٢) سورة الأحزاب الآية : ٧٠ ٠

(٣) سورة البقرة من الآية : ٨٣ ٠

(٤) سورة الاخلاص الآية : ١ ٠

(٥) سورة الأنعام الآية : ١١ ٠

(٦) سورة الملك الآية : ١٥ ٠

(٧) سورة القلم الآية : ١ ٠

(٨) سورة العلق الآيات : ٣- ٥ ٠

(٩) سورة التوبة الآية : ٧٣ ٠

بـه جهـادا كبـيرا - (١) •

إلى غير ذلك من النصوص التى تدل علـى مشـروعية استخدام بعـض الوسـائل التى يجب علـى الداعيـة استخدامها ليكـون لـه تأثـيره الإيجابـى والفعـال فـى المدعوين •

المطلب الثانى
الضابط الثانى
النص على عدم مشروعية الوسيلة فى الكتاب أو السنة

مفهوم هذا الضابط :

ورود نص شرعى على عدم مشروعية وسيلة ما . نهيا عنها . أو تحذيرا منها . حينئذ تكـون هـذه الوسيلة غير مشروعـة . يجب علـى الداعيـة المسلم التنزه والتورع عن استخدامها . ويكون هذا التنزه حسب نوع النهى عنها تحريما أو كراهـة •

أمثلة لهذا الضابط :

وردت نصوص شرعية كثيرة فى القرآن الكريم والسنة النبويـة الشـريفة تحـذر من استخدام بعض الوسائل المادية والمعنوية لما لها من أثار سيئة على الفرد والأمة . فى أمور الدين والدنيا . مثل : الكذب والخيانة والغدر والكبر والبخل والرياء ...

١- ما ورد فى النهى عن استخدام الكذب :

إن الكذب من أرذل الأخلاق التى يجب على الداعية أن يتنزه عنها حتى يكون له تأثيره فى مدعويه •

وقد وردت نصوص كثيرة تحذر من التخلق بهذا الخلق الذميم منها :

---

(١) سورة الفرقان الآية : ٥٢ •

قوله تعالى فى شأن اليهود وأمثالهم : سماعون للكذب أكالون للسحت (١) - وقوله تعالى : - إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون (٢) - والله يشهد إن المنافقين لكاذبون - (٣) . ومنها قوله ﷺ :

أربع من كن فيه كان منافقا خالصا . ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها .

إذا حدث كذب . وإذا أؤتمن خان . وإذا عاهد غدر . وإذا خاصم فجر - (٤) .

أسباب الكذب : هناك الكثير من الأسباب التى تدفع الإنسان إلى الكذب من أهمها :

١- اجتلاب النفع واستدفاع الضر . فالكذاب يرى أن الكذب أسلم وأغنم ويظن أنه سبيل للنفع وطريق لدفع الضرر . فيرخص لنفسه فيه اغترار بالخدع . واستشفاف للطمع . وربما كان الكذب أبعد لما يؤمل . وأقرب لما يخافه . لأن القبيح لا يكون حسنا . والشر لا يصير خيرا . وليس يجنى من الشوك العنب . ولا من الكرم الحنظل . وفى الحديث - تحروا الصدق وإن رأيتم فيه الهلكة فإن فيه النجاة . وتجنبوا الكذب وإن رأيتم فيه النجاة فإن فيه الهلكة (٥) .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه - لأن يضعنى الصدق . وقلما يضع أحب إلى من أن يرفعنى الكذب وقلما رفع . وقال بعض الحكماء : - الصدق منجيك وإن خفته . والكذب مرديك وإن أمنته .

---

(١) سورة المائدة الآية : ٤١ .

(٢) سورة النحل الآية : ١٠٥ .

(٣) سورة المنافقون الآية : ١ .

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب خصال المنافق جـ ٢ ص ٤٦ .

(٥) الترغيب جـ ٤ ص ٢٦ .

٢- إيثار المرء أن يكن حديثه مستعذبا . وكلامه مستظرفا ، فلا يجد صدقا يعذب . ولا حديثا يستظرف . فيستحلي الكذب الذى ليست غرائبه معوزة . ولا ظرائفه معجزة . وهذا يصدر عن مهانة النفس ودناءة الهمة .

وقد قال الجاحظ : لم يكذب أحد قط إلا لصغر قدر نفسه عنده .

٣- أن يقصد المرء بالكذب التشفي من عدوه . فيسمه بقبائح يخترعها عليه . ويصفه بفضائح ينسبها إليه . ويرى أن معزة الكذب غنم . وأن أرسالها في العدو سهم وسم (١) .

٤- يضاف إلى ذلك :

محاولة المحافظة على الحياة . والحرص على البقاء .

٥- حب التملك . والرغبة في تحقيق مصلحة مادية أو معنوية لنفسه أو لغيره .

٦- الغرور وعدم الرغبة في الظهور بالمظهر الحقيقي .

٧ - الميل إلى المبالغة لاستثارة الغير . أو لإضفاء صفات معينة على الوقائع .

٨- وهناك الكذب المرضي . وهو كذب مجرد عن أية بواعث . سوى ذلك الباعث المرضي عند صاحبه . بحيث لا يستطيع أن يصدق . حتى ولو كان الكذب يضره . والصدق يفيده .

ويسمي علماء الجريمة هذا اللون . باسم : المجرم السيكوباني (٢) .

---

(١) أدب الدنيا والدين : الماوردى ص ٢٣٧ . وتهذيب الأخلاق في الإسلام : د. عبد المقصود عبد الغني خيشه ص ٣١٤ .

(٢) الأخلاق في الإسلام . د. يعقوب المليجي ص ١٩٩ ط. مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م.

٩ - أن تكون دواعى الكذب قد ترادفت عليه حتى ألفها . فصار الكذب له عادة . ونفسه إليه منقادة . حتى لو رام مجانبة الكذب عسر عليه . لأن العادة طبع ثان . وقد قال الحكماء : من استحلى رضا الكذب عسر فطامه (١) .

أضرار الكذب

ينبغى على الإنسان ألا يكذب فى أى أمر حتى ولو كان تافها بسيطا . لأنه لو كذب . قد يستمرىء الكذب ويعتاده .

ولا يزال بعد ذلك يكذب حتى يفقد ثقة الناس به . وتصديقهم له حتى فيما هو صادق فيه . وقد روى عن أرسطو أنه سئل عن أضرار الكذب . فقال :

لا يثق الناس به سواء أكان تاجرا أم طبيبا أم مدرسا . أم صانعا . أم محترفا حرفة . فمن فقد ثقة الناس به . فقد حرم خيرا كثيرا (٢) .

فما أجدر أن يلتزم الإنسان الصدق فيما يقول . وفيما يفعل . وفيما يسمع . وفيما يقرأ . وفيما يكتب .

حتى ينال رضا الله تعالى . ويطمئن قلبه . ويكسب ثقة الناس فيه .

٢- ما ورد فى النهى عن البخل :

البخل من الأخلاق التى يكرهها الإسلام . ويحذر منها ويحاربها . قال تعالى :

- ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم . بل هو شر لهم سيطوقون بما بخلوا به يوم القيامة (٣) .

---

(١) أدب الدنيا والدين للماوردى ص ٢٣٧ ، وتهذيب الأخلاق فى الإسلام : د. عبد المقصود عبد الغنى خيشه ص ٣١٤ .

(٢) الأخلاق : أحمد أمين ص ١٨٤ ط. المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٢٨م ، وتهذيب الأخلاق فى الإسلام . د. عبد المقصود عبد الغنى خيشه ص ٨٢ - ٨٣ ط. دار الثقافة العربية بالقاهرة ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م.

(٣) سورة آل عمران الآية : ١٨٠ .

مفهوم البخل :

هو الضن بنعم الله تعالى – التى أنعم بها على الإنسان – على النفس وعلى الغير من الأقارب والأباعد .

والبخل علامة الشح ومظهره . كما أن الجود علامة السخاء ومظهره . لأن الشح والسخاء غريزة فطرية فى النفس البشرية .

يقول الأصفهانى فى ذلك : السخاء هيئة للإنسان داعية إلى بذل القنيات(١) . حصل معه البذل أو لم يحصل . ويقابله الشح .

والجود بذل المقتنى . ويقابله البخل . هذا هو الأصل .

وإن كان كل واحد منهما قد يستعمل فى موضع الآخر .

ويدلك على هذا الفرق : أنهم جعلوا اسم الفاعل من السخاء والشح على بناء الأفعال الغريزية . قالوا : سخى وشحيح . وقالوا : جواد وباخل . وأما قولهم : بخيل فمصروف عن لفظ الفاعل للمبالغة كقولهم : راحم ورحيم (٢) .

ولما كان البخل من آثار الشح ومظهره . عظم الإسلام خطر الشح وحذر منه لأنه يؤدى إلى الهلاك . لقوله ﷺ : – ثلاث مهلكات : شح مطاع . وهوى متبع . وإعجاب المرء بنفسه (٤) .

وينبغى التنبيه إلى أن وجود الشح فى النفس لا يوجب لصاحبه الذم إلا إذا انقاد له . وأمسك عن البذل .

---

(١) جمع قنب . وهو كل ما يملكه الإنسان من أمور نفيسة أو بسيطة – القاموس المحيط فصل القاف باب الباء جـ ١ ص ١٢٠ .

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة :ص ٢١٧ ط . مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة ١٣٩٣ هـ وتهذيب الأخلاق فى الإسلام : حبشه ص ٢٣٤ – ٢٣٥ .

(٣) مدارج السالكين لابن القيم جـ ٢ ص ٢٩١ . والترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٢٤٧ .

ولعل هذا هو السر فى قول النبى ﷺ : – شح مطاع – فخص المطاع لينبه على أن مجرد وجود الشح فى النفس لا يقتضى ذما لصاحبه.لأنه ليس من فعله . وإنما هو فعل غريزى . – كما سبق القول - ويزيد ذلك قوله سبحانه : – ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون (١) – وأحضرت الأنفس الشح – (٢) .

فإذا وجه الذم إلى الشح . فذلك لأنه يؤدى إلى البخل . كما أن كلا منهما يستعمل فى مكان الآخر .

– والبخل ثلاثة أضرب : بخل الإنسان بماله على غيره . وبخله بمال غيره على غيره وبخله بمال غيره على نفسه . وهو أقبح الثلاثة .

والباخل بما فى يده . باخل بمال الله على نفسه . فالمال عارية مستردة . ولا أحد أجهل ممن لا ينقذ من العذاب الأليم بمال غيره (٣) .

آثار البخل وأضراره :

تظهر الآثار السيئة لداء البخل فى أمور كثيرة . ومظاهر عديدة . من أهمها :

ضيق النفس وشعورها بالأنانية المفرطة . وكراهية الخير للغير . والرغبة فى الاستئثار بكل شيء . والرغبة فى التسلط على كل شيء . وقبض النفس .واليد عن البذل . والإنفاق على الغير من مال . أو جاه أو علم . أو غير ذلك. ولهذا الداء آثار اجتماعية غاية فى السوء . وهو عنصر من عناصر هبوط الفطرة وانتكاسها . ونقص الإنسانية . وتدنى العقل وانحطاط الفكر (٤) .

ولقد ذم الإسلام داء البخل واعتبره شجرة من أشجار النار . لما له من آثار سيئة على أخلاق الفرد والأمة . يقول ﷺ : .. ألا إن البخل شجرة فى النار

(١) سورة الحشر الآية : ٩ .

(٢) سورة النساء الآية : ١٢٨ .

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة ض ٢١٨ .

(٤) الأخلاق الإسلامية وأسسها : عبد الرحمن حبنكه الميداني جـ ٢ ص ٣٥٧ .

أغصانها متدليات فى الدينا فمن أخذ بغصن منها قاده إلى النار (١) - ويقول :
- البخيل بعيد عن الله . بعيد عن الناس . بعيد عن الجنة . قريب من النار (٢) .

ويوضح تلك الآثار السيئة للبخل ما ذكره الماوردى من أنه يحدث عن البخل من الأخلاق المذمومة - وإن كان ذريعة إلى كل مذمة - أربعة أخلاق . ناهيك بها ذما . وهى : - الحرص . والشره . وسوء الظن . ومنع الحقوق - **فأما الحرص** : فهو شدة الكدح والإسراف فى الطلب. **وأما الشره** : فهو استقلال الكفاية والاستكثار لغير حاجة .

وقال بعض الحكماء : - الشره من غرائز اللؤم (٣) .

وأما سوء الظن : فهو عدم الثقة بمن هو لها أهل .

فإن كان بالخالق كان شكا يؤول إلى ضلال .

وإن كان بالمخلوق كان استخانة يصير بها مختانا وخوانا . لأن ظن الإنسان بغيره حسب ما يراه من نفسه . فإن وجد فى نفسه خيرا ظنه فى غيره . وإن رأى فيها سوءا اعتقده فى غيره - فكل إناء بما فيه ينضح .

وأما منع الحقوق : فإن نفس البخيل لا تسمح لفراق محبوبها . ولا تنقاد إلى ترك مطلوبها ، فلا تذعن لحق . ولا تجيب لإنصاف .

وإذا آل البخيل إلى ما وصفنا من هذه الأخلاق المذمومة . والشيم اللئيمة . لم يبق معه خير مرجو . ولا صلاح مأمول (٤) .

---

(١) كنز العمال : ابن عساكر عن أنس رضى الله عنه جـ ٣ ص ٣١٠ .

(٢) الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٢٤٧ .

(٣) أدب الدنيا والدين ص ١٦٣ .

(٤) أدب الدنيا والدين للماوردى ص ١٦٣ ط. دار الفرجانى بالقاهرة ١٩٨٣م.

يضاف إلى ذلك : أن البخل يعرض الأمة إلى أضرار ومخاطر جسيمة . إذ يعرض الأمة التى يشيع فيها ويستولى على أفرادها للهلاك . ويؤيد هذا : الوقائع التاريخية التى حدثت فى الأمم السالفة .

والسبب فى ذلك : - أن البخل يرافقه الطمع والرغبة فى الاستزادة :

ويرافقه هضم الحقوق المالية . ومنعها مستحقيها .

ومع هذين الأمرين الخبيثين توجد توترات اجتماعية خطيرة قائمة على الحقد والحسد والرغبة فى الانتقام . وفى مقابلها كيد وأنانية ورغبة فى الأثرة والاستعلاء وحب التسلط .

كما أنه يوجد مع البخل الزائد عند الأغنياء القادرين : ضرورات ملحة للفقراء المحرومين . وهذا يدفعهم بلا شك إلى ارتكاب جرائم السرقة والسلب والنهب والقتل واستحلال المحرمات وكثرة الانحرافات .

ومن المعلوم أن أية أمة ينتشر فيها مثل هذه الأمور . لابد أن ينتهى الأمر بها إلى الهلاك .

وبهذا تتضح لنا طائفة من حلقات السلسلة السببية التى تبدأ بالبخل وتنتهى بالهلاك . ومن هنا حذر الإسلام الحنيف من البخل والشح ، لما يترتب عليه من آثار وخيمة على الفرد والجماعة والأمم والشعوب .

قال تعالى : - ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة (١) .

وقال ﷺ : اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح . فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم (٢) .

---

(١) سورة آل عمران الآية : ١٨٠ .

(٢) الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٢٠٥ .

أسباب البخل وعلاجه :

تتمثل أسباب البخل فى سببين رئيسيين هما :

١- **حب التملك - المال** - فمن الناس من معه ما يكفيه بقية عمره لو اقتصر على ما جرت عادته به . ويفضل معه الآلاف . ويكون شيخا لا ولد له . ثم لا تسمح نفسه باخراج الواجب عليه . ولا بصدقة تنفعه . بل يبخل به ويكنزه (١) .

٢- **حب البقاء وطول الأمل فى الدنيا .**

وإذا كان هذان هما سبب البخل : فإن علاجه يكون بضدد هما .

فيعالج حب التملك بالقناعة والصبر .

ويعالج حب البقاء وطول الأمل ، بكثرة ذكر الموت وأهواله .

٣-ما ورد فى النهى عن الرياء :

إن الرياء من الخصال التى لا يقبلها الإسلام فى أى عمل من الأعمال التى يقوم بها الإنسان لأنه من أنواع الشرك با لله تعالى . وا لله لا يحب الشريك . ولا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم .

عن أبى هريرة رضى ا لله عنه قال سمعت رسول ا لله ﷺ يقول : قال ا لله تعالى : - أنا أغنى الشركاء عن الشرك . من عمل عملا أشرك فيه غيرى . فهو للذى أشرك به . وأنا منه برىء (٢) .

مفهوم الرياء أو السمعة :

الرياء مشتق من الرؤية . والسمعة مشتقة من السماع .

---

(١) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسى ص ٢٠٧ ط. دار عمر بن الخطاب بالإسكندرية ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م.

(٢) الترغيب والترهيب جـ ١ ص ٣٥ .

فالمرائى يحاول أن يرى الناس منه ما يطلب به المنزلة عندهم .

كما يحاول أن يسمع الناس عنه ما ينال بـه المكانة عندهم .

وفى الحديث : - من راءى راءى الله به . ومن سمع سمع الله به (١) .

وقد عرف الرياء بأنه : التشبه بذوى الأعمال الفاضلة . طلبا للسمعة والمفاخرة (٢) - أو : إرادة العبد العباد . بطاعته لرب العباد (٣) .

ولذلك يقبل الله عبادة المرائى ولا عمله . لأنه فاسد وغير خالص لله تعالى : - فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا (٤) .

مجالات الرياء . أو مظاهرة :

إن مجالات الرياء كثيرة . ومظاهرة متعددة .

فقد يكون فى أمور الدين . وقد يكون فى أمور الدنيا . وكلاهما قد يكون من جهة البدن . وقد يكون من جهة الزى . وقد يكون بالقول . وقد يكون بالفعل . وقد يكون بالأصدقاء والأصحاب .... الخ .

١- الرياء من جهة البدن : قد يرائى المرائى من أهل الدين . بإظهار النحول والاصفرار . ليظهر بذلك المجاهدة وغلبة الخوف من الآخرة . أو بتشعث الشعر ليظهر أنه مستغرق فى هم الدين .

وقد يرائى المرائى من أهل الدنيا . بنظافة البدن . وحسن الوجه . وصفاء اللون . واعتدال القامة .

---

(١) الترغيب والترهيب جـ ١ ص ٣٢ .

(٢) ميزان العمل : حجة الإسلام الغزالى ص ٥٩ ط. صبيح بالقاهرة ١٩٦٣م.

(٣) الترغيب والترهيب جـ ١ ص ٣٥ .

(٤) سورة الكهف الآية : ١١٠ .

٢- **الرياء من جهة الزى** : قد يرائى المرائى من أهل الدين . بالإطراق فى المشى ، وإبقاء أثر السجود على الوجه . وغلظ الثياب وتقصيرها .

وقد يرائى المرائى من أهل الدنيا بالثياب النقية . والمراكب الفارهة . والأناقة فى المظهر ...

٣- **الرياء من جهة القول** : - قد يرائى المرائى من أهل الدين بالوعظ والتذكير وحفظ الأخبار وإظهار غزارة العلم وتحريك الشفتين بالذكر فى محضر الناس . والتظاهر بالغضب للمنكرات بين الناس .

وقد يرائى المرائى من أهل الدنيا بحفظ الأشعار والأمثال والتفاصح فى الكلام ....

٤- **الرياء بالعمل** : قد يرائى المرائى من أهل الدين . بطول القيام . وتطويل الركوع والسجود . وإظهار الخشوع ....

ويرائى المرائى من أهل الدنيا . بالتبختر والاختيال . وتقريب الخطى . والأخذ بأطراف الثياب .

٥- الرياء من جهة الأصحاب : - قد يرائى المرائى من أهل الدين بالتقرب من العلماء والعباد . وطلب زيارتهم . ليقال : إن أهل الدين والعلم يترددون عليه .

ويكون من أهل الدنيا بالتقرب إلى أصحاب المال والجاه . وطلب زيارتهم ليقال : إنه منهم (١) .

آثار الرياء :

الرياء له كثير من الآثار الخطيرة . والمخاطر الجسيمة .

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالى جـ ٤ ص ١٤٥ .

فهو لون من النفاق . ونوع من الشرك ، قال صلى ﷺ : أن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر . قالوا : يا رسول الله وما الشرك الأصغر ؟

قال : الرياء . يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءوون فى الدنيا . هل تجدون عندهم جزاء ؟ - (١) .

- وكذلك . الرياء يحبط ثواب العمل كالصدقة والانفاق قال تعالى : - يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى .كالذى ينفق ماله رئاء الناس (٢) .

وحديث أول الناس يقضى عليه يوم القيامة : - الشهيد . والعالم . والغنى - (٣) .

- والرياء يورث صاحبه كثيرا من الأخلاق المذمومة كالتفاخر والتحاسد وحب الغلبة (٤) .

- والرياء يعرض صاحبه للويل والهلاك والفضيحة . قال تعالى : - فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراءون (٥) - وقال ﷺ : - من سمع سمع الله به . ومن راءى راءى الله به (٦) .

ومعنى هذا : أن من يظهر عمله للناس رياء . يفضحه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة .

---

(١) الترغيب والترهيب جـ ١ ص ٣٤ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٦٤ .

(٣) الترغيب والترهيب جـ ١ ص ٢٩ .

(٤) الرعاية لحقوق الله . المحاسبى ص ٣٥٨ وما بعدها تحقيق عبد القادر عطا ط. دار الكتب الحديثة بالقاهرة ١٩٧٠م.

(٥) سورة الماعون الآيات : ٤ - ٦ .

(٦) الترغيب والترهيب جـ ١ ص ٣٢ .

إذا فالرياء يضيع جهد صاحبه . ويوقعه فى الشرك . ويحرمه من ثواب عمله ويعرضه لغضب الله ومقته . ويسبب له الفضيحة بين الناس ، لذا ينبغى على من أصيب به أن يسارع إلى علاجه .

علاج الرياء :

يجدر بمن يعرف خطر الرياء أن يبحث عن علاجه ودوائه وأن يسعى جاهدا فى ازالته .

ولمعالجة الرياء حالاتان : الأولى : تتماثل فى قلع أصوله وجذوره . الثانية : فى دفع ما يخطر أو يأتى منه فى أى موقف .

الحالة الأولى : يتمثل أصل الرياء وجذوره فى حب الجاه والمنزلة وهذه . تتضمن ثلاثة أمور ينبثق منها الرياء . وهى :

حب الحمد . والحذر من الذم . والطمع فيما فى أيدى الناس .

ويشهد لذلك : حديث أبى موسى رضى الله عنه قال : **جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله أرأيت الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية . ويقاتل رياء . فأى ذلك فى سبيل الله ؟ فقال : من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله (١)** .

فمعنى قوله : يقاتل شجاعة : أى ليحمد . ومعنى قوله : يقاتل حمية أى أنفة من الذل . ومعنى قوله : يقاتل رياء . أى ليرى مكانه ومنزلته عند الناس . فهذه الأمور الثلاثة هى التى تحرك إلى الرياء .

وإذا كانت هذه هى أصل الداء . فإن دواءه وعلاجه يتلخص فى :

---

(١) صحيح البخارى كتاب الجهاد باب من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا جـ ١١ ص ٢٩٠ .

أ - أن يعلم المرء ما فى الرياء من الضرر . وما يفوته بسببه من صلاح نفسه وقلبه وما يتعرض له فى الآخرة من العذاب والمقت والخزى .

ب - أن يعرف ما يتعرض له فى الدنيا بسبب الرياء من تشتت الهم . بسبب ملاحظة الخلق . فإن رضى الخلق غاية لا تدرك . فما يرضى به فريق يسخط به آخر . ومن طلب رضاهم بسخط الله . سخط الله عليه وأسخطهم عليه .

جـ - أن يوقن المرء بأن مدح الناس له لا ينفعه بشيء . وأن ذمهم له لا يضره بشيء . فالأمور كلها بيد الله تعالى . والعباد لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا . ولاموتا ولا حياة ولا نشورا .

د - أن يعلم المرء . أن من طمع فى الخلق لم يخل من الذل والخيبة . وأنه إن وصل إلى مراده لم يخل من المنة والمهانة . فلا ينبغى أن يترك ما عند الله ويطمع فيما عند الناس .

هـ - أن يجاهد نفسه بأن يعودها إخفاء العبادات . فإنه دواء للرياء مثل إخفاء العبادات والأعمال . وذلك يشق فى بداية المجاهدة لكن بالصبر تزول عنه المشقة .

الحالة الثانية : فى دفع العارض من الرياء أثناء العبادة . ذلك أن الإنسان لو قلع من نفسه جذور الرياء . قضى على الرغبة فيه . فإن الشيطان قد يوسوس له أثناء العبادة . فإذا عرض له خاطر كمعرفة الخلق بعبادته وإطلاعهم عليها [دفع ذلك . بأن يقول : مالك وللخلق ؟ علموا أو لم يعلموا ، والله عالم بحالك فأى فائدة فى علم غيره ؟ . فإن هاجت الرغبة إلى آفة الحمد . ذكرها آفات الرياء والتعرض لمقت الله . فيقابل تلك الرغبة بكراهة المقت . فإن معرفة إطلاع الناس

تثير شهوة . ومعرفة آفة الرياء تثير كراهة (١) ٠

المطلب الثالث

الضابط الثالث : دخول الوسيلة فى دائرة المباح

مفهوم هذا الضابط :

هو سكوت الشرع عن القول بحل أو حرمة فى وسيلة ما .

بمعنى أن الوسائل الدعوية التى سكت عنها الشرع . ولم ينص عليها بحل أو حرمة . تدخل فى دائرة الإباحة . انطلاقا من قاعدة : - الأصل فى الأشياء الإباحة - ما لم يرد نص بالتحريم . أو تصطدم بأصل شرعى ٠

وهذا النوع من الوسائل لا حرج على الداعية من استعماله كوسيلة دعوية ٠

السبب فى ذلك : أن النصوص الشرعية فى القرآن الكريم والسنة الشريفة مهما كثرت . فهى محدودة عدا وسطرا . وأن الوسائل غير محدودة لتجددها وتطورها حسب الزمان والمكان والإنسان والشان . فلا يمكن أن تستوعب النصوص الشرعية الحديث عنها . حلا أو حرمة ٠

ما يتفرع عن هذا الضابط من وسائل :

يمكن أن يتفرع عن هذا الضابط نوعان من الوسائل . كلتاهما تدخل فى دائرة الإباحة هما :

- الوسيلة المختلف فى حكمها الشرعى بين العلماء حلا وحرمة ٠
- الوسيلة المشوبة التى اختلط فيها الخير والشر ٠

---

(١) مختصر منهاج القاصدين : المقدسى ص ٢٢٣ ط. دار عمر بن الخطاب بالإسكندرية ١٣٩٨ هـ ، وتهذيب الأخلاق فى الإسلام . د. عبد المقصود عبد الغنى خيشه ص ٢٥٦ - ٢٦٢ ط . دار الثقافة العربية بالقاهرة ١٩٩١م٠

الوسيلة المختلف في حكمها الشرعي بين العلماء : حلا وحرمة :

مفهومها :

هي الوسيلة التي اختلف العلماء في حكمها الشرعي بين محرم ومبيح . لوجود سبب أو أكثر من أسباب الخلاف . ولم يرجح للداعية رأى على رأى فيها .

أمثلتها :

التصوير الفوتغرافي . والتمثيل المسرحي . والغناء ... الخ .

هل يجوز للداعية استخدام هذه الوسيلة المختلف في حكمها ؟

ينبغي أن يكون الداعية كيسا فطنا يقدر الأمور بقدرها . حكيما يستعمل للموقف الوسيلة المناسبة .

وقد وضع العلماء ضوابط للداعية تجاه الوسيلة المختلف في حكمها .

أهم هذه الضوابط أربعة :

الضابط الأول : – الترخص والتوسع في استخدامها بشرط :

أ – أن تكون هناك ضرورة أو حاجة ملحة لاستخدامها في الدعوة .

ب – أن تكون هناك مصلحة عامة تعود على الإسلام والمسلمين من استخدامها .

جـ – أن لا تكون هناك مصلحة شخصية مادية أو معنوية تعود على الداعية كالحصول على مال . أو منصب أو شهرة .... الخ .

والعلة في ذلك : أنه إذا كانت القاعدة الشرعية تقرر أن الضرورات تبيح المحظورات القطعية التحريم . كالميتة والدم ولحم الخنزير .... الخ .

فإن إباحتها للمختلف فيه من باب أولى . لأنه :

أ – متردد بين الإباحة والحرمة :

ب - ولأن الحرمة فيه - عند من يراها - حرمة ظنية وليست قطعية .

الضابط الثانى : التنزه والتورع عن استخدامها .

أ - إذا لم تكن هناك ضرورة أو حاجة ملحة لا ستخدامها فى صالح الدعوة .

جـ - إذا كانت هناك مصلحة شخصية مادية أو معنوية تعود على الداعية

والعلة فى ذلك : - أن التورع عن الشبهات أمر مطلوب من كل مسلم . فضلا عن الداعية . لقول النبى ﷺ : الحلال بين والحرام بين . وبينهما أمور مشتبهات . فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه . ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام .... الحديث (١) .

الضابط الثالث : الداعية عالم . أو طالب علم . فله أن يبحث فى المسألة المختلف فيها . ويرجح أحد الأقوال بدليل - عقلى أو نقلى - مقبول .

فكل قول يؤخذ منه ويرد عليه إلا قول النبى ﷺ . وليس قول أحد بحجة على آخر ما دامت المسألة اجتهادية .

الضابط الرابع : بعد بحث الداعية فى المسألة الخلافية إذا ترجح له أحد الأقوال القائلة بالحل أو بالحرمة . عليه أن يلزم به نفسه ولا يلزم به الآخرين . ولا ينكر على من خالفه فى الرأى أو العمل .

وذلك : لأن المقرر فى شروط إنكار المنكر : أن يكون منكرا معلوما بلا خلاف أو اجتهاد بين العلماء (٢) - وإنما يحق لمن ترجح له قول من الأقوال . أن يدعو إليه بلطف مبينا دليله مع احترام القول الآخر (٣) .

---

(١) متفق عليه وراجع الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ١٥ .

(٢) الحسبة : عبد العزيز بن مرشد ص ٩٥ .

(٣) المدخل إلى علم الدعوة : د. / البيانونى ص ٢٩٢ .

- وقال الإمام سفيان الثورى : إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذى قد اختلف فيه . وأنت ترى غيره . فلا تنهه - (١) ٠

- وقال : - ما اختلف فيه الفقهاء فلا أنهى أحدا من إخوانى أن يأخذ به - (٢) ٠

أثر تطبيق ضوابط الوسائل المختلف فيها . على الأمة الإسلامية :

إن هذه الضوابط الأربعة للوسائل الدعوية المختلف فى حكمها الشرعى بين العلماء لها أثر بالغ على الأمة الإسلامية . لو طبقها المسلمون فى جميع المسائل الخلافية بين العلماء . ويظهر هذا الأثر فى :

أ - اندفاع سلبيات الخلاف عن حياة المسلمين . حتى يكون مجتمعهم مجتمعا مثاليا . كما كان الحال على عهد النبى ﷺ وصحابته الكرام ٠

ب - عيش المختلفين فيما بينهم متآلفين متحابين . كما كان أسلافهم من قبل أمثال الأئمة : أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد رضوان عليهم أجمعين ٠

الوسيلة المشوبة :

مفهومها :

هى الوسيلة التى اختلط فيها الحلال بالحرام أو الخير بالشر ٠

بسبب غفلة المسلمين . وضعف الوازع الدينى فى نفوسهم . مما شكل حرجا للدعاة تجاه هذه الوسائل مع حاجتهم الشديدة إليها فى نشر دعوتهم . ويمنعهم منها ما شابها وخالطها من محرمات ٠

---

(١) حلية الأولياء لأبى نعيم جـ ٦ ص ٣٦٨ ٠

(٢) الفقيه والمتفقه جـ ٢ ص ٦٩ ٠

أمثلتها :

يمثل هذا النوع من الوسائل : كل الوسائل الحديثة من إذاعة وتلفزيون وفيديو وسينما ومسرح ونواد ومعسكرات ... الخ

مما يشتمل على جوانب من الخير وجوانب من الشر . وانتشر فى المجتمعات البشرية انتشارا كبيرا بين المسلمين وغيرهم فى الحضر والبوادى ...

هل يجوز للداعية استخدام هذه الوسائل المشوبة ؟ ! :

إن الداعية تجاه هذه الوسائل له أحد أمرين :

الأول : إن كان يستطيع تنقيتها من جوانب الشر والحرام التى فيها . بفعل ويستخدمها فى دعوته •

وقدوته فى ذلك النبى ﷺ مع وسيلة - النذير العريان - تلك الوسيلة المشوبة بالعرى . وكان العرب يستخدمونها فى الجاهلية . إذا أرادوا الدعوة لأمر هام . أو الإنذار والتحذير من أمر خطير •

وتتمثل هذه الوسيلة فى أن العربى حينما يريد دعوة الآخرين لأمر مهم أو خطير بفعل عدة أمور منها :

أ - يصعد إلى مكان عال كجبل أو منزل •

ب - ينادى بأعلى صوته قائلا : صبحكم . مساكم . أو : واصباحاه •

جـ - يتعرى من ثيابه . ويكشف عن ساقيه ليشعر الناظر إليه بأهمية الأمر الذى ينادى من أجله أو بخطورته . وكأن العدو قد عراه من ثيابه . فيسرع الناس إليه لنجدته مستجيبين لندائه ودعوته •

فلم يترك النبى ﷺ هذه الوسيلة المشوبة بالعرى وإنما عمل على تهذيبها وتنقيتها مما شابها . واستخدمها كوسيلة دعوية للإسلام ومبادئه . فقد ورد أنه لما نزلت

- وأنذر عشيرتك الأقربين - انطلق نبى الله ﷺ إلى رجمة من جبل فعلا أعلاها حجرا ثم نادى يا بنى عبد مناف إن نذير . إنما مثلى ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربأ أهله . فخشى أن يسبقوه . فجعل يهتف: يا صباحاه . محذرا إياهم العدو (١) .

كما ورد فى السنة الشريفة أيضا أنه لما نزل قوله تعالى - فاصدع بما تؤمر (٢) صعد ﷺ جبل الصفا - وهو مكان عال - فهتف : يا صباحاه (٣) .

ثم قال عن نفسه : أنا النذير العريان (٤) معبرا عن أهمية الأمر الذى جاء به من الله تعالى (٥) .

الثانى : إن كان الداعية لا يستطيع تنقية هذه الوسيلة مما شابها فله أحد موقفين : - أما أن يقاطعها بشروط . أو يشارك فيها بشروط .

شروط المقاطعة لها :

إذا أراد الداعية مقاطعة هذه الوسائل المشوبة للسلامة مما فيها من شرور وحرمات . فيشترط حينئذ :

١- أن تكون المقاطعة جماعية من كل العلماء والدعاة . ليتابعهم كافة الناس .

وإن لم تكن المقاطعة جماعية تحدث بلبلة فكرية فى الرأى العام .

---

(١) سورة الحجر الآية : ٩٣ .

(٢) البخارى كتاب التفسير جـ ٨ ص ٧٣٧ ، ومسلم جـ ٣ ص ٨٣ .

(٣) صحيح مسلم كتاب التفسير باب - وانذر عشيرتك الأقربين .

(٤) صحيح البخارى كتاب التفسير جـ ١١ ص ٣١٦ و جـ ١٣ ص ٢٥٠ .ومسلم جـ ١٥ ص ٤٨ .

(٥) منهج الدعوة إلى الله : أمين أحسن إصلاحى ص ٦٠ - ٦١ نشر دار الكتاب الإسلامى بالكويت .

٢- أن تكون المقاطعة محكمة شكلا ومضمونا قولا وفعلا . نظريا وعمليا . بحيث لا يتحدث عنها الدعاة بخير . ويقاطعونها . لأن ذلك يحدث بلبلة فكرية فى الرأى العام . هل نأخذ بقول العلماء أم بأفعالهم تجاه هذه الوسائل ؟

وبإحكام مقاطعة العلماء لهذه الوسائل . يتابعهم كافة الناس . ويسلم الجميع من شرها .

٣- ما دام العلماء والدعاة يقاطعون هذه الوسائل بأحكام شديد .

يجب أن يوجد البديل عنها (١) ليعوض الناس عن جانب الخير فيها . ويصرفهم عن جانب الشر (٢) .

وهذا البديل لا يكون من دخول الدعاة المحدودة . وإنما يجب أن يوفر من أوقاف المسلمين فى كل مكان فى العالم الإسلامى .

شروط المشاركة :

إذا أراد العلماء والدعاة المشاركة فى هذه الوسائل مع شوبها ، فيجب :

١- أن تكون المشاركة جماعية لمعظم العلماء والدعاة . لتغليب جانب الخير على جانب الشر فيها .

٢- أن لا تكون المشاركة فى جزء محرم من هذه الوسيلة . كالمشاركة فى برامج الفساد والغناء والمجون .

٣- أن تكون المشاركة على مستوى مكافىء للموضوع شكلا ومضمونا . حتى لا يظهر صوت الخير ضعيفا أمام صوت الشر فيزهد الناس فى هذا

---

(١) هذا البديل يتمثل فى إقامة محطات إذاعية خاصة وقنوات تلفزيونية وصحف ومجلات ودور نشر ... الخ .

(٢) المدخل إلى علم الدعوة . د./ للبيانونى بتصرف ص ٢٩٥ .

الخير ويجرهم صوت الشر إليه .

وهذا التكافؤ لا يكون إلا إذا كانت شخصية العلماء والدعاة قوية بحيث يتمكنون من :

أ - اختيار الوقت المناسب للمشاركة .

ب - اختيار الموضوع المناسب الذى يفيد المدعو ويؤثر فيه .

جـ - التحكم فى بداية البرنامج وخاتمته لئلا تكون بمحرم .

٤ - أن يسعى الدعاة باستمرار لدى المسئولين عن هذه الوسائل من الحكومات والوزارات من أجل تنقيتها وإصلاحها من الشوائب .

٥ - قد لا يجدى السعى لدى المسئولين عن تنقية هذه الوسائل . فيكون هناك سعى مجدى لإيجاد البديل الصالح عن هذه الوسائل المشوبة (١) .

المطلب الرابع

الضابط الرابع : خروج الوسيلة عن كونها شعارا لغير المسلمين

موقف الإسلام من التشبه بغير المسلمين :

ينهى الإسلام نهيا صريحا وواضحا لا لبس فيه ولا غموض عن تشبه المسلم بغير المسلم فى أى أمر من أمور : المعتقدات أو التشريعات . أو الأخلاقيات . أو السلوكيات أوالشعارات . أو غير ذلك للأفراد أو المجتمعات .

وذلك للمحافظة على استقلال الشخصية الإسلامية وتميزها عن غيرها وعدم تبعيتها لغيرها . أو ذوبانها فى غيرها أو انبهارها بغيرها . مما قد يؤدى إلى تهاونها

---

(١) المدخل إلى الدعوة : د. البيانونى ص ٢٩٦ بتصرف .

أو احتقارها لمبادئها وقيمها وعاداتها وتقاليدها الأصلية .

الدليل على ذلك :

ما قاله النبى ﷺ :

- من تشبه بقوم فهو منهم (١) .
- ليس منا من تشبه بغيرنا (٢) .
- خالفوا المشركين ووفروا اللحى . وحفوا الشوارب (٣) .
- إن اليهود والنصارى لا يصبغون . فخالفوهم (٤) .

وهذه النصوص النبوية الشريفة صريحة وواضحة فى مخالفة غير المسلمين أيا كانوا مشركين أو أهل كتاب .

هل يجوز للداعية استخدام الوسيلة التى هى شعار لغير المسلمين ؟!

لا يجوز للداعية بأى حال من الأحوال استخدام الوسائل التى هى شعار لغير المسلمين . مهما كان نوعها . وأيا كان هدفها . بل يتجنبها تجنبا كاملا .

الدليل على ذلك :

يدل على وجوب تجنب الداعية للوسائل التى هى شعار لغير المسلمين ما فعله الرسول ﷺ لما عرضت عليه مثل هذه الوسائل للدعوة إلى الصلاة قبل مشروعية الأذان .

حيث رفضها رفضا باتا لما فيها من تشبه بغير المسلمين .

---

(١) رواه أبو داود جـ ٤ ص ٤٤ [٤٠٣١] .

(٢) رواه الترمذى جـ ٤ ص ١٥٩ [٢٨٣٦] .

(٣) البخارى جـ ١٠ ص ٣٤٩ [٥٩٨٢] ومسلم جـ ٣ ص ١٤٧ .

(٤) البخارى جـ ٦ ص ٤٩٦ ، جـ ١٠ ص ٣٥٤ [٣٤٦٢] [٥٨٩٩] ومسلم جـ ١٤ ص ٨٠ .

فقد جمع أصحابه الكرام ذات يوم للتشاور فى الوسيلة التى يتجمعون بها للصلاة كلما حان وقتها . وقدم الصحابة عدة اقتراحات بوسائل متعددة ٠

- فرأى بعض الصحابة أن يدق ناقوس عند حلول وقت الصلاة فرفضه ﷺ لما فيه من تشبه بالنصارى ٠
- ورأى البعض الآخر أن ينفخ فى البوق . فرفضه ﷺ لما فيه من تشبه باليهود ٠
- ورأى البعض أن تشعل نيران فى أماكن مرتفعة . فرفضه ﷺ لما فيه من تشبه بالفرس المجوس ٠
- ورأى البعض أن تنصب راية يراها الناس فيجتمعون . فرفضه ﷺ لما فيه من تشبه بدور البغايا أصحاب الرايات فى الجاهلية ٠
- ورأى البعض أن تدق طبول يسمعها الناس فيجتمعون . فرفضها ﷺ لما فيه من تشبه بناقوس النصارى . وعادات الجاهلية ٠

وسبب رفضه ﷺ لكل هذه الوسائل وأمثالها : أنه يريد أن يكون للإسلام وسيلة مميزة فى إعلانه عن شعيرة من أهم شعائره - بل أهمها - وهى الصلاة ٠

وانفض المجلس الكريم وهم يفكرون فى هذا الأمر حتى جاء عبد الله بن زيد رضى الله عنه فى الصباح يقص على النبى ﷺ رؤياه للأذان فى منامه . فيقر على أثرها رسول الله ﷺ اتخاذ الآذان وسيلة للنداء إلى الصلاة ٠

وقد وردت رؤيا عبد الله بن زيد للأذان فى كتب السنة والسيرة حينما جاء إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله إنه طاف بى هذه الليلة طائف . مربى رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا فى يده ٠

فقلت له : يا عبد الله : أتبيع هذا الناقوس ؟!

قال : وما تصنع به ؟ قلت : ندعو به إلى الصلاة ٠

قال : أفلا أدلك على خير من ذلك ؟ قلت : وما هو ؟

قال : تقول " الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر ٠

أشهد أن لا إلا ا لله . أشهد أن لا إله إلا ا لله .

أشهد أن محمدا رسول ا لله . أشهد أن محمدا رسول ا لله .

حى على الصلاة . حى على الصلاة .

حى على الفلاح . حى على الفلاح .

ا لله أكبر . ا لله أكبر . لا إله إلا ا لله .

فلما سمعها رسول ا لله ﷺ . عقب قائلا : إنها لرؤيا حق إن شاء ا لله . فقم مع بلال فألقها عليه فليؤذن بها . فإنه أندى صوتا منك . فلما سمعها عمر بن الخطاب رضى ا لله عنه وهو فى بيته . خرج إلى رسول ا لله ﷺ . وهو يجر رداءه ويقول : يا نبى ا لله . والذى بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذى رأى .

فقال رسول ا لله ﷺ : الحمد لله على ذلك (١) .

ومنذ ذلك الحين . والآذان هو وسيلة النداء للصلاة المفروضة فى الإسلام .

وهى وسيلة متميزة مستقلة ليس فيها تشبه بغير المسلمين . أيا كانوا . فيجب على الداعية أن يتجنب كل ما يتشابه مع غير المسلمين فى شعائره أو شعاراته .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ ٢ ص ٩٤ والبخارى كتاب الصلاة رقم ٦٠٣ - ٦٠٦ جـ ٣ ص ٢٧٤ .

المطلب الخامس

الضابط الخامس :

الترخيص فى استعمال بعض الوسائل الممنوعة فى بعض الأحوال

مفهوم هذا الضابط :

اعطاء الإسلام رخصة أو إجازة للمسلم كى يستعمل بعض الوسائل المحرمة للضرورة بقدرها وشرطها .

الحكمة فى ذلك :

إن الإسلام الحنيف دين معصوم فطرى عملى يصلح للتطبيق العملى مع كل إنسان فى كل زمان وكل مكان وفى كل شأن .

فكان هذا الضابط فيه . دفعا للحرج . وتحقيقا للمصلحة . وتذليلا للصعوبات والضرورات الملحة .

قال الله تعالى : يريد الله بكم اليسر . ولا يريد بكم العسر (١) - وما جعل عليكم فى الدين من حرج (٢) .

أنواع الترخيص فى استعمال الممنوع :

١- ترخيص بوسائل خاصة فى حالات خاصة تغليبا لمبدأ : درء المفاسد مقدم على جلب المصالح - أو ارتكاب أخف الضررين .

مثال :

الترخيص فى استعمال الكذب - وهو وسيلة ممنوعة شرعا (٣) - فى بعض

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٨٥ .

(٢) سورة الحجر الآية : ٧٨ .

(٣) راجع الضابط الثانى من ضوابط مشروعية الوسائل فى صفحة ١٦٠ من هذا البحث .

الحالات الخاصة المنصوص عليها فى قول النبى ﷺ : - ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيرا . أو يقول خيرا (١) - وفى رواية لمسلم - ... ولم أسمعه يرخص فى شىء مما يقول الناس إلا فى ثلاث تعنى : الحرب . والإصلاح بين الناس . وحديث الرجل امرأته . وحديث المرأة زوجها (٢) ٠

وقد أخذ العلماء من هذه النصوص وأمثالها . قاعدة فى أحوال جواز الكذب . وجعلوا منها : إذا لم يتمكن المرء من الوصول إلى حقه الثابت له إلا بالكذب فيباح له استخدام الكذب للوصول إلى حقه (٣) ٠

فإن هذا ترجيحا لمصلحة حفظ الحقوق . وتقويت مقاصد الظلمة . على مفسدة الكذب (٤) ٠

٢- الترخيص بفعل المحظورات عموما . للضرورات الملحة التى تقدر بقدرها . وشروطها . لأن الضرورات تبيح المحظورات ٠

مثال :

الترخيص بأكل الميتة والدم ولحم الخنزير . وغير ذلك من الوسائل المحرمة التى تحفظ على الإنسان حياته من الهلكة أو الموت ٠

قال الله تعالى : إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم (٥) ٠

وانطلاقا من هذا : يجوز للداعية فى حالات الضرورة الملجئة . أو الحاجة الملحة . استخدام الوسيلة المحرمة بالقدر الذى يدفع به تلك الضرورة فقط ٠

---

(١) صحيح البخارى رقم ٢٦٩٢ جـ ٥ ص ٢٩٩ ومسلم رقم ٢٦٠٥ ٠
(٢) صحيح مسلم رقم ٢٦٠٥ ٠
(٣) الأذكار للنووى ص ٣٢٥ - ٣٢٦ والإحياء جـ ٣ ص ١٣٤ - ١٣٦ ٠
(٤) المدخل إلى علم الدعوة د. البيانونى ص ٢٩٩ ٠
(٥) سورة البقرة الآية : ١٧٣ ٠

مقارنة بين الضابط الخامس . ومبدأ الغاية تبرر الوسلة ٠

يقارن بينهما من عدة وجوه :

الأول : أن المحرم والمبيح فى الإسلام هو الشارع نفسه توسعة على العباد . أما التبرير عند غير المسلمين فهو متروك لاجتهاداتهم وأهوائهم ٠

الثانى : أن الغاية التى يباح من أجلها المحظور فى الإسلام محمودة شرعا وعقلا ٠

علمها الناس أم لم يعلموها . وليست مجرد مصلحة يراها المرء محمودة أو مذمومة كما هى عند الآخرين ٠

الثالث : الترخيص فى الإسلام مقيد بحالات الضرورة أو الحاجة التى تقدر بقدرها وشروطها . وليس الأمر مطلقا كما هو الحال عند غير المسلمين (١) ٠

---

(١) المدخل إلى علم الدعوة : د. البيانونى ص ٣٠٠ بتصرف ٠

الفصل الخامس
خصائص الوسائل الدعوية فى الإسلام
مع المقارنة بينها وبين غيرها من الدعوات

المطلب الأول
خصائص الوسائل الدعوية

اهتم علماء الدعوة بتحديد خصائص للوسائل الدعوية . يجب على الدعاة مراعاتها والالتزام بها . لتصل دعوتهم إلى العقول والقلوب والمشاعر . إقتناعا بها واستمالة نحوها . وتضحية فى سبيلها .

ومن أهم هذه الخصائص :

أولا : الشرعية : وأعنى بهذه الخصصة أن تكون الوسائل الدعوية مصطبغة بالصبغة الشرعية - صراحة أو ضمنا - غير مخالفة لها . - صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة (١) - سواء استعملت هذه الوسائل فى العهد النبوى الشريف . أم استعملت بعده مع تجدد الزمان والمكان والشأن . المهم أن تكون هذه الوسائل متفقة مع القواعد العامة التى ارتضاها الشرع لتكون إطارا عاما يباشر المسلمون من خلاله نشاطهم فى مجالات الحياة المختلفة . سواء أكانت هذه الأنشطة ذات صلة بالعقيدة . أم بالعبادة أم بألوان التعامل بين المسلمين بعضهم وبعض فى كل المجالات التى تقتضيها طبيعة الحياة (٢) - جميع السلوكيات - فلا يجوز للداعية الخروج على أحكام الشرع فى مناهجه أو أساليبه أو وسائله (٣) . وذلك . لأن الداعية ملتزم . أو ينبغى أن يكون ملتزما بالأحكام الشرعية فى جميع أموره

(١) سورة البقرة الآية : ١٣٨ .

(٢) وسائل الدعوة د. الجيوشى ص ٧٦ .

(٣) المدخل إلى علم الدعوة . د. محمد أبو الفتح البيانونى ص ٣٣٩ .

وتصرفاته سواء أكان ذلك في وضع مناهجه . واختيار أساليبه ووسائله ٠

ثم إن الدعوة في حقيقتها [طريقة تطبيق الشريعة . ومنهجها الذى رسمه الله لها . فلا يصح الخروج عليه في أى جانب من جوانبه] (١) ٠

ثانيا : الفطرية : وأعنى بهذه الخصيصة . أن تكون الوسائل الدعوية متفقة مع الفطرة الإنسانية النقية وتلبى احتياجاتها دون إفراط أو تفريط . وتدور مع الطاقة البشرية ولا تتخطاها . [ورغم أن الوسائل الدعوية في الإسلام شرعية منزلة بالوحى . أو مستنبطة منه . إلا أنها تعايش النفس الإنسانية . وتلمس الفكر البشرى . وكأنها خرجت من الناس . وهذا أمر يتفق مع طبيعة الدعوة . لأن الذى أوجدها للناس هو الله سبحانه . وتعالى العليم بكل جزئيات من خلقه . سواء أكانت هذه الجزئيات واضحة أم خفية ٠يقول تعالى - ... فإنه يعلم السر وأخفى - (٢) ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير - (٣) فكان من قدرته سبحانه أن بلغ الناس على قدر طاقتهم . وناقشهم بمستوى فكرهم . ولمس بوسائل قرآنه معاشهم وغرائزهم . وعواطفهم . ولذلك ملكت الوسائل تأثيرها في المدعوين . فحققت الغرض . وبلغت دعوة الله تعالى للناس] (٤) ٠

وما دامت وسائل الدعوة الإسلامية على هذا النحو من المراعاة للفطرة الإنسانية [فلا يليق بالداعية أن يلجأ إلى وسائل تنكرها الفطرة السليمة . وتأباها الطبيعة البشرية . لأن ذلك سيكون نتيجته عكسية ...] (٥) ٠

---

(١) المدخل إلى علم الدعوة . د. البيانونى ص ٣٣٩ ٠

(٢) سورة طه الآية : ٧ ٠

(٣) سورة الملك الآية : ١٤ ٠

(٤) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها . د. أحمد أمين غلوش ص ٢٨٣ ط دار الكتاب المصرى بالقاهرة ١٩٧٩م٠

(٥) وسائل الدعوة . د. الجيوشى ص ٧٧ ٠

فأى نظام يصادم الفطرة الإنسانية لا يمكن أن يأتى بخير ولا يتيسر له فرص البقاء •

ومراعاة الداعية لما يناسب الفطرة ليس معناه [أن يقدم على كل ما يوافق هوى النفوس ويلبى شهواتها •

ولكن معناه أن يهذب هذه الطبائع . ويلبى احتياجاتها فى إطار ما يبيحه الشرع . فالإسلام لم يأت بما يصادم الفطرة البشرية . وإنما جاء بما يوجهها نحو الصلاح والاستقامة واستمرار الحياة] (١) •

فحدد ضوابط هذه الفطرة حتى يعيش المجتمع المسلم فى سعادة وهناء وطمأنينة وراحة بال •

ومن الأمثلة على ذلك :

فى مجال الاقتصاد . راعى الإسلام جانب الفطرة الإنسانية . ومن مظاهر هذه المراعاة : إقراره بحق الملكية الفردية . أو الجماعية . أو العامة •

كما أقر الإسلام للإنسان بحق التمتع بثمرات جهوده ونشاطه •

وكذلك علاقة الرجل بالمرأة . غريزة لا يمكن إنكارها . إلا أن الإسلام وجهها التوجيه السليم الذى يحفظ للإنسان نسبه وكرامته . عندما شرع الزواج وسيلة لإشباع تلك الغريزة (٢) •

فعلى الداعية المسلم أن يراعى فى وسائل دعوته متطلبات الفطرة الإنسانية من جميع جوانبها كما فعل القرآن الكريم والرسول ﷺ •

ثالثا : التنوع حسب الظروف الزمانية والمكانية والموضوعية للمدعو :

أعنى بهذه الخصيصة : تعدد أشكال الوسائل الدعوية وتنوعها تنوعا يغطى

---

(١) وسائل الدعوة . المرجع السابق ص ٧٧ •

(٢) السابق بتصرف ص ٧٧ •

حاجات الدعوة . ويلبى متطلبات الفطرة . ويراعى تنوع الناس حيثما كانوا . وأينما وجدوا . فى البادية أو الحاضرة . فى الشرق أو فى الغرب . مثقفين أو غير مثقفين . ذكورا أو إناثا كبارا أو صغارا . مؤمنين أو كفارا .... •

وعلى هذا فعلى الداعية أن يستعمل جميع الوسائل المباحة أثناء تبليغ دعوته . وهذه الوسائل تارة تكون بالقول . وتارة تكون بالعمل . وتارة تكون بسيرة الداعية التى تجعله قدوة حسنة لغيره •

وكل ذلك : لأن الدعوة تحتاج إلى وسائل كثيرة ومتنوعة فهى تحتاج إلى القوة . كما تحتاج إلى اللين •

وقد تحتاج إلى المواجهة الصريحة بالخطأ . كما تحتاج إلى التعميم وعدم المواجهة •

وقد كان ﷺ يقول أحيانا عند الإنكار : - ما بال أقوام يقولون كذا . أو يفعلون كذا (١) •

وكان أحيانا يواجه المخطىء فيقول : - ما بال مقالة بلغتنى عنكم (٢) ... وغير ذلك •

والداعية الموفق هو الذى يحسن استخدام الوسيلة المناسبة فى الموقف المناسب . فدائرة الاختيار بين الوسائل واسعة جدا لا تخفى على المتتبع لها •

ولا يجوز للداعية أن يستصغر شأن أى إنسان . أو أن يستهين به . لأن من حق كل إنسان أن يدعى مهما كان نوعه أو جنسه أو لغته أو ثقافته أو لونه أو دينه : فمنهم الملحد . والمشرك . الوثنى . واليهودى والنصرانى ومنهم المنافق . ومنهم

---

(١) الأدب المقرد للبخارى باب من لم يواجه الناس بكلامه . وفتح البارى جـ١٠ ص ٥١٣ •

(٢) البخارى رقم ١٩٧٥ و ٥٠٦٣ وفتح البارى جـ ٤ ص ٢١٧ و ٢١٨ •

المسلم الذى يحتاج إلى التربية والتعليم . ويدل على أهمية التنوع فى استخدام الوسائل الدعوية قوله تعالى : - ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن (١) - [فالوسائل قد توصف بأنها: حكمة (٢) . أو موعظة حسنة (٣) . أو مجادلة بالتى هى أحسن (٤) . وقد تحوى الوسيلة الواحدة

---

(١) سورة النحل الآية : ١٢٥ .

(٢) وهى وسيلة أو أسلوب يغلب على ما يدعى به المثقفون الذين يتعاملون بالعقل والفكر . فهى إذا : - المقالة المحكمة الصحيحة وهى الدليل الموضح للحق . المزيل للشبهة . المتجه إلى الفكر مباشرة من غير إثارة الوجدان . وتهييج الانفعال - تفسير أبى السعود جـ ٢ ص ٢٠٠ .

(٣) وهى وسيلة أو أسلوب يغلب على ما يدعى به العوام الذين هم أقرب إلى الفطرة النقية . فهى إذا : - مجموعة العبر النافعة . والخطابات المقنعة . والإرشادات المخوفة على وجه لا يخفى على المدعوين أن الداعى يناصحهم بها . ويقصد ما ينفعهم - تفسير الألوسى جـ ١٤ ص ٢٥٤ وهى فى أشكالها أمارات ظنية . ودلائل إقناعية . بخلاف الحكمة فإنها محكمة قطعية فى مقدماتها ونتائجها - تفسير الألوسى جـ ١٤ ص ٢٥٤ ، والدعوة الإسلامية . د. أحمد غلوش ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

(٤) وهى وسيلة أو أسلوب يغلب على ما يدعى به الخصم الذى يريد اللجج والتشكيك . فهى إذا - أدلة كلامية يوردها الداعى ليلزم الخصم ويفحمه ويجعله يؤمن بالمدعو إليه . واتصفت المجادلة بالحسنى ابعادا لها عن مفهوم المجادلة الاصطلاحية الذى يعرف المجادلة بأنها ليست لاظهار الصواب . بل لإلزام الخصم . ذلك أن حملة الدعوة يقصدون إظهار الصواب دائما . والوقوف على الحق باستمرار وإقناع الخصم بالحسنى . يقول صاحب مختار الصحاح : جادل . مجادلة جدالا . إذا خاصم بما يشغل عن ظهور الحق . ووضوح الصواب . هذا أصله . ثم استعمل على لسان حملة الشرع فى مقابلة الأدلة لظهور وأرجحها . وهو محمود حسن إن كان للوقوف على الحق وإلا فمذموم - مختار الصحاح مادة جادل .

أكثر من وصف مـن هـذه الأوصـاف الثلاثة . لكنها لا تخلو أبـدا عـن واحـدة منها] (١) •

وقد أمر الله تعـالى رسـوله ﷺ أن يدعـو النـاس بالحكمـة والموعظـة الحسـنة . والمجادلة بالحسنى . لتعم الفائدة سائر الخلائق المختلفين مكانا . وزمانـا . وفكـرا . وطبيعـة •

ذلك أنهم مع اختلافهم يمكن حصرهم فى طوائف ثلاث متباينة . فطائفة منهـم أصحاب نفـوس مشـرقة . قوية الاستعداد لإدراك المعـانى . قويـة الانجـذاب نحـو المبادىء العالية مائلة إلى تحصيل اليقين . علـى اختـلاف مراتبـه . وهـؤلاء يدعـون بالحكمـة •

والطائفة الثانية : عوام نفوسهم كدرة . ضعيفة الاستعداد . شديدة الإلف بالمحسوسات .قوية التعلق بالرسوم والعادات . قاصرة عـن درجـة البرهـان . لكـن لاعناد عندهم . وهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة •

والطائفة الثالثة : معاندة . مجادلة بالباطل . تقصد دحض الحق . لما غلـب عليها من تقليد الأسـلاف . ورسـخ فيهـا مـن العقـائد الباطلـة . وهـؤلاء يدعـون بالمجادلة الحسنى (٢) •

أمثلة لتنوع الوسيلة :

إن الداعية الناجح هـو الذى ينوع وسائلـه . ويشكلهـا حسـب موضوعاته التى يتناولها . وحسب أحوال المدعوين . وحسب الزمـان والمكـان الموجـود بـه . وحسب الأحوال والظروف المحيطة به وبدعوته •

---

(١) الدعوة الإسلامية د. أحمد غلوش ص ٢٧٨ •

(٢) تفسير الألوسى جـ ١٤ ص ٢٥٤ •

ومن الأمثلة على التنوع المثمر فى استخدام الوسائل الدعوية :

قال الله تعالى لنبيه ﷺ . ولكل الدعاة فى كل زمان ومكـان : - ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن (١) .

ويقول تعالى - واصفاً نبيه ﷺ - لقد جاءكم رسول مـن أنفسكم عزيز عليـه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم (٢) - فبما رحمة من الله لنـت لهـم . ولو كنـت فظا غليـظ القلـب لانفضوا مـن حولـك فاعف عنهـم واستغفر لهـم وشاورهم فى الأمر ... (٣) .

هذه صفات إمـام الدعـاة إلى الله تعالى نبينا محمـد ﷺ - حكيم . عزيز عليه ما يشق على أمته - حريص على الأمة - رؤف رحيم بها - ليس فظا ولا غليـظ القلب ....

لكن !! هل هذه الصفات على إطلاقها . مع كل إنسـان وفـى أى شـأن . وفـى أى مكان ؟ إن بعض الأحوال قـد تجعـل الرحمـة ضعفـا وليسـت حكمـة - وتجعـل الشدة حكمة وليست فظاظة ولا غلظـة . فاللين فـى وقـت اللـين ومـع مـن يقـدر اللين . حكمة . والشدة فى وقت الشدة ومع من لا يقدر الأمور : حكمة .

لكن اللين فى الشدة ومع من لا يقدر اللين . ضعف . والشدة فـى وقـت اللـين ومع من يقدر الأمور قدرها غلظة وفظاظة .

لذلك لما جاء وقت الشدة على رسول الله ﷺ - وهو الحكيم الـرؤف الرحيـم - تعامل مع ثلاثة من خيار الصحابة الكرام تعـاملا يختلـف عـن صفاتـه السـابقة . ففى قصة الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك :

---

(١) سورة النحل الآية : ١٢٥ .

(٢) سورة التوبة الآية : ١٢٨ .

(٣) سورة آل عمران الآية : ١٥٩ .

أن رسول الله ﷺ لما رجع من الغزوة . قبل أعذار المنافقين ووكل سرائرهم إلى الله تعالى . واستمع إلى أعذار الثلاثة الذين خلفوا عن الذهاب معه إلى الغزوة . ثم لما لم يذكروا أعذار تبيح لهم التخلف . أمر الناس بهجرهم حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت . وضاقت عليهم أنفسهم . ثم أمرهم أن يعتزلوا نساءهم ومكثوا على هذه الحال خمسين ليلة .

وشدة النبى ﷺ فى هذا الموقف ضرورية لتكون علاجا حاسما لهؤلاء الثلاثة . ولغيرهم .

وبعد فترة التمحيص نزل القرآن الكريم بالتوبة عليهم . والأمر بالاقتداء بهم فى توبتهم الصادقة – يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين – (١) .

وفى موقف آخر نجد النبى ﷺ يؤثر التعامل باللين والصفح لمصالح أعظم من تلك التى تحقق بالشدة . أو لخوف مما قد تؤدى إليه الشدة من أمور لا تحمد عقباها .

فإذا كنا رأينا النبى ﷺ يتعامل بالشدة مع الثلاثة الذين خلفوا . فإننا نراه فى موقف آخر يتجاوز ويعفو لآخرين لا يمكن أن تقارن منزلتهم بمنزلة الثلاثة الذين خلفوا . ويتمثل هذا الموقف فى أن النبى ﷺ عند ما طلب إليه عمر بن الخطاب وبعض الصحابة الكرام قتل المنافقين لكثرة إفسادهم وجرائمهم فى مجتمع المسلمين بالمدينة المنورة . فقال ﷺ : ... لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه (٢) .

---

(١) سورة التوبة الآية : ١٩٩ ، وراجع تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٢٩٦ وما بعدها .

(٢) البخارى كتاب التفسير باب سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم .. جـ ٨ ص ٦٤٦ – ٦٤٨ ، ٦٥٢ .

وقد فعل ذلك ﷺ درءا للفتنة . والضرر المترتب على قتلهم . ولما تركهم ﷺ أثبتت الاحداث بعد ذلك أنه كان تصرفا حكيما . فقد جاء بعض أهل المنافقين يستأذنون النبي ﷺ في قتل منافقيهم . وعندها قال ﷺ - أين عمر ؟! لو قتلنا هؤلاء يوم طلب عمر لأرعدت لهم انوف تريد اليوم قتلهم (١) -- ولما ظهرت حكمة النبي ﷺ لعمر في نهيه عن قتل المنافقين قال : قد والله علمت . لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري (٢) .

وهذا كله يقتضي أن يكون الداعية مراعيا لكل ما يتعلق بدعوته من قريب أو من بعيد .

- وأن يقتدي بالنبي ﷺ في تنوع وسائله الدعوية فيستخدم الوسيلة المناسبة في الموقف المناسب . ليكون له أثره الإيجابي والفعال في الدعوة والمدعوين .

كما يتبين للداعية أن تنوع الوسائل له دور أساسي في قبول المدعو للدعوة . لأن التنوع في الوسائل من حين لآخر يبعث في النفوس روح اليقظة والنشاط والأخذ بزمام الأمور .

---

(١) السابق جـ ٨ ص ٦٤٦ و ٦٤٨ و ٦٥٢ ، وسيرة ابن هشام جـ ٣ ص ٣٣٤ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٤ ص ١٨٥ ، والنووي على مسلم جـ ١٦ ص ١٣٩ كتاب البر والصلة باب أنصر أخاك ظالما أو مظلوما .

رابعا : الجمع بين الثبات والتطور :

الخصيصة الرابعة : هى أن الوسائل الدعوية لابد أن يجمع الداعية فيها بين الثبات على ما جاء عن النبى ﷺ فى القرآن والسنة والالتزام به قولا وفعلا ٠

ثم يوائم بين هذا الثبات وتطورات الزمان والمكان والإنسان والشأن . ولا يقف مكتوف الأيدى أمام الوسائل الحديثة التى يعج بها الزمان والمكان فى العصر الحاضر بل يسخرها لخدمة الإسلام والدعوة إليه ٠

لأن الأصل فى الوسائل الدعوية – ما عدا وسائل العبادة – أنها متطورة يمكن للدعاة أن يحسنوها ويطوروها حسب مقتضيات عصرهم وبيآتهم ٠

ويكفى دليلا على الجمع فى الوسائل الدعوية بين الثبات والتطور :

أ – أنه من المبادىء الأساسية التى وضعها النبى ﷺ لنشر دين الله تعالى : أنه لم يقتصر فى وسائله على نوع محدد . وإنما استعمل الوسائل الواردة فى القرآن الكريم والسنة الشريفة . ومع ذلك دعا أصحابه إلى تطبيق وسائل كثيرة كالخطبة وتبليغ الشاهد الغائب وحمل الرسائل . وقيادة الجيش . والجهاد فى سبيل الله تعالى ... الخ

وكل هذا يعطينا مندوحة فى استغلال كافة الوسائل الحديثة مستفدين من طريقة القرآن الكريم والسنة الشريفة فى الدعوة إلى الله تعالى . وبذلك نطور العلم . وفى نفس الوقت لا نخرج عن إطار الإسلام فى شىء (١) ٠

وبذلك نكون قد جمعنا فى دعوتنا بين خصيصة الثبات والتطور للوسائل ٠

ب – ومن الأدلة على جمع الوسائل الدعوية بين خصيصة الثبات والتطور .ما قام به الخلفاء الراشدون والسلف الصالح فى تطوير وسائل حفظ القرآن الكريم والسنة الشريفة ٠

---

(١) الدعوة الإسلامية د. أحمد غلوش ص ١٢ ٠

فقد تطورت وسائل حفظ القرآن الكريم من حفظه فى الصدور . وعلى السطور موزعا :

إلى جمعه كاملا فى زمن الصديق أبى بكر رضى الله عنه .

ثم إلى توحيد المصاحف فى زمن ذى النورين عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه . ثم إلى تشكيله - بالحركات والسكنات - فى عهد على بن أبى طالب كرم الله وجهه . على يد أبى الأسود الدؤلى . ثم إلى تنقيطه زمن الحجاج بن يوسف الثقفى فى عهد الوليد بن عبد الملك فيما بعد .

وكذلك تطورت وسائل حفظ السنة من حفظها وكتابتها المحدودة عند بعض الصحابة الكرام - كالصادقة لعبد الله بن عمرو بن العاص . إلى الاهتمام بتدوينها وجمعها كاملة فى عهد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وتمييز صحيحها من ضعيفها . والتدقيق فى أحوال الرجال والرواة . إذا فالداعية ينبغى أن يجمع فى وسائله الدعوية بين ما جاء عن النبى ﷺ ، وما جاءت به الحياة الحديثة من مخترعات من أجل إفادة الإسلام والمسلمين منها .

كما ينبغى عليه أن يراعى الطرق والأساليب المعروفة فى زمانه [حتى تكون دعوته أكثر وقعا وتأثيرا فى النفوس والقلوب . فليجتمع بالناس كما يجتمعون . وليتحدث إليهم كما يحبون . وليلا حظ فى التعرض لهم من الطرق ما يتفق وأوضاعهم . وطبيعتهم . وأسلوب حياتهم . فلو وطىء اليوم أحد بلاد أوربا وأمريكا ينشر فيها الدعوة . لوجب عليه أن يختار من وسائل الاتصال بالناس والاستئناس بهم . وبث أرائه وأفكاره فيهم . ما يكون قد راج فى حياتهم الاجتماعية والمدنية . فإن تنكر لهذه الوسائل وألح على رفضها . فسوف تذهب جهوده سدى . ويكون سعيه نفخا فى رماد . أو صوتا فى واد .

وكل ما يحتاج إليه الداعى إلى الله فى هذا الصدد . هو أن يتحاشى من الوسائل المتبعة المفضلة لدى الناس عما يؤدى إلى الفساد الخلقى ...

وعلى الداعية أن يتفادى من وسائل استقطاب الناس ما يحط من شأن الدعوة أو ينال من شخصيته ومكانته .... (١) .

خامسا : التكافؤ مع الغاية :

معنى هذه الخصيصة أن يماثل أو يوائم الداعية بين غايته والوسيلة التى يستعملها فى الوصول إلى هذه الغاية .

فلا تكون الغاية مهمة أو ضرورية أو ملحة . ويستعمل الداعية وسيلة فاترة أو هامشية أو ضعيفة .

لأن الوسيلة حينئذ تكون قاصرة عن الغاية أو ضعيفة عنها . فلا توصل إليها فى الوقت المناسب . ولا بالطريقة المناسبة .

إذ لكل مقام مقال . ولابد من مراعاة مقتضى الحال .

وتكافؤ كل وسيلة يكون بحسب الوسيلة نفسها . وبحسب الغاية التى تكون من أجلها هذه الوسيلة .

ومن الأمثلة على ذلك :

- استخدام النبى ﷺ وسيلة النذير العريان (٢) فى تبليغ دعوة الله تعالى ، وهى وسيلة قوية مناسبة لأهمية الأمر الذى جاء به ﷺ . ومعبرة عن خطورة عدم الاستجابة له فيه . وكذلك استخدامه ﷺ وسيلة الحركة أو الإشارة مع وسيلة القول فى قوله أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين (٣) .

---

(١) منهج الدعوة إلى الله : أمين أحسن إصلاحى ص ٥٧ - ٦٣ نشر دار الكتاب الإسلامى بالكويت بدون تاريخ .

(٢) البخارى جـ ١ ص ٣١٦ ، ومسلم جـ ١٥ ص ٤٨ .

(٣) الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٢٢٩ .

- وكذلك استخدامه لوسيلة الجهاد وإعداد القوة إرهاب العدو . امتثالا لقول الله تعالى - واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون (١) .

فالإعداد للعدو . والعمل على اكتساب القوة المادية والمعنوية لمقاومته أمر مطلوب . فلا يكفى فيه مجرد الإعداد . وإنما يجب فيه بذل الجهد والطاقة وإفراغ ما في الوسع لتكون القوة مرهبة للعدو مخيفة له .

ولا تكون هذه الوسيلة كذلك إلا إذا كانت مكافئة لما عند العدو من وسائل . بل متفوقة عليها .

لذا عمدت الدول في العصر الحديث إلى ما يسمى - بسباق التسلح - لترهب كل واحدة منهن الأخرى .

فعلى الدعاة واجب كبير في مجال الدعوة إلى الله تعالى ، لأنهم مكلفون بتبليغ الدعوة لكل إنسان في أي مكان . ومكلفون باستخدام شتى الوسائل الممكنة لتوصيل تلك الدعوة لكل إنسان في كل مكان وزمان ولابد أن تكون هذه الوسائل قائمة على قواعد وضوابط حتى يكون الداعية مسددا في دعوته . مكافئا بين وسائله وغايته . على حد قول سفيان الثورى : - لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث : رفيق فيما يأمر به . رفيق فيما ينهى عنه . عدل فيما يأمر به . عدل فيما ينهى عنه ، عالم بما يأمر به . عالم بما ينهى عنه (٢). ولعل واجب الدعاة في هذا الجانب يتوزع على الفرد وعلى الجماعة كما يتوزع على الشعوب المسلمة في كل الدول المسلمة .

---

(١) سورة الأنفال الآية : ٦٠ .

(٢) الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : لأبى بكر الخلال ص ٥٠ .

فالمسئولية عامة مشتركة . وكل يطالب فى حدود إمكاناته وقدراتـه . ويحاسـب بحسب تقصيره فى ذلك ٠

فما يمكن أن يقدمه الداعية الفرد . غير ما يمكن أن تقدمـه الجماعـة أو المنظمـة الدعوية . وما يمكن أن تقوم بـه الدولـة المسـلمة غـير مـا يمكـن ان تقـوم بـه جميـع الشعوب فى جميع الدول المسلمة ... وهكـذا (١) . إذا الواجـب علـى الدعـاة أن يكونـوا مكـافئين بـين الوسـائل والغايـات أو الأهـداف التـى تسـتعمل مـن أجلهـا الوسائل ز حتى يوفقون فى دعوتهم بإذن ا لله تعالى ٠

خلاصة القول فى خصائص الوسائل الدعوية :

هذه هى أهم الخصائص التى يجب أن تتوفر فى الوسائل التى يستخدمها الدعاة فى أى زمان ومكان ٠

فإذا انطبقت هذه الخصائص على الوسائل الدعوية . يمكن بإذن ا لله تعـالى أن تصل هذه الوسائل إلى تحقيق أهدافها التى ينشدها الداعية ٠

وهذا يلقى على عواتق الدعاة مسئولية مهمة وخطيرة . تدعوهـم دائمـا إلى أن يزودوا أنفسهم بكل ما يموج به العصر من أحداث ووسائل وآراء وأفكار . حتـى يستطيعوا التعامل معها . تعامل الفاهم المدرك الواعى ذى البصيرة النيرة ، وبذلـك يتقدمون نحو النجاح المطلوب (٢) ٠

هل هذه الخصائص هى الضوابط الشرعية للوسائل الدعوية ؟!

إن هـذه الخصـائص والمواصفـات التى ينبغـى أن تكـون عليهـا وسـائل الدعـوة الإسلامية ليست هـــى الضوابـــط الشرعيـــة للوسائل . لأن الضوابـــط هـى وضع

---

(١) المدخل إلى علم الدعوة : د. البيانونى ص ٣٤٣ بتصرف ٠

(٢) وسائل الدعوة د. الجيوشى ص ٨٠ بتصرف ٠

للوسائل الدعوية في دائرة محددة لا تخرج عنها . هي دائرة الإسلام الحنيف .

أو هي صبغ الوسائل الدعوية بصبغة الإسلام . وهي – صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة .

ثم بعد ذلك تكون الخصائص أو المميزات التي تميز وسائل الدعوة الإسلامية عن وسائل الدعوات الأخرى .

المطلب الثاني
مقارنة بين وسائل الدعوة الإسلامية ووسائل الدعوات الأخرى

إن الوسائل الدعوية التي يستخدمها الدعاة المسلمون وغير المسلمين واحدة . لأن الكل يستخدم القول . والحركة بشتى أشكالهما .

- كما يستخدم الإذاعات المسموعة . والمرئية بمختلف ألوانها .
- كما يستخدم الكتاب والصحيفة والمجلة والجريدة .... الخ .
- كما يستخدم دور العبادة والجمعيات والمعسكرات والنوادي والمخيمات ... الخ .

ولكي تكون المقارنة مجدية ونافعة . نقارن بين أهداف الدعوة الإسلامية وأهداف الدعوات الأخرى . لأن الأهداف تتحقق عن طريق الوسائل .

وبشرف الهدف تشرف الوسيلة . وبدناءته تدنو الوسيلة .

أهداف الدعوة الإسلامية :

تدور أهداف الدعوة الإسلامية حول ثلاثة محاور أو جوانب :

الأول : جانب الصلة بالله تعالى : وهذا الجانب يتحقق بالعبادة الخالصة لله سبحانه عقيدة وشريعة وأخلاقا امتثالا لقوله سبحانه : " يأيها الناس اعبدوا ربكم

الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون " (١) ٠

الثانى : جانب الصلة بالنفس الإنسانية : ويتحقق هذا الجانب بالمحافظة على النفس وعدم تعريضها للمخاطر والمفاسد . امتثالاً لقوله سبحانه : ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة . . (٢) ولا تقتلوا أنفسكم (٣) ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح .. ذكاها وقد خاب من دساها (٤) ٠

الجانب الثالث : جانب الصلة بالناس : وهذا الجانب يتحقق بالتآخى والتعاون والتعاطف امتثالا لقوله سبحانه : – إنما المؤمنون أخوة (٥) – وقد أشار النبى ﷺ إلى هذه الجوانب الثلاثة بقوله : اتق الله حيثما كنت . واتبع السيئة الحسنة تمحها . وخالق الناس بخلق حسن (٦) ٠

أهداف الجوانب الثلاثة للدعوة الإسلامية :

تهدف هذه الجوانب الثلاثة إلى :

١ – السمو بالإنسان واحترام عقلة وفكره حينما تتحقق الصلة بالله تعالى : ايمانا وإسلاما وإحسانا ٠

٢ – تطهير النفس وتزكيتها : حينما تتحقق الصلة بالنفس محافظة عليها وصيانة لها ٠

٣ – استقامة السلوك الإنسانى : حينما تتحقق الصلة بالآخرين حبا وإخاء ٠

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢١ ٠

(٢) سورة البقرة من الآية : ١٩٥ ٠

(٣) سورة النساء الآية : ٢٩ ٠

(٤) سورة الشمس الآية : ٧ – ١٠ ٠

(٥) سورة الحجرات الآية : ١٠ ٠

(٦) رواه الترمذى وصححه ٠

النتيجة العامة لهذه الجوانب وأهدافها :

تكمن النتيجة العامة لهذه الجوانب الثلاثة بأهدافها فى :

الوصول إلى أسمى درجات الكمال الإنسانى الممكنة فى مجال العقل . والخلق والسلوك (١) .

وهى جوانب وأهداف تسمو بالإنسان فى تفكيره وسلوكه وأخلاقه وتعاونه . ولا ترمى إلى نفع ذاتى . ولا إلى مصلحة خاصة . وإنما هدفها الخير العام للناس جميعا (٢) .

هذه هى المحاور الثلاثة التى تهدف اليها وتعمل من أجلها وسائل الدعوة الإسلامية .

أهداف الدعوات الأخرى :

تهدف الدعوات غير الإسلامية سواء كانت مذاهب فكرية بشرية . أم ديانات وضعية . أم ديانات سماوية دخلتها اليد البشرية إلى :

– تمزيق العلاقة بين الإنسان وخالقه سبحانه وتعالى باشاعة الكفر والإلحاد .

– تمزيق العلاقة بين الإنسان ونفسه . بإغواء الإنسان بما لا يقدر على تحقيقه – كمثل الشيطان إذ قال للإنسان أكفر . فلما كفر قال إنى برىء منك (٣) .

– تمزيق العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان . باشاعة ما يؤدى إلى الشحناء والبغضاء فى نفوس البشر .

---

(١) وسائل الدعوة د. الجيوشى ص ٨١ بتصرف .

(٢) السابق ص ٩٠ بتصرف .

(٣) سورة الحشر من الآية : ١٦ .

- وتستعمل هذه الدعوات فى سبيل الوصول إلى أهدافها كـل الوسـائل التـى تنافى الخلق المستقيم . وتؤثر فى النقاء النفسى . ولا تهتم بالعلاقات الإنسـانية إلا على أساس المنفعة الخاصة •

ولا يتورع أصحاب هذه الدعوات من إغراء المدعو بالمفسـدات مـن المخـدرات والجنس والمال ... الخ فى سبيل الوصول إلى غايتهم •

الخلاصة :

هناك فرق شاسع بين دعوة تسمو بالإنســان فـى عقيدتـه وأخلاقـه وسـلوكه . ودعوات تحط من قدر الإنسان وتسخره لأهوائها •

وعلى هذا نجد أن الدعوة الإسلامية بوسائلها دعوة نقية سليمة هادفـة إلى رقـى الإنسان وسعادته فى عاجل أمره وآجله •

أما الدعوات الأخرى فهى ليست كذلك !!!

الفصل السادس
وسائل الدعوة فى العهد المكى

تمهيد :

أولا : إن المتتبع لمسيرة الدعـوة الإسلامية فـى العهـد المكـى . يلاحـظ بعـض الأمـور :

أ - يلاحظ أن إطلاق أول صيحـة للدعـوة مـن النبـى ﷺ بمكـة . كـانت بعـد نزول الوحى عليه بقوله سبحانه : يأيها المدثر . قم فانذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر . ولربك فاصبر (١) .

ب - كما يلاحظ أن جميع الوسـائل الدعويـة التى اتخذهـا النبـى ﷺ فـى هـذا العهد . كانت وسائل مادية : فطرية : قولية . وحركية . ومكتسبة .

لأن المجتمع المكى كان مجتمعا ماديا . لا يؤمـن إلا بالمحسوسـات . وهـذا السـبب يترتب عليه :

ثانيا : الحالة العامة للمجتمع المكي في بداية الدعوة :

١- كان المجتمع المكى فى بداية الدعوة مجتمعـا وثنيـا مشـركا . يعبـد الأوثـان والأصنام (٢) ويشـرك مـع الله آلهة أخـرى . معتقـدا أنهـا تقربـه إلى الله

---

(١) سورة المدثر الآيات : ١ - ٧ .

(٢) الوثن هو الصنم . والجمع وثن وأوثان : وهو التمثال يعبد سواء أكان من خشبه أم حجر أم نحاس أم فضة أم غير ذلك - القاموس المحيط باب النون فصل الواو ص ١٥٩٧ وبـاب الميم فصل الصاد ص ١٤٦٠ قال ابن الأثير : الفرق بين الوثـن والصنـم : أن الوثـن كـل ماله جثة معمولة من جواهر الأرض أو مـن خشـب أو حجارة كصورة الآدمى تعمل =

تعالى . ويقولون عنها :

- كما أخبر عنهم القرآن الكريم - ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى (١) .

الدليل على هذه الحال الشركية :

يدل على هذه الحالة الشركية الوثنية للمجتمع المكي في بداية الدعوة الإسلامية . أدلة من القرآن الكريم . وأدلة من السيرة أو التاريخ .

فمن القرآن الكريم ما يدل على أن المكيين تعجبوا من دعوة النبي ﷺ إلى الوحدانية الخالصة لله تعالى .

قال الله تعالى : " ق والقرآن المجيد . بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب " (٢) وقال تعالى : ص . والقرآن ذي الذكر . بل الذين كفروا في عزة وشقاق كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص . وعجبوا أن جاءهم منذر منهم . وقال الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل الآلهة إلها واحدا . إن هذا الشيء عجاب .

وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا الشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاف (٣) .

= وتنصب فتعبد - والصنم : الصورة بلا جثة . ومنهم من لم يفرق بينهما . وأطلقهما على المعنيين .

ثم قال : وقد يطلق الوثن على غير الصورة . ومنه حديث عدي بن حاتم قال : اتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب ، فقال لي : يا عدي اطرح عنك هذا الوثن - الترمذي كتاب التفسير باب سورة التوبة جـ ٥ ص ٢٧٨ برقم ٣٠٩٥ انظر النهاية في غريب الحديث جـ ٣ ص ٥٦ و جـ ٥ ص ١٥١ .

(١) سورة الزمر الآية : ٣ .

(٢) سورة ق الآيتان : ١ ، ٢ .

(٣) سورة ص الآيات : ١ - ٧ .

ومن أصدق الأدلة التاريخية ما صور به جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه المجتمع المكي في بداية الدعوة قائلا للنجاشي ملك الحبشة يوم أن هاجروا إليه في السنة الخامسة من البعثة النبوية الشريفة : أيها الملك : كنا قوما أهل جاهلية . نعبد الأصنام . ونأكل الميتة . ونأتي الفواحش . ونسيء الجوار . ويأكل القوي فينا الضعيف . حتى بعث الله تعالى إلينا رسولا منا . نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه .

فدعانا إلى الله تعالى لنوحده ونعبده . ونخلع ما كنا نعبده نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان . وأمرنا بصدق الحديث . وأداء الأمانة . وصلة الأرحام . وحسن الجوار . والكف عن المحارم والدماء . ونهانا عن الفواحش . وقول الزور . وأكل مال اليتيم . وقذف المحصنات . وأمرنا أن نعبد الله ونوحده وحده لا نشرك به شيئا . فصدقناه . وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله تعالى . فعبدنا الله وحده . فلم نشرك به شيئا . وحرمنا ما حرم علينا . وأحللنا ما أحل لنا . فعدا علينا قومنا فضربونا وفتنونا عن ديننا . ليردونا إلى عبادة الأوثان عن عبادة الله تعالى . وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث .

فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا،خرجنا إلى بلادك . واخترناك على من سواك . ورغبنا في جوارك . ورجونا أن لا تظلم عندك (١) . وهذا الذي قاله جعفر رضي الله عنه أصدق وصف لما كان يسود المجتمع المكي من عقائد ومبادىء وقيم يسودها الشرك والوثنية ومساوىء الأخلاق .

٢- كما كان المجتمع المكي في بداية الدعوة الإسلامية . لا يؤمنون بالحياة الآخرة بعد الموت وما فيها من بعث وحساب وثواب وعقاب أو جنة ونار .. الخ .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ ١ ص ٣٢٦ .

والدليل على إنكارهم للحياة الآخرة : - وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر .وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون (١) - وقالوا: إن هى إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين (٢) - وقال الذين كفروا أإذا متنا وكنا ترابا أئنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين (٣) .

الوسائل التى اتخذها النبى ﷺ لدعوة المكيين :

أولا : وسائله فى دعوتهم إلى وحدانية الله تعالى :

استعمل النبى ﷺ كثيرا من الوسائل لدعوة المكيين تتفق مع ظروفهم واحتياجاتهم . وتخاطب عقولهم وقلوبهم ومشاعرهم . وتجعلهم يدركون أنهم على خطأ كبير فى اعتقاداتهم ومعبوداتهم . وتأخذ بأيديهم لى التسليم بصحة ما يدعو إليه . وإن أصر كبراؤهم على العناد والاستكبار والمجادلة بالباطل ليدحضوا به الحق .

ومن أهم هذه الوسائل النبوية للدعوة المكية :

(١) سورة الجاثية الآية : ٢٤ .

(٢) سورة الأنعام آية : ٢٩ .

(٣) سورة النمل آية : ٦٧ - ٦٨ .

المبحث الأول
الوسيلة القولية للفرد والجماعة

وهى من أقوى الوسائل وأكثرها شيوعا . واشدها تأثيرا . وتفاعلا بين الداعية والمدعو •

فرغم تطور وسائل الاتصال فى العصر الحديث التى تستخدم فى بث الأفكار والدعوة لمبدأ ما . فإن الاتصال عن طريق القول - اللغة والمقابلة الشخصية - ما زال هو العامل الأساسى فى توصيل أية دعوة . لأن اللغة تمثل أهم طريقة للتفاعل الاجتماعى بين الأفراد . وعن سبيلها يمكن الإلمام بمعرفة أحوال الناس والمشاركة فى الأفكار والمشاعر والمعتقدات •

ونتيجة لهذا يمكن تحديد وتشخيص وحل المشكلات فى المجتمع (١) - وقد نشطت الدراسات الاجتماعية الحديثة فى تصوير وسائل الاتصال بالجماعة عن طريق اللغة التى تعتبر وسيلة أساسية فعالة فى توصيل المبادىء للناس •وقد توصل الدارسون الغربيون والشرقيون إلى وضع عدة صور لهذه الوسائل . منها :

١- المناقشة فى الجماعة الصغيرة :

وقد حاولوا وضع تعريف لهذه الوسيلة . فقالوا : إنها تبادل الأفكار والآراء وجها لوجه بين أعضاء جماعة صغيرة نسبيا - وتكون عادة من خمسة إلى عشرين •

وتظهر أهمية هذه المناقشة من عدة اعتبارات :

أ - أنها تتيح الحد الأقصى من التفاعل المتبادل بين الأعضاء :

---

(١) القيادة وديناميكية الجماعات ص ٧٨ •

ب - وأنها تعلم الأعضاء التفكير في حيز إطار الجماعة الذى ينمى الإحساس بالمساواة .

جـ - وأنها تساعد على انبثاق قيادة (١) - تقود هذه الجماعة وغيرها .

ولقد سبق رسول الله ﷺ هذه الدراسات منذ أن توجه إلى تبليغ دعوة الله تعالى ففى أسباب النزول للواحدى : أن النبى ﷺ كان يناجى عتبة بن ربيعة . وأبا جهل بن هشام . والعباس بن عبد المطلب . وأبيا . وأمية ابنا خلف . ويدعوهم إلى الله تعالى . ويرجوا إسلامهم . فقام ابن أم مكتوم وقال : يا رسول الله علمنى مما علمك الله وجعل يناديه . ويكرر النداء . ولا يدرى أنه مشتغل مقبل على غيره (٢) .

٢- **جماعة الطنين :** وهى وسيلة بديلة عن وسيلة - الحابل والنابل - التى تتفتت وتتجزأ الجماعة فيها إلى وحدات صغيرة ليتسير المناقشة (٣) .

ووسيلة الطنين هذه . يقتصر فيها على عضوين اثنين فقط . لمناقشة موضوع ما .

وقد سبق القرآن الكريم هذه الدراسة . منذ فجر الدعوة . حيث دعا المخاصمين إلى أن يقوموا قومة خالصة لله تعالى . مثنى وفرادى . قال تعالى : قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى . ثم تتفكروا . ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد (٤) .

---

(١) القيادة وديناميكية الجماعات ص ٨٣ .

(٢) أسباب النزول للواحدى ص ٤٧٨ .

(٣) القيادة وديناميكية الجماعات ص ١٩٩ .

(٤) سورة سبأ الآية : ٤٦ .

أى آمركم بواحدة . وهـــى : أن تقومـــوا قياما خالصا لله تعـالى مـن غـير هـوى ولا عصبية فيسأل بعضكم بعضا : هل بمحمد من جنون فينصـح بعضكـم بعضـا . ثم تتفكروا (١) .

٣- **النــدوة :** وهى عبارة عن لقاء عام فى مكـان عـام يتخـذ شـكلا محليـا كالقاعة وغيرها . تلقى فيها طائفة مـن الأحـاديث أو الكلمـات أو الموضوعـات . يعرضها أشخاص لمفهوم مشكلة واحدة (٢) .

وقد سبق النبى ﷺ إلى تلك الوسيلة فى بداية الدعوة بمكة لما نزل قولـه تعـالى : وأنذر عشيرتك الأقربين (٣) .

أقام لعشيرته ندوة ثلاث مرات تكلم فيها أبو لهب وعرض وجهة نظره ثم تكلم النبى ﷺ وشرح لهم الدعوة (٤) .

٤- **المناظـرة :** وهى محاورة تجرى بين شـخصين مـن ذوى المقـدرة علـى الحديث عن موضوع معين (٥) .

وقد سبقت الدعوة الإسلامية إلى هذه الوسيلة فى التبليغ . وقد أسلم كثير مـن المدعوين نتيجة للمحاورات التى كانـــت تجـرى بـين الرسـول ﷺ وبينهـم . ومـن أمثلة ذلك :

إسلام الحصين.والد عمران بن الحصين.رضىالله تعالى عنهما :

كان الحصين رجلا تعظمه قريش . فذهبوا إليه وقالوا له : كلم هذا الرجل فإنه

---

(١) تفسير ابن كثير ص ٥٤٣ .

(٢) القيادة وديناميكية الجماعات ص ٢٠٢ .

(٣) سورة الشعراء الاية : ٢١٤ .

(٤) راجع صفحة ١٥٠ من هذا البحث .

(٥) القيادة وديناميكية الجماعات ص ٢٣٣ .

يذكر آلهتنا ويسبهم - يعنون بذلك رسول الله ﷺ .

فجاؤوا معه حتى جلسوا قريبا من باب النبي ﷺ . فدخل على رسول الله . فقال ﷺ : أوسعوا للشيخ .

وعمران ولده مسلم يجلس مع رسول الله ﷺ .

فقال حصين : ما هذا الذى بلغني عنك ؟ . إنك تشتم آلهتنا . وتذكرهم . وقد كان أبوك على دين قومه . فقال ﷺ : يا حصين : كم تعبد من إله . قال سبعة في الأرض . وواحدا في السماء .

قال : فإذا أصابك الضر فمن تدعو ؟ . قال : الذى في السماء .

قال : فإذا هلك المال فمن تدعو ؟ . قال : الذى في السماء .

قال : فيستجيب لك وحده . وتشرك معه غيره ؟ أرضيته في الشكر أم تخاف أن يغلب عليك ؟ . قال : ولا واحدة من هاتين .

فقال : يا حصين : أسلم تسلم - قال : إن لى قوما وعشيرة . فماذا أقول ؟ : قال : قل : اللهم استهديك لأرشد أمرى . وزدنى علما ينفعنى . فقالها . حصين . فلم يقم حصين حتى أسلم . فقام إليه عمران ولده . فقبل رأسه ويديه ورجليه .

فلما رأى ذلك النبي ﷺ بكى . وقال : بكيت من صنيع عمران . دخل حصين أبوه وهو كافر . فلم يقم له . ولم يلتفت ناحيته . فلما أسلم قضى حقه . فدخلنى من ذلك الرقة .

فلما أراد حصين أن يخرج . قال ﷺ لأصحابه : قوموا فشيعوه إلى منزله (١) .

---

(١) ربما يكون هذا الأمر تكريما له واحتفاء به لأن الله تعالى هداه إلى الإسلام . وربما يكون حفاظا عليه من الردة عند مقابلته للقرشيين . كما حدث مع عتبة بن ربيعة . والوليد بن المغيرة .

فلما خرج من سدة الباب رأته قريش فقالوا : صبأ . وتفرقوا عنه (١) .

٥- **المقابلة** : وهي وسيلة متعددة الأساليب : فتكون بالزيارة . أو بالراديو . أو التلفزيون ... الخ .

وقد كان رسول الله ﷺ دائما حريصا . على أن تتم المقابلة بينه وبين خصوم الدعوة . فإنه رغم الأذى الذى كان يدأب عليه عقبة بن أبى معيط إلا أن رسول الله ﷺ كان يكثر من مجالسته .

ولما دعا النبى ﷺ لوليمة فى بيته إثر عودته من سفر . استجاب له رسول الله ﷺ . وما أكل حتى أنطقه شهادة التوحيد (٢) .

٦- المؤتمرات المؤقتة : وهى المؤتمرات التى تعقد للأمور الطارئة .

وقد استخدم الرسول ﷺ هذه الوسيلة فى بداية الدعوة لما نزل عليه قوله تعالى - فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين - (٣) حيث صعد الصفا ونادى كل بطون قريش حتى اجتمعوا . فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل عنه رسولا لينظر ما هو . فقال ﷺ : أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى : قالوا : نعم . ما جربنا عليك كذبا قط . قال : فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد (٤) .

وفى مؤتمر مؤقت آخر خطبهم قائلا : الحمد لله . أحمده وأستعينه . وأومن به . وأتوكل عليه . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

---

(١) الاصابة جـ ١ ص ٣٣٧ . وحياة الصحابة جـ ١ ص ٩٨ ، والسيرة الحلية جـ ١ ص ٤٥٥ .

(٢) السيرة الحلية جـ ١ ص ٣٥٣ .

(٣) سورة الحجر الآية : ٩٤ .

(٤) البخارى كتاب التفسير باب - وأنذر عشيرتك الأقربين جـ ٨ ص ٥٠١ .

ثم قـال : إن الرائد لا يكذب أهلــــه . والله لـــو كذبــت النـاس جميعـا مـا كذبتكم . ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم . والله الـذى إلـه إلا هـو إنـى لرسول الله اليكم خاصة . وإلى الناس عامة . والله لتموتن كما تنامون . ولتبعثـن كما تستيقظون . ولتحاسبن بما تعملون . وإنها لجنة أبدا . او لنار أبدا (١) .

وقد جمع النبى ﷺ فـى هـذا البيـان كـل أصـول الدعـوة الإسـلامية . والتـى تتمثل فـى :

١- الإيمان بالله الواحد الأحد . والشهادة له بالتوحيد الخالص .

٢- الإيمان بالنبى ﷺ والشهادة له بالرسالة .

٣- التأكيد على عالمية الدعوة الإسلامية لكل إنسان فى كل زمان ومكان .

٤- الإيمـان باليـــوم الآخـر بداية من الموت . ثم البعث . ثم الحسـاب . ثـم ما يترتب على الحساب من نعيم فى الجنة . أو عذاب فى النار .

---

(١) الرحيق المختوم ص ٩٠ والوفا بأحوال المصطفى جـ ١ ص ١٨٢ .

المبحث الثانى
وسيلة الحركة

وسيلة الحركة هى : التنقل بالدعوة من مكان إلى مكان :

فقد كان النبى ﷺ يتحرك بالدعوة داخل مكة بصفة دورية ومستمرة . على المنازل وفى الشوارع والأسواق والمنتديات ويقول : - يأيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا . ويمر على الحجيج فى موسم الحج عارضا دعوته على كل من يقابله مهما كان وأيا كان . وكانت هذه المقابلات مع الحجيج هى ركيزة العمل التمهيدى لنقل الدعوة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة .

ولا يخفى على المسلم خروج النبى ﷺ بالدعوة من مكة إلى الطائف . ثم إلى المدينة المنورة ...



المبحث الثالث
وسيلة لفت الأنظار والعقول إلي آثار قدرة الله تعالي في كل ما يحيط بالإنسان

لقد كان ﷺ حريصا على لفت الأنظار والعقول إلى ما فى هذا الكون من مخلوقات عجيبة تبهر العقول . وتدل على وجود الله تعالى وتفرده بالخلق والأمر والتدبير .

فلفتها للنظر والتفكر فى السماء وارتفاعها . والشمس وضيائها . والنجوم ومن خلقها . والأرض ومن بسطها . والجبال ومن نصبها . والرياح ومن سيرها . والأمطار ومن أنزلها . والنباتات ومن أنبتها . والحيوانات ومن أوجدها وسخرها . والتفكر فى النفس وأسرارها . وقوتها وضعفها . ويقظتها ومنامها ... الخ .

إلى غير ذلك من الآيات الكونية والإنسانية الدالة على وجود الله ووحدانيته . وكمال قدرته . وإتقان صنعه . وعظيم تدبيره .

لذلك نجد القرآن الكريم فى العهد المكى يركز على هذه الحقائق . لافتا الأنظار إلى التأمل . والعقول إلى التفكر . والقلوب إلى التدبر . حتى تهتدى إلى الحق والطريق المستقيم .

قال تعالى : - " أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت " - (١) .

قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . الله خير أما يشركون أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أءله مع الله بل هم قوم يعدلون . أمن جعل الأرض

---

(١) سورة الغاشية الآيات : ١٧ - ٢٠ .

قرارا وجعل خلالها أنهارا . وجعـل لهـا رواسي وجعل بين البحريـن حـاجزا أءلـه مع ا لله . بل أكثرهم لا يعلمون . أمن يجيـب المضطـر إذا دعـاه ويكشـف السـوء ويجعلكم خلفاء الأرض . أءله مع ا لله قليلا ما تذكرون . أمن يهديكم في ظلمـات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يـدى رحمتـه اءلـه مـع ا لله تعـالى ا لله عمـا يشركون . أمن يبدوء الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السـماء والأرض أءلـه مـع ا لله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ، قل لا يعلم مـن فـي السـموات والأرض الغيب إلا ا لله وما يشعرون أيان يبعثون – (١) .

إلى غير ذلك من الآيات القرآنية التي تدل على تفـرد ا لله تعـالى بـالخلق والأمـر والتدبير .

(١) سورة النحل الآيات : ٥٦ – ٥٩ .

المبحث الرابع
وسيلة ضرب الأمثال

ولفت الأنظار والعقول إلى ما حدث للامم السابقة . من نعمة حين آمنوا بـا لله ورسله . ومن نقمة حين كفروا با لله وكذبوا رسله .

قال تعالى : وضرب ا لله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كـل مكان فكفرت بأنعم ا لله فأذاقها ا لله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون (١) . – أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم . كانوا هم أشد منهم قوة وآثاروا فى الأرض . فأخذ هى ا لله بذنوبهم وماكان لهم من ا لله من واق . ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم ا لله إنه قـوى شديد العقاب (٢) .

أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبـة الذيـن مـن قبلهـم . كـانوا أشـد منهـم قـوة وأثـار والأرض وعمروهـا أكـثر مما عمروهـا وجـاءتهم رسـلهم بالبينات فما كان ا لله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٣) .

قل سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين (٤) .

والأمر بالسير يشمل : السير بالأبدان . والتأمل بالأنظار . والتدبـر بـالقلوب . والتفكر بالعقول . فى عواقب المكذبين وما آل إليـه حالهم مـن الخزى والنكال –

---

(١) سورة النحل الآية : ١١٢ .

(٢) سورة غافر الآيتان : ٢١ ، ٢٢ .

(٣) سورة الروم الآية : ٩ .

(٤) سورة الأنعام الآية : ١١ .

إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد - (١) - إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى - (٢) .

ثانيا : وسائله فى دعوته إلى الإيمان بالحياة الآخرة :

استبعد المشركون والملحدون من المكيين وغيرهم . إعادة الأجساد بعد موتها . إذا تقطعت الأوصال . وتمزقت الأشلاء . وبليت الجلود . وتفتتت العظام . وفرقت الأجساد فى أجزاء الأرض . وتحللت إلى ذرات ترابية . أو صار غذاء للسباع والهوام . أو للأسماك فصار غذاء لها واختلط بأجزائها . ولا يميز عنها بحال - (٣) .

وقد سلك النبى ﷺ فى دعوتهم للإيمان باليوم الآخر وما فيه أسلوب الأدلة الشرعية . والأدلة العقلية . والأدلة الحسية .

الأدلة الشرعية :

رد الرسول ﷺ شبه المنكرين للبعث من المكيين وغيرهم بما شرعه الله تعالى . وأنزله فى القرآن الكريم .

قال تعالى : - وقالوا أءذا ضللنا فى الأرض أءنا لفى خلق جديد . بل هم بلقاء ربهم كافرون . قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم . ثم إلى ربكم ترجعون - (٤) .

- ق . والقرآن المجيد . بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا

---

(١) سورة ق الآية : ٣٧ .

(٢) سورة النازعات الآية : ٢٦ .

(٣) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٤٥٨ ، جـ ٤ ص ٢٢٢ بتصرف .

(٤) سورة السجدة الآيتان : ١٠ ، ١١ .

شيء عجيب - أءذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد . قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ - (١) .

فقد بين الله تعالى أنه يعلم كل شيء في السموات والأرض ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء - وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين - (٢) . وأنه سبحانه يعلم ما تأكل الأرض من أجسادهم وجلودهم ولحومهم وعظامهم وأشعارهم ولا يخفى عليه أين تفرقت هذه الأجساد . ولا إلى أين ذهبت . ولا إلى ماذا صارت . لأن كل ذلك عنده في كتاب مضبوط محفوظ (٣) .

كما أمر الله تعالى رسوله أن يقسم بربه سبحانه . على وقوع البعث والحياة بعد الموت . وأنه لا يغيب عن الله تعالى شيء أيا كان حجمه أو زمانه أو مكانه - وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء . ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين (٤) - وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة . قل بلى وربي لتأتينكم . عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض . ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين . ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم . والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز اليم - (٥) .

---

(١) سورة ق الآيات : ١ - ٤ .

(٢) سورة النحل الآية : ٧٥ .

(٣) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٢٢٢ .

(٤) سورة يونس من الآية : ٥٣ .

(٥) سورة سبأ الآيات : ٣ - ٥ .

- ويستنبئونك أحق هو قل أى وربى إنه لحق ومـا أنتـم بمعجزيـن - (١) زعـم الذين كفروا أن لن يبعثوا . قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم . وذلك على الله يسير - (٢) .

الأدلـة العقليـة :

بين النبى ﷺ للمكيين وغيرهم مـدى قـدرة الله تعـالى فـى إحيـاء الموتـى . بعـد موتهم بأدلـــة عقليـــة . تقنـع العقـــل . وتستـميل القلـب والمشـاعر ممثلـه فـى النقاط الآتية :

١- حكمة الله تعالى وعدله يقتضيان البعث والجزاء :

لقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يجعل الحياة الدنيا دار عمل وابتـلاء . فأرسـل الرسل . وأنزل معهم الكتب ليبينوا للناس شرع الله تعالى . لإقامة الحجـة عليهـم - لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل - (٣) .

وهذا يقتضى أن يكون هناك دار أخرى لإثابة المحسن . ومعاقبـة المسـىء . قـال تعالى : - تبارك الذى بيده الملك . وهو على كل شىء قدير . الـذى خلـق المـوت والحياة ليبلوكم ايكم أحسن عملا . وهو العزيز الغفور - (٤) إليه مرجعكم جميعـا إنه يبدؤ الخلق ثم يعيده . ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط . والذين كفروا لهـم شراب من حميم وعـذاب أليم بمـا كانوا يكفرون - (٥) أفحسبتم أنما

---

(١) سورة يونس الآية : ٥٣ .

(٢) سورة التغابن الآية : ٧ .

(٣) سورة النساء من الآية : ١٦٥ .

(٤) سورة الملك الآيتان : ١ ، ٢ .

(٥) سورة يونس الآية : ٤ .

خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون - (١) ثم إن المساواة بين المحسن والمسيء . أو المؤمن والكافر . لا تجوز في حق الله تعالى . ولا تستقيم مع حكمته وعدله . وقد شدد الله تعالى النكير على من ظن شيئا من ذلك . فقال تعالى : - أم حسب الذين اجترحوا السيأت إن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات . سواء محياهم ومماتهم . ساء ما يحكمون - (٢) .

أى ساء ما ظنوا بنا وبعد لنا . أن نساوى بين الأبرار والفجار . فى الدار الآخرة وفى هذه الدار - (٣) وقال تعالى : - أفنجعل المسلمين كالمجرمين . ما لكم كيف تحكمون ؟ - (٤) .

٢- القادر على الإيجاد من عدم . قادر على الإعادة - وهى أهون عليه - :

إذا لم يكن الشيء موجودا . ثم وجد . ثم أعدم . فإن إعادته من العدم أهون على من أوجده أول مرة . ثم أفناه . وقد رد الله تعالى على من أنكر البعث بهذا . فقال تعالى : - ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا . أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا - (٥) فيستدل الله تعالى بالبداءة على الإعادة . يعنى أنه تعالى قد خلق الإنسان ولم يك شيئا . أفلا يعيده وقد صار شيئا !! .

---

(١) سورة المؤمنون الآية : ١١٥ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ١٥٠ .

(٣) سورة الجاثية الآية : ٢١ .

(٤) سورة القلم الآيتان : ٣٥ ، ٣٦ .

(٥) سورة مريم الأيتان : ٦٦ ، ٦٧ .

كما قال سبحانه : - وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده . وهو أهون عليه ... - (١) .

وأفعل التفضيل هنا جاء على غير بابه . أو مجاراة للأساليب العربية . لأنه ليس مع الله تعالى هين واهون . إذ الكل بالنسبة إليه تعالى سواء . كما قال بعض المفسرين عن الخلق من عدم . والإعادة من عدم . كلاهما بالنسبة إلى القدرة على السواء . وقال العوفى عن ابن عباس : كل عليه هين .

كما ورد فى الحديث القدسى : كذبنى ابن آدم . ولم يكن له ذلك . وشتمنى ولم يكن له ذلك . فأما تكذيبه إياى فقوله لن يعيدنى كما بدأنى . وليس أول الخلق بأهون على من إعادته . وأما شتمه إياى . فقوله اتخذ الله ولدا . وأنا الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد - (٢) .

إلى غير ذلك من الأدلة القطعية - فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة - التى تدل على أن من خلق الخلائق وابتدع خلقهم على غير مثال سابق . قادر على إعادة خلقهم مرة أخرى . وهو أهون عليه . وله المثل الأعلى (٣) .

٣- القادر على خلق الشىء الكبير . قادر على خلق الشىء الصغير - بداهة - : - من المعلوم بداهة لكل إنسان . أن خلق السموات والأرض أكبر وأعظم من خلق الناس وغيرهم .

قال الله تعالى : - لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر

---

(١) سورة الروم الآية : ٢٧ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٤٣١ .

(٣) درء تعارض العقل والنقل : شيخ الإسلام ابن تيمية جـ ١ ص ٣٢ - ٣٥ بتصرف ط ١ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٠ هـ تحقيق د. محمد رشاد سالم .

النار لا يعلمون (١) ، فهذا تنبيه من الله تعالى لعباده على أنه يعيد الخلائق يوم القيامة . وأن ذلك سهل عليه . يسير لديه . بأنه خلق السموات والأرض . وخلقهما أكبر من خلق الناس بدأة وإعادة . فمن قدر على ذلك فهو قادر على ما دونه بطريق الأولى . والأحرى ... وقد كان كثير من العرب يعترفون بأن الله تعالى خلق السموات والأرض ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله .. - (٢) ومع ذلك . ينكرون البعث والمعاد استبعادا وكفرا وعنادا . وقد اعترفوا بما هو أولى مما أنكروا - (٣) .

كما قال الله تعالى : - أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحى الموتى . بلى إنه على كل شىء قدير - (٤) فخلق الله تعالى لهذه المخلوقات العظيمة وقدرته عليها من أعظم الأدلة والبراهين على بعث الناس بعد الموت . لأن من خلق الأعظم الأكبر . لا شك فى قوته الكاملة على خلق الأيسر الأضعف الأصغر . وهو أولى بالقدرة والإمكان من الأعظم (٥) .

٤- من الأدلة على البعث بعد الموت : - اليقظة من النوم - :

النوم يعتبر موتا مصغرا . . والاستيقاظ منه يعتبر بعثا مصغرا أيضا . وكما تتم عملية النوم والاستقاظ للإنسان والحيوان . تتم عملية الموت والبعث الكاملة

---

(١) سورة غافر الآية : ٥٧ .

(٢) سورة الزمر الآية : ٣٨ .

(٣) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٨٥ .

(٤) سورة الأحقاف الآية : ٣٣ .

(٥) درء تعارض العقل والنقل جـ ١ ص ٣٢ .

لهمـــا (١) . وقد أشار النبي ﷺ إلى هذه العملية في أول خطبة له على الصفا حين قال : ... والله لتموتن كما تنامون . ولتبعثن كما تستيقظون ... (٢) .

قال الله تعالى : - وهو الذى يتوفاكم بـالليل . ويعلـم مـا جرحتـم بالنهـار ثـم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى . ثم إليه مرجعكم . ثم ينبئكم بما كنتـم تعملـون . وهو القاهر فوق عبادة . ويرسل عليكم حفظه حتى إذا جاء أحدكم المـوت توفتـه رسلنا وهم يفرطون (٣) . - الله يتوفى الأنفس حـين موتهـا . والتـى لم تمـت فـى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسـمى . إن فـى ذلك لآيات لقوم يتفكرون - (٤) ففى هذه الآيات الكريمة إخبار من الله تعالى عن نفسه . بأنه المتصرف في الوجود بما يشاء . وأنه يتوفى فى الأنفس الوفـاة الكـبرى بما يرسل من الحفظة الذين يقبضونها من الأبدان . والوفاة الصغرى عند المنام .

فذكر الوفاتين : الصغرى ثم الكبرى فى الآية الأولى . وذكر الوفاة الكبرى ثـم الصغرى فى الآية الثانية (٥) .

الأدلة الحسية :

بين النبى ﷺ للمكيـين وغـيرهم مـدى قـدرة الله تعـالى فـى إحيـاء الموتـى بأدلـة محسوسة ملموسة فـــى الواقـــع المشاهـــد . وورد ذكرها فى القرآن الكريم الـذى لا يأتيه الباطل من يبين يديه ولا من خلفه ومن ذلك :

---

(١) عقيدة المؤمن : أبو بكر الجزائرى ص ٢٦٥ ط مكتبة الكليات الأزهرية بدون تاريخ .

(٢) الرحيق المختوم ص ٩٠ .

(٣) سورة الأنعام الآيتان : ٦٠ - ٦١ .

(٤) سورة الزمر الآية : ٤٢ .

(٥) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٥٥ .

إحياء الله تعالى الموتى فى هذه الحياة الدنيا :

إن من أعظم البراهين على قدرة الله تعالى فى إحياء الموتى وبعثهم فى القيامة . إحياؤه بعض الموتى فى الحياة الدنيا . لأن من يقدر على إحياء نفس بعد موتها . يقدر على إحياء جميع النفوس – ما خلقكم ولابعثكم إلا كنفس واحدة – (١) .

ومن الموتى الذين بعثهم الله فى هذه الحياة الدنيا :

أ – قوم موسى حين قالوا له : لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة . فأماتهم الله تعالى . ثم أحياهم (٢) . قال تعالى . – وإذا قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون . ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون (٣) .

ب – قصة القتيل الذى اختصم فيه بنو اسرائيل . فأمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة . ثم ضربوه ببعضها . ثم فعلوا . فأحياه الله تعالى . فأخبر بمن قتله – (٤) .

قال تعالى : – وإذ قتلتم نفسا فادارأتم ثم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون . فقلنا اضربوه ببعضها . كذلك يحى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون (٥) .

جـ – قصة القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت . فأماتهم الله تعالى . ثم أحياهم (٦) . قال تعالى : – ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم

---

(١) سورة لقمان الآية : ٢٨ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٩٣ .

(٢) سورة البقرة الآيتان : ٥٥ – ٥٦ .

(٤) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١١٢ .

(٥) سورة البقرة الآيتان : ٧٢ ، ٧٣ .

(٦) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٩٨ .

وهم ألوف حذر الموت فقال لهم ا لله موتوا ثم أحياهم إن ا لله لذو فضل على الناس . ولكن أكثر الناس لا يشكرون - (١) .

د - قصة الرجل الذى مر على قرية ميتة . فاستبعد أن يحييها ا لله تعالى : فأماته ا لله تعالى مائة سنة . ثم أحياه (٢) . قال تعالى : - أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه ا لله بعد موتها . فأماته ا لله مائة عام ثم بعثه . قال: كم لبثت . قال: لبثت يوما أو بعض يوم . قال بل لبثت مائة عام . فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه . وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس . وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما . فلما تبين له قال أعلم أن ا لله على كل شيء قدير - (٣) .

هـ - قصة إبراهيم عليه السلام . حين سأل ا لله تعالى أن يريه كيف يحى الموتى ؟ . فأمره أن يذبح أربعة من الطير ويفرقهن أجزاء على الجبال التى حوله . ثم يناديهن فتجتمع الأجزاء بعضها إلى بعض . وتأتى إلى إبراهيم سعيا - (٤) قال تعالى : - وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحى الموتى قال أو لم تؤمن . قال بلى . ولكن ليطمئن قلبى . قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم أجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا . وأعلم أن ا لله عزيز حكيم (٥) .

و - من معجزات عيسى عليه السلام التى أخبر عنها القرآن الكريم : أنه كان يحى الموتى ويخرجهم من قبورهم بإذن ا لله تعالى (٦) .

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢٤٣ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣١٤ .

(٣) سورة البقرة الآية : ٢٥٩ .

(٤) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣١٥ .

(٥) سورة البقرة الآية : ٢٦٠ .

(٦) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٦٤ .

قال تعالى : -. وأحي الموتى بإذن الله - (١) - وإذ تخرج الموتى بإذني - (٢) .

فهذه أدلة حسية واقعة في الواقع المحسوس . وبرهان قطعي ساطع على قدرة الله تعالى في إحياء الموتى . وبعثهم بعد موتهم .

فإذا كان الله تعالى قد أمات هؤلاء ثم أحياهم . فهو قادر على بعثهم يوم القيامة . لأنه لا يعجزه شيء . وهو غالب على أمره . ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

إحياء الأرض بعد موتها :

من أعظم الأدلة القاطعة المحسوسة والبراهين الساطعة الملموسة على قدرة الله تعالى في إحياء الموتى وبعثهم من قبورهم : إحياؤه الأرض بعد موتها . وإنباتها بعد جدبها .

لأنه برهان حسي يتجدد بين يدى الناس . يشاهدون فيه آثار قدرة الله تعالى . في الأحياء المتجدد . فمن أحيا الأرض بعد موتها . وأخرج النبات من بين أحشائها . وجعل فيها من كل زوج بهيج . قادر على إحياء الناس . بعد موتهم .

قال تعالى : **يخرج الحى من الميت . ويخرج الميت من الحى ويحى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون** (٣) - **فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحى الأرض بعد موتها إن ذلك لمحى الموتى أنه على كل شيء قدير** - (٤) **ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت . إن الذى أحياها لمحيى الموتى**

---

(١) سورة أل عمران من الآية : ٤٩ .

(٢) سورة المائدة من الآية : ١١٠ .

(٣) سورة الروم الآية : ١٩ .

(٤) سورة الروم الآية : ٥٠ .

إنه على كل شيء قدير (١) ... وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق . وأنه يحي الموتى . وأنه على كل شيء قدير . وأن الساعة آتية لا ريب فيها . وأن الله يبعث من في القبور (٢) .

إلى غير ذلك من الآيات والأدلة الدالة على عظمته وقدرته في إحياء الموتى وبعثهم من قبورهم .

والتي يثبت من خلالها البعث عقيدة راسخة في قلوب المؤمنين الصادقين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه .

والتي يثبت من خلالها كذلك ضحالة فكر المنكرين . وتفاهت عقولهم وأفهامهم .

(١) سورة فصلت الآية : ٣٩ .

(٢) سورة الحج الآيات : ٥ - ٧ .

الفصل السابع
وسائل الدعوة فى العهد المدنى

الحالة العامة للمجتمع الإسلامى بالمدينة المنورة :

يتضح من سيرة الدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة . عدة أمور منها :

أ - أن المجتمع المسلم كان مجتمعا آمنا مطمئنا يباشر عبادته لله تعالى علانية دون خوف أو مصادرة .

عكس ما كان عليه الحال فى مكة المكرمة . فقد كان المسلمون يعبدون الله متخفين فى الشعاب ولهم أعين ترصد الذاهب والآيب .

ب - كان المسلمون فى مجتمع المدينة يشكلون الأغلبية . مترابطين برباط الإيمان والأخوة والمحبة .

عكس ما كان عليه الحال فى مكة . حيث كان المسلمون يشكلون أقلية معظمها من المستضعفين المعذبين بالليل والنهار .

جـ - استهان المسلمون بالماديات مع كثرتها ووفرتها . فى سبيل تحقيق المعنويات ممثلة فى الإيمان والأخوة .

ويدل على هذه الاستهانة ما قاله سعد بن معاذ رضى الله تعالى عنه . قبيل غزوة بدر الكبرى . معبرا عن مشاعر مجتمع المدينة واستعدادهم للتضحية مع الرسول ﷺ فى سبيل إعلاء كلمة الله :

يا رسول الله لقد آمنا بك وصدقناك . وشهدنا أن ما جئت به هو الحق. وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا .

يا رسول الله : أظعن حيث شئت . وصل حبال من شئت . وأقطع حبال من شئت .

يا رسول الله : خذ من أموالنا ما شئت . واترك لنا منها ما شئت . وما أخذت منها أحب إلينا مما تركت . وما أمرت فيه من أمر فأمرنا تبع لأمرك . فوالله لو سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرن معك . ووالله لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك . ما تخلف منا رجل واحد . وإنا لصبر في الحرب . صدق عند اللقاء وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا . فلعل الله يريك منا ما تقر به عينك - (١) .

ثناء الله تعالى على مجتمع المدينة المنورة :

من أجل ذلك . لم يكن غريبا أن يثنى الله تعالى على مجتمع المدينة المنورة مهاجرين وأنصار فى كتابه الكريم قرآنا يتلى إلى يوم القيامة بقوله تعالى :

- للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا . وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون . والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم . ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا . ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون - (٢) .

أهم الوسائل الدعوية التى اتخذها النبى ﷺ للدعوة فى العهد المدنى :

اتخذ النبى ﷺ كثيرا من الوسائل الدعوية فى العهد المدنى . تتناسب مع حالة المجتمع الإسلامى فى المدينة المنورة .

---

(١) زاد المعاد فى هدى خير العباد : للإمام ابن القيم جـ ٢ ص ٨٦ ط المطبعة المصرية ومكتبتها بدون تاريخ .

(٢) سورة الحشر الآيتان : ٨ ، ٩ .

فبالإضافة إلى وسيلة القول – وهي الوسيلة الأولى والأساسية فـي أيـة دعـوة – كانت هناك :

أ – وسيلة الجهاد ٠ ب – وسيلة الكتب والرسائل ٠

جـ – الوفـــود ٠ د – وسيله البعوث التعليمـــة ٠

علاقة هذه الوسائل ببعضها :

بتأمل بسيط في سيرة النبي ﷺ . نجد أن وسائله الدعوية جاءت متدرجة كأنهـا حلقات في سلسلة واحدة . كل حلقة منها مرتبطة بما قبلها ارتباطا وثيقـا .وتقـود إلى ما بعدها قيادة رشيدة ٠

فبدأ ﷺ بوسيلة القول واستمرت هذه الوسيلة – وحيدة – طيلة العهدالمكى ٠

ثم لما هاجر ﷺ إلى المدينة المنورة حيث الجماعة المسلمة التى تشكل دولـة الإسلام الأولى . اتخذ ﷺ وسيلة لحماية هذه الدولة والدفاع عنهـا مـن أى عـدوان عليها . فكانت وسيلة القوة . أو الجهاد ٠

ثم بعد أن هادن الأعداء في صلح الحديبية . اتخذ وسيلة دعويـة عالميـة لتبليـغ الدعوة على الصعيـد الداخلى فـى الجزيـرة العربيـة وأطرافهـا . أو علـى الصعيـد الخارجى . فكانت وسيلة الكتب والرسائل ٠

ولما كانت الكتب والرسائل تصل إلى المرســل إليهـم . كـانوا يرسـلون الوفـود كرد فعل إيجابى لقبول الرسائل . فكانت الوفود تأتى إلى النبى ﷺ معلنـة إسـلامها وولاءها للنبى ﷺ ومستفسرة عن كل ما يهمها من أمور الإسلام وتعاليمه ٠

وفى نهاية مقابلة الوفود للنبى ﷺ كان يرسل معها مبعوثـا ليعلمهـم حكـم الله فيما يجد لهم من أمور فى بيئاتهم . فكانت آخـر وسـائله ﷺ هـى وسـيلة البعـوث الدعوية والتعليمية ٠

المبحث الأول
وسيلة استخدام القوة . أو : الجهاد (١)

مفهومها :

أعنى بهذه الوسيلة : بذل الجهد . وإفراغ ما فى الوسع لتحقيق كل ألوان القوة الممكنة . لتكون كلمة الله هى العليا . وكلمة الذين كفروا هى السفلى . أو لإحقاق الحق . وإبطال الباطل .

ويدخل ضمن هذا التعريف : كل أنواع القوة والجهاد التى ينبغى على المسلم أن يقوم بها . وهى : جهاد النفس . وجهاد الهوى . وجهاد الشيطان . وجهاد الأعداء من البشر .

وهذه الوسيلة هى وسيلة دعوية تطبيقية .

أدلة مشروعية هذه الوسيلة :

يدل على هذه الوسيلة كثير من الآيات القرآنية.والأحاديث النبوية الشريفة .

قال تعالى : – وجاهدوا فى الله حق جهاده (٢) – يأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم .. – (٣) – انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم

---

(١) الجهاد مشتق من الجهد وهو المشقة والطاقة أو المبالغة فى استفراغ ما فى الوسع والطاقة من قول أو فعل . والجهاد :محاربة الأعداء – لسان العرب جـ ٣ ص ١٣٥ ، والجهاد الإسلامى : هو التفانى فى خدمة الدين لنشر الدعوة . وإعلاء كلمة الله تعالى . وكما يكون الجهاد بالنفس والمال والسلاح . يكون أيضا بالحوار والمناقشة والإقناع .

(٢) سورة الحج الآية : ٧٨ .

(٣) سورة التوبة الآية : ٧٣ .

وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون - (١) - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا - (٢) - وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين . واقتلوهم حيث ثقفتموهم . وأخرجوهم من حيث أخرجوكم . والفتنة أشد من القتل . ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه . فإن قاتلوكم فاقتلوهم . كذلك جزاء الكافرين . فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم - (٣) - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم . وما تنفقوا من شيء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون - (٤) .

وعن عمرو بن عبسة رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال يا رسول الله ما الإسلام ؟ . قال : أن يسلم قلبك لله عز وجل . وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك قال : فأى الإسلام أفضل ؟ . قال : الإيمان . قال : وما الإيمان ؟ . قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت .

قال : فأى الإيمان أفضل ؟ . قال : الهجرة . قال : فما الهجرة ؟ . قال : تهجر السوء .

قال : فأى الهجرة أفضل . . قال : الجهاد فى سبيل الله . قال : وما الجهاد فى سبيل الله ؟ . قال : أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم . قال : فأى الجهاد أفضل؟ . قال من عقر جواده وأهريق دمه - (٥) .

---

(١) سورة التوبة الآية : ٤١ .

(٢) سورة العنكبوت الآية : ٦٩ .

(٣) سورة البقرة الآيات : ١٩٠ - ١٩٢ .

(٤) سورة الأنفال الآية : ٦٠ .

(٥) مسند الإمام أحمد جـ ٤ ص ١١٤ .

وقال ﷺ - لغدوة فى سبيل الله أو روحة . خير من الدنيا وما فيها - (١) .

- وقال : من مات ولم يغـز . ولم يحـدث نفسـه بغـزو . مـات علـى شـعبة مـن النفـاق - (٢) .

منزلة الجهاد أو القوة فى الإسلام :

إن الجهاد فى سبيل الله تعالى - بشتى أنواعه وألوانـه - مـن أعظـم الطاعـات والقربات لله تعالى بعد الفرائض .

- وذلك لما يترتب عليه من نصر المؤمنين وإعلاء كلمة أحكم الحـاكمين وقمـع الكافرين المعاندين . وكيـد المنافقـين الظالمين . حتى ينقاد والسلطان الحـق بعـد ما تبين لهم . ويتركوا ما هم عليه من باطل .

- كما أن الجهاد فى الإسـلام بديـل عمـل الملائكـة فـى الرسـالات السـماوية السابقة . فقد كانت الملائكة تنزل لعقاب الذين يكفرون برسالات السماء .

يقول تعالى : - **ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلـك . فأخذنـاهم بالبأسـاء والضـراء لعلهم يتضرعون . فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا . ولكن قست قلوبهم وزين لهـم الشيطان ما كانوا يعملون . فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شـىء . حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتـة فـإذا هـم مبلسـون . فقطـع دابـر القـوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين** - (٣) .

وتفصيلا لهذا العقاب المجمـل فـى سـورة الأنعـام يقـول الله تعـالى فـى سـورة الفرقان - وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهـم وجعلناهـم للناس آية . واعتدنا

---

(١) صحيح البخارى كتاب الجهاد باب الغدوة والروحة فى سبيل الله جـ ١ ص ٢٧٣ .

(٢) صحيح مسلم جـ ١٣ ص ٥٦ .

(٣) سورة الأنعام الآيتان : ٤٢ - ٤٣ .

للظالمين عذابا أليما . وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا - (١) .

وفى سورة العنكبوت :

- ... فكلا أخذنا بذنبه . فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا . ومنهم من أخذته الصيحة . ومنهم من خسفنا به الأرض . ومنهم من أغرقنا . وما كان الله ليظلمهم . ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٢) .

هكذا كان أمر الله تعالى مع الكافرين والمكذبين برسالات السماء . كلما جاء نبى وكذبه قومه . أهلكهم الله بعقاب من عنده على أيدى جنوده . - وما يعلم جنود ربك إلا هو (٣) .

وقد تعددت أنواع العقاب وألوانه . فكان منها :

الغرق مرتين : مرة بالفيضانات فى عهد نوح عليه السلام . ومرة بالبحر فى عهد موسى عليه السلام . ومرة بالزلزلة والخسف . فى عهد لوط عليه السلام . ومرة بالصيحة والصعقة والرجفة فى عهد شعيب عليه السلام . ومرة بالريح السموم فى عهد هود عيه السلام .... الخ .

وذلك : لأن رسالات الأنبياء السابقين كانت محدودة زمانا ومكانا وإنسانا وشأنا .

أما رسالة الإسلام التى جاء بها نبينا **محمد** ﷺ فهى رسالة عامة وخاتمة وشاملة لكل إنسان فى كل زمان ومكان وشأن . فمن الذى يتولى تأديب الكافرين والخارجين على الإسلام ونظمه ؟

---

(١) سورة الفرقان الآيات : ٣٧ - ٣٩ .

(٢) سورة العنكبوت الآية : ٤٧ .

(٣) سورة المدثر الآية : ٣١ .

لذا فقد فوض الله تعالى المسلمين فى تأديب المارقين على الإسلام حتى يفيئوا إلى الالتزام به أو الانقياد له .

أثر القوة فى تبليغ الدعوة :

إنه مع الأثر البالغ للوسيلة القولية فى نشر الدعوة وتبليغها . والمواجهة السلمية السليمة فى الصراع بالكلمة بين المسلمين وغيرهم تتأكد أهمية القوة وضرورتها فى مهمة التبليغ والنشر .لأن ملكية القوة . والاتصاف بها عامل من أهم عوامل التأثير فى المدعو . والتوجيه الفعال له نحو الدعوة والداعية .

وقد ثبت أن التقليد والاتباع لا يحدثان إلا تأسيا واقتداء من الضعيف بالقوى . ومن الفقير بالغنى ... وهكذا .

الأمر الذى يعنى أن وجود القوة - بصرف النظر عن استعمالها - يؤدى إلى إحداث تأثير وفاعلية لدى الطرف الأقل قوة . فضلا عن الضعيف .

إذا . فللقوة أثر عميق فى فهم الحق ونشره بين الناس . ولهذا قال قوم شعيب عليه السلام : - قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول . وإنا لنراك فينا ضعيفا ... (١) .

وواضح من الآية الكريمة أن رؤية قوم شعيب - الخاصة بهم حسب زعمهم - له ضعيفا . هى علة عدم فقههم لدعوته .

لذلك . يأمر الله تعالى نبينا محمدا ﷺ : أن يشرد بالكفار من خلفهم ليتذكروا ويفهموا . فقال تعالى :

- فإما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يتذكرون - (٢)

---

(١) سورة هود الآية : ٩١ .

(٢) سورة الأنفال الآية : ٥٧ .

والذى يقرأ تاريخ الدعوة الإسلامية . يعرف بجلاء الحكمة من أخذ الأهبة والاستعداد . فقد كانت هنالك طوائف متعددة فى الجزيرة العربية ترقب الفرصة للانقضاض على المسلمين والقضاء عليهم . ولم يكن يمنعهم من ذلك إلا خوفهم من قوة المسلمين .

وآية ذلك : أنه بعد غزوة بدر ملأت هيبة المسلمين قلوب القبائل . ولكن بعد غزوة أحد تجرأت القبائل على المسلمين . وحاول بعضها الإغارة على سرح المدينة . واعتدى بعضها على القراء من المسلمين فقتلوهم غدرا فى الرجيع وبئر معونة (١) .

ومن أجل ذلك : كانت سياسة النبى ﷺ بتسيير السرايا لتخفيف الطامع . وتؤدب المعتدى .

ولا شك فى أن حماية الدعوة الناشئة فرصة لقوتها وصلابة عودها واستمرارها (٢) .

إذا . فاعتبار القوة وسيلة دعوية لهداية الناس إلى الحق يحتم أهميتها وضرورتها فى الدعوة إلى الله تعالى .

جوانب القوة فى منظور الدعوة الإسلامية :

إن لقوة فى منظور الدعوة الإسلامية لها جانبان :

الأول : جانب مادى : يتمثل فى القواعد الصحية الصحيحة للفرد والمجتمع .

ومن هنا كان اهتمام الإسلام الحنيف بعلم الطب . وكل ما يتعلق به من أساليب ووسائل علاجية ووقائية تؤدى إلى قوة الفرد والمجتمع .

---

(١) سيأتي التفصيل عنها إن شاء الله تعالى فى صفحة .

(٢) وسائل الدعوة : د. الجيوشى ص ١٥٢ - ١٥٣ .

الثانى : جانب معنوى : يتمثل فى المبادىء والقواعد الاعتقادية والفكرية التى توجه السلوك والأخلاق الفردية والاجتماعية .

وهذه القوة بجانبيها هى : التى دعى المسلمون إلى اعدادها والتمسك بكل أسبابها ووسائلها . فى قول الله تعالى : - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ... - (١) .

فالإرهاب للأعداء هو أحد الآثار الإيجابية المترتبة على وجود القوة حتى قبل استعمالها .

- وقد فقه النبى ﷺ هذا التوجيه الربانى الكريم . فاتخذ السرايا والغزوات لتكون وسيلة دعوية هامة . تقوم على حماية الدعوة من اعتداء المعتدين لما تحدثه من أثر كبير فى إرهاب العدو . وتحييده وزعزعة ثقته - (٢) . ولأن القوة جماع فضائل عديدة تبدأ بالقوة المعنوية والمادية لدى كل فرد جاء التوجيه النبوى الشريف فى قوله ﷺ : - المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف . وفى كل خير - (٣) .

وقوله ﷺ : - ألا أخبركم بخير الناس . وشر الناس ؟ .

إن من خير الناس رجلا عمل فى سبيل الله على ظهر فرسه أو ظهر بعيده أو على قدمه حتى يأتيه الموت .

---

(١) سورة الأنفال الآية : ٦٠ .

(٢) الحرب النفسية فى صدر الإسلام : محمد بن مخلف صالح المخلف ص ٣٠٤ ط ١ دار عالم الكتب للطباعة والنشر ١٤١٣ هـ .

(٣) صحيح مسلم كتاب القدر جـ ١٦ ص ٢١٥ .

وإن من شر الناس رجلا يقرا كتاب الله تعالى . لا يرعوى بشيء منه (١) .

ومن هذه النصوص النبوية الشريفة يتضح أن الإسلام أمر بإعداد القوة ودعا المسلمين إلى أن يكونوا في أعلى درجات القوة المعنوية والمادية .

أوجه إعداد القوة في الإسلام :

إن أهم أوجه إعداد القوة في الإسلام ثلاثة :

١ - الإعداد الروحي - القوة المعنوية - وهو عبارة عن : شحن القوة الروحية والنفسية للمسلم حتى يكون مستعدا دائما لنصرة الحق وإحقاقه . ولخذلان الباطل وإبطاله .

وباستعراض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في شأن الترغيب في الجهاد ومنزلة الشهداء . نجد أنها تهدف إلى شحن القلوب وتعبئتها بأسلوب حكيم يمس شغافها ويفتح لها الآفاق المغلقة . حتى تنفعل مع نداء الجهاد انفعالا إيجابيا . مستصغرة كل شيء في هذه الحياة الدنيا من مال وولد وأهل ومتاع مقابل ما عند الله تعالى من متاع . مندفعة في سبيل الله غير هيابة ، وهي تسمع آيات الله تعالى :

- إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله . فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم -(٢).

---

(١) سنن النسائي

(٢) سورة التوبة الآية : ١١١ .

٢- **الإعداد العسكرى :** وهو عبارة عن إعداد الجيش وتكوينه من الرجال والسلاح .

وهذا الإعداد هو الأساس القوى فى الوصول إلى تحقيق النصر بإذن الله تعالى وقد حث الإسلام على ضرورة هذا الإعداد العسكرى بقول الله تعالى : - و" اعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم - (١) وهذا الحث يتضمن أمرين أساسيين هما :

أ - **إعداد القوة العسكرية :** وهى إنشاء المصانع الحربية وجلب وإعداد الجيش .

ب - **الرباط :** وهى لا يحتاج إلى وقت معين أو مكان معين أو حالة معينة . وإنما هو مستمر . ويحتاج إلى صبر ومثابرة (٢) .

جـ - الإعداد الاقتصادى : وهو عبارة عن توفير كل احتياجات المجاهدين من مأكل ومشرب ولباس ولحاف وعلاج وسلاح ... الخ .

لذا فإن الدولة مكلفة بتوفير جميع هذه المستلزمات :

- بإعداد كميات من الأغذية .

- الوضع فى الحسبان الزمن التقريبى للقتال وما سيحتاجونه .

- تقدير أطول فترة ممكنة يستمر فيها القتال .

- مراقبة البائعين وأصحاب المتاجر .

---

(١) سورة الأنفال الاية : ٦٠ .

(٢) القتال فى الإسلام . أحكامه وتشريعاته : محمد بن ناصر الجعوان ص ٧١ ط (١) ١٤٠١ هـ .

- محاولة الاستغناء الذاتي بمنتجات البلاد (١) .

أسباب إعداد القوة في الإسلام :

ترجع أسباب دعوة الإسلام إلى إعداد القوة وأخذ الحيطة إلى :

أن الإسلام قوة جديدة - في بداية الدعوة الإسلامية - فكان من المنتظر أن تحاربها القوات القائمة إذ ذاك . حتى لا يزاحمها في سلطانها . - وهذا شأن الناس في كل زمان ومكان - .

لذا كان لابد من الدفاع عن الكيان الجديد ليثبت وجوده . ويؤدي رسالته العامة الشاملة لكل إنسان في كل زمان ومكان .

وهذه العالمية للدعوة الإسلامية تتطلب السفر والضرب في الأرض . والسفر كثيرا ما تحفه المخاطر . مع وعورة الطرق . وطول الزمن . واختلال الأمن ، فكان لابد من القوة حتى لا يقف الأعداء في طريق الدعوة .

إذا : فاتخاذ أسباب القوة . والإعداد لها وسيلة من أهم وسائل الدعوة . واستعمال القوة في موضعها أسلوب من أهم أساليب الدعوة .

أثر الجهاد في نشر الدعوة . ودفع شبهة انتشار الإسلام بالسيف :

إن الدين الإسلامي لا يتحقق في أنفس المسلمين . ولا في دنيا الناس إلا بالجهاد بجميع أنواعه وألوانه .

والكثير من البشر لا ينقادون للحق إلا بقوة تحملهم عليه . يقول الله تعالى : - وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين - (٢) .

---

(١) السابق ص ٧٢ .

(٢) سورة يوسف الآية : ١٠٣ .

ولكون أهل الباطل هم الكثرة غالبا . فإنه لا ينقمع شرهم وفسادهم . إلا بقوة ترهبهم وتكسر شكوتهم . قال الله تعالى : - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم - (١) .

- ثم إن الله تعالى بين أنه لولا جهاد أهل الحق فى مواجهة أهل الباطل لفسدت الارض بما فيها ومن فيها . فقال تعالى : - ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين - (٢) ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا - (٣) .

قال ابن زيد : - ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض . لولا القتال والجهاد - (٤) . وقال مقاتل : - لولا دفع الله المشركين بالمسلمين لغلب المشركون على الأرض فقتلوا المسلمين وخربوا المساجد - (٥) .

كما قال الله تعالى : - لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط . وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز - (٦) .

---

(١) سورة الأنفال الآية : ٦٠ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٥١ .

(٣) سورة الحج الآية : ٤٠ .

(٤) تفسير الطبرى جـ ٧ ص ٢١٢٤ .

(٥) زاد المسير لابن الجوزى جـ ١ ص ٢٣٠ .

(٦) سورة الحديد الآية : ٢٥ .

فبين الله تعالى فى هذه الآية الكريمة :

- أنه تعالى أرسل الرسل الكرام بالبيانات - وهى : المعجزات . والحجج الباهرات . والبراهين الساطعات . والدلائل القاطعات . التى يوضح بها الحق . ويدفع بها الباطل •

- وأنه أنزل مع الرسل الكرام الكتاب الذى فيه البينات والهدى •

- وأنه أنزل معهم الميزان . وهو العدل فى الأقوال والأفعال . الذى ينصف به المظلوم من الظالم . ويقام به الحق . ويعامل الناس على ضوئه بالحق •

- وأنه أنزل الحديد فيه قوة وردع وزجر لمن خالف الحق •

فالحديد لمن لم تنفع فيه الحجة والبرهان . وتؤثر فيه البينة . فهو الملزم بالحق . والقامع للباطل بإذن الله تعالى - (١) •

فمن خرج عن هدى الكتاب . ونصفة الميزان قوتل بالحديد - (٢) والمقصود به : آلات الجهاد كالسيف . والرمح . والنصل . والدرع (٣) . ونحو ذلك من طائرات ومدافع ودبابات •

ولقد أحسن من قال فى مثل هذا الشأن :

وما هو إلا الوحى أو حد مرهف ∴ تميل ظباه أخدعى كل مائل

فهذا دواء الداء من كل عالم ∴ وهذا دواء الداء من كل جاهل

---

(١) الحكمة فى الدعوة إلى الله تعالى : د. سعيد بن على القحطانى ص ٥٢١ ط دار الإيمان بالإسكندرية بدون تاريخ •

(٢) مجموع الفتاوى : لابن تيمية ٣٥ ص٣٦٦ •

(٣) السابق جـ ١٢ ص ١٣٥ •

هو الحق إن تستيقظوا فيه تغنموا ∴ وإن تغفلوا فالسيف ليس بغافل(١)

وقال آخر : يعنى رسول الله ﷺ :

قالوا : غزوت ورسل الله مابعثوا ∴ لقتل نفس ولا جاءوا لسفك دم .

جهل وتضليل أحلام وسفسطة ∴ فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم

لما أتى لك عفوا كل ذى حسب ∴ تكفل السيف بالجهال والعمم (٢)

وما أحكم ما قاله الآخر :

دعا المصطفى دهرا بمكة لم يجب ∴ وقد لان منه جانب وخطاب .

فلما دعا والسيف صلت بكفه ∴ له أسلموا واستسلموا وأنابوا (٣).

فالعاقل ذو الفطرة السليمة ينتفع بالبينة والبرهان . ويقبل الحق بدليله . أما الظالم المتبع لهواه . فلا يرده إلا السيف وأنواع السلاح (٤) .

والمتتبع لسيرة غزوات النبى ﷺ وسراياه يجد هذه الحقيقة منذ أول غزوة . وأول سرية .

---

(١) ديوان أبى تمام بشرح الخطيب التبريزى تحقيق محمد عبده عزام جـ ٣ ص ٨٦ - ٨٧ ط ٢ دار المعارف بمصر بدون تاريخ .

(٢) الشوقيات : شعر أحمد شوقى جـ ١ ص ٢٠١ ط دار العودة بيروت بدون تاريخ . ومعنى العمم : اسم جمع للعامة .

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبد العزيز بن باز جـ ٣ ص ١٨٤ و ٢٠٤ ط ١ الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض ١٤١٠ هـ .

(٤) الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته للشيخ عبد العزيز بن باز ص ٢٨ ط الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية بالرياض بدون تاريخ . وراجع الحكمة فى الدعوة للقحطانى ص ٥٢٢ .

فقد عزا النبى ﷺ تسع عشرة غزوة (١) أولاها : غزوة الإيواء حيث خرج ﷺ يريد قريشا فوادع بنى ضمرة بن بكر بن عبد مناة من كنانة . وادعه رئيسهم مجدى بن عمرو الضمرى (٢) .

ثم غزا غزوة بواط ووادع فيها بنى مدلج من كنانه (٣) .

وأرسل ﷺ عددا من السرايا منها : سرية عبد الله جحش التى غنمت عيرا لقريش بعدما قتلت بعض أهلها . واسرت الباقين (٤) .

وقد أدت هذه الغزوات والسرايا دورا كبيرا فى إرهاب المتآمرين وتأمين الموالين . ونشر مبادىء الدين .

ثم كانت بعد ذلك غزوة بدر وأحد والأحزاب . وقد كان لهذه الغزوات أثر كبير فى دفع الهجوم عن المدينة المنورة .

ثم جاءت غزوة الحديبية وخيبر والفتح وحنين والسرايا المزامنة لها . فكانت وسائل فى إلزام قريش واليهود والعرب الخضوع للقيادة الإسلامية . ودخول كثير من العرب فى الإسلام لما رأوا من نصرة الله تعالى لنبيه ﷺ وإعزاز دينه (٥).

ثم كانت غزوة تبوك والسرايا المزامنة لها لتكون وسيلة فى بسط نفوذ المسلمين على جزيرة العرب . وإظهار قوة الإسلام وأهله وإبطال كيد الذين يتربصون به الدوائر (٦) .

---

(١) صحيح البخارى كتاب المغازى باب غزوة العشيرة أو العسيرة .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام جـ ٢ ص ١٧٠ ، ١٧١ وفتح البارى جـ ٨ ص ٤ .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام جـ ٢ ص ١٧٦ - ١٧٧ وابن حجر جـ ٨ ص ٤ .

(٤) فتح البارى جـ ٨ ص ٤ .

(٥) السيرة النبوية : د. محمد أبو شهبة ص ٤٧١ .

(٦) الرحيق المختوم ص ٤١٢ .

وقد أشار الحافظ ابـن حجـر إلى دور هـذه الغزوات والسـرايا فـى نشـر الديـن . ودحض الكفر فقال :

– قال ابن دقيق العبد : القياس يقتضى أن يكون الجهاد أفضل الأعمال . التى هـى وسـائل . لأن الجهـاد وسيلــة إلى إعــلان الديـن ونشـره . وإخمـاد الكفــر ودحضه (١) .

إضافة إلى ذلك كله . فقد كانت تلـك الغـزوات والسـرايا بمجموعهـا وسـيلة دعوية مهمة لما تحدثه من أثر فى نفـوس الأسـرى . الذيـن يمـن عليهـم النبـى ﷺ . فيكون لحسن تعاملـه معهـــم وعظـــيم منـه عليهـــم . عظيـم الأثـر فـى دخولهـم الإسلام (٢) .

وهى وسيلة دعوية لما تحدثه من تساؤل لدى تلك القبائل العربية المنتشرة حـول الدعـوة الجديـدة وقيادتهـا . فيكـون نتيجـــة هـــذا التســـاؤل معرفـــة الإســـلام والدخول فيه (٣) .

لماذا شرع الجهاد فى الإسلام ؟!

شرع الجهاد فى الإسلام ليكون قوة مساندة للدعاة فى تبليغ الدعوة . وإزالـة العقبات من طريقها . ولإعـلاء كلمـة الله وإعـزاز دينـه . ويمكـن حصـر أسـباب الجهاد وأهدافه فيما يلى :

١- نشر الدعوة . وإيصال نورها إلى كل إنسان فى كل زمان ومكان .

---

(١) فتح البارى جـ ٧ ص ٨٠ .

(٢) فتح البارى جـ ٨ ص ٤٢١ .

(٣) مفاهيم إعلامية من القرآن الكريم : د. سيد محمـد ساداتى الشنقيطى ص ٧٨ والتـدرج فى الدعـوة النبويـة د. إبراهيـم بـن عبـد الله المطلق ص ٦١ - ٦٢ ط (١) ١٤١٧ هـ الرياض .

٢- حفظ الأمن والاستقرار لمجتمع المسلمين فى كل زمان ومكان يسود فيه الإسلام والمسلمون .

٣- تمكين المسلمين فى الأرض من إقامة الدين . وحماية ما أنعم الله عليهم من ثروات ومصادر بيئية والانتفاع بها والاستغناء بها عن غير المسلمين .

٤- تخويف أعداء الله الظاهرين والمستورين . وإرهاب جميع المتآمرين على الإسلام والمسلمين .

٥- الوقاية من هجوم متوقع يعده الخصوم . مثلما حدث فى غزوة حنين حين تجمعت قبيلتى : هوازن وثقيف بعد فتح مكة . قائلين : لقد فرغ محمد من قتال قومه . ولا ناهية له عنا . فلنغزه قبل أن يغزونا .

وأجمعوا أمرهم على ذلك . فكان لابد من إجهاض هذه الجموع فى مهدها وقاية للدعوة وللدولة ولخير البشرية .

٦- حماية النفس والدين والعرض والأرض. كما حدث فى غزوة أحد والخندق حين تجمعت قريش وحلفاؤها لضرب الإسلام عن قوس واحدة .

٧- تأديب ناكثى العهود . وناقضى المواثيق . أو خائنى المعاهدات . مثل ما حدث فى غزوة بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة وفتح مكة .

٨- فتح الباب . وتهيئة الظروف أمام الذين يحبون الهداية . ويمنعهم منها كبراؤهم وزعماؤهم .

وكثير من المواقع فتح الله بها للناس بابا فى دين الله وهدايته بعد أن زهقت العقبات الكؤود من طريقهم - ممثلة فى زعمائهم وكبرائهم - ويدل على ذلك : أن رسول الله ﷺ أرسل عليا بن أبى طالب فى سرية إلى اليمن . وأوصاه قائلا :

امض ولا تلتفت . فقال على : يا رسول الله : كيف أصنع ؟ !

فقال : إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك . فإن قاتلوك فلا تقاتلهم حتى يقتلوا منك قتيلا . فإن قتلوا منكم قتيلا . فلا تقاتلوهم تلوهم - أنظرهم - حتى تريهم منك أناة . ثم تقول لهم : هل لكم أن تقولوا لا إله إلا الله . فإن قالوا نعم . فقل لهم هل لكم إلى أن تخرجوا من أموالكم صدقة تردونها على فقرائكم . فإن قالوا نعم فلا تبغ منهم غير ذلك . والله لأن يهدى الله على يديك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت .

فخرج في ثلاثمائة فارس فلقى جمعا فدعاهم إلى الإسلام . فأبوا ورموا بالنبل والحجارة ساعة .

فصف على رضى الله عنه أصحابه . ودفع باللواء إلى مسعود بن سنان السلمى . وحمل على القوم حتى انهزموا . فلم يتبعهم الجيش الإسلامى . ودعاهم إلى الإسلام فأجابوا . وبايعه نفر من رؤسائهم على الإسلام ، وقالوا . لعلى رضى الله عنه : نحن على من ورائنا . وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله تعالى (١) .

ويفهم من هذا النص : أن الإسلام يحارب مضطرا - لإزالة العقبات من طريق الناس لروا الحقيقة . ويقفوا على البرهان . بإلغاء عبودية البشر للبشر . يقول الإمام محمد أبو زهرة : - إن من أسباب الجهاد : أن يعتدى الملوك على عقيدة من تحت سلطانهم ممن اختاروا الإسلام دينا فيرهقوهم فى عقيدتهم الدينية . وإن الدعوة الإسلامية نور لا يحجب فلابد أن تفتح الأبواب له . وقد وقف الحكام له بالمرصاد يمنعونه أن يصل إلى رعاياهم . فكان لابد من القتال لإزالة الحجزات التى تمنع النور أن يصل . ولمنع الاضطهاد أن يقع حتى لا تكون فتنة فى الدين (٢) .

---

(١) امتاع الإسماع للمقريزى جـ ١ ص ٥٠٢ - ٥٠٣ ، والسيرة الحلبية جـ ١ ص ٢٠٦ .

(٢) العلاقات الدولية فى الإسلام ص ٥٠ ط دار الفكر العربى بالقاهرة بدون تاريخ .

ولهذا يسبق الحرب في الإسلام تخيير النظم الكافرة بين الإسلام . أو دفع الجزية . أو الحرب . فتحا لباب الدعوة والهداية حتى تطرح على الشعوب ليميزوا بين الحق والباطل . وتقوم عليهم الحجة والبرهان .

وبفتح البلاد . وبإزالة العقبات من طريق الدعوة تنتهي الحرب ويترك الناس ليروا الحقيقة ، وليعتنقوا الإسلام بكامل حريتهم . أو يأبوا بكامل حريتهم . فيكون حسابهم أمام الله تعالى . وقد قامت عليهم الحجة والبرهان .

وبهذا يتضح أن الجهاد في الإسلام لم يكن لدافع سياسي أو لنعرة وطنية . ولا نفرض الدين على الناس بالقوة والسيف والإكراه . وبالتالي فلا مجال للاعتراض على الإسلام بأنه دين السيف . لأن السيف قد حددت مهمته ووظيفته : وهي : تحرير الإنسان من العبودية لإنسان مثله .

– فعلى دعاة الإسلام أن يوضحوا للعالم مهمة القوة في الإسلام . بدلا من محاولة التبرى من السيف . أو محاولة ادعاء أن الإسلام دين دفاع لا يعرف الهجوم .. (١) .

هل اعتبار الجهاد وسيلة دعوية تطبيقية . يتعارض مع الوسيلة الدعوية القولية ؟ !

إن اعتبار الجهاد وسيلة دعوية إسلامية . لا يتعارض مع الوسيلة القولية .

ولا تنفصل الحركة القتالية في الإسلام عن أهداف الدعوة والهداية وارتباط حركة القتال بهدف الدعوة والهداية يتحقق بأحكام محددة يجب الالتزام بها للوصول إلى إحدى الحسنيين : النصر أو الشهادة بعزة وكرامة واقرتين . ومن أهم هذه الأحكام : –

---

(١) فقه الدعوة والإعلام : د. عمارة نجيب ص ٦٠ .

أولا : أن يكون المقاتل المسلم قوى الهمة . بادى العزيمة حريصا على النصر أكثر من حرصه على الشهادة فى سبيل الله (١) .

لأن الإسلام لا يقبل من المسلم مذلة ولا وهنا . إذ هو حريص على تربية المسلم تربية استقلالية معززة . فقال تعالى : – ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون إن كنتم مؤمنين (٢) .

لذا فإن الإسلام لا يقر مهادنة الكفار . ولا يسمح بترك أعدائه يكيدون له . ويؤذون المسلمين . ويدعو دائما إلى أخذ الحيطة والحذر . فقال تعالى : –

– يأيها الذين آمنوا خذوا حدركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا – (٣) والحذر يشمل إعداد النفوس وتهيئتها ماديا ومعنويا لتهب فى أى لحظة للمقاومة والقتال . أو للنفرة والخروج فى سبيل الله تعالى .

ثانيا : – أن يدعى الخصم قبل القتال . إذ لم يثبت عن النبى ﷺ أنه قاتل قوما دون أن يدعوهم . وهذا هو التبليغ العام .

أما التبليغ الذى يسبق القتال مباشرة فإنه يكون بعد التبليغ العام . وهو مرتبط بالإمكانية العملية لأصحاب الدعوة . بمعنى أنه يجوز القتال دون أن يحدث هذا التبليغ . ويدل على ذلك ما روى عن مسلم بن أخطر بن عدى قال : كتبت إلى نافع أسأله عن الدعاء – الدعوة – قبل القتال . قال : فكتب إلى : إنما كان ذلك فى أول الإسلام ... قد أغار الرسول ﷺ على بنى المصطلق وهم غارون .

---

(١) لأن فى النصر عزة الإسلام وقوته فى مواجهة الكفر والكافرين . أما فى الشهادة مصلحة خاصة تعود على الشهيد فى حياته من الرزخ إلى الأبد .

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٣٩ .

(٣) سورة النساء الآية : ٧١ .

وأنعامهم تستقى على الماء . فقتل مقاتليهم وسبى سبيهم . وأصاب يومئذ جويرية ابنة الحارث الهلالية (١) - أم المؤمنين رضى الله عنها - .

وعن سلمان الفارسى رضى الله عنه أنه انتهى إلى حصن أو مدينة فقال لأصحابه دعونى أدعوهم كما رأيت رسول الله ﷺ يدعوهم . فقال - أى سلمان - : إنما كنت رجلا منكم - أى فارسي مجوسى - فهدانى الله عز وجل للإسلام . فإن أسلمتم فلكم مالنا . وعليكم ما علينا . وإن أبيتم فأدوا الجزية وأنتم صاغرون . وإن أبيتم نابذناكم على سواء .

- إن الله لا يحب الخائنين - يفعل بهم ذلك ثلاثة أيام . فلما كان اليوم الرابع غدا الناس إليها ففتحوها بعون الله تعالى (٢) .

وعن سليمان بن بريدة عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميرا على جيش أو سرية . أوصاه فى خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا . ثم قال : -

اغزوا باسم الله . وفى سبيل الله . قاتلوا من كفر بالله . ولا تغلوا . ولا تغدروا . ولا تمثلوا . ولا تقتلوا وليدا . وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال . فأيتهن أجابوك إليها . فأقبل منهم . وكف عنهم . ادعهم إلى الإسلام . فإن أجابوك فأقبل منهم . وكف عنهم .

ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين . وأخبرهم إن فعلوا ذلك أن لهم ما للمهاجرين . وعليهم ما على المهاجرين . وإن أبوا أن يتحولوا فأخبرهم

---

(١) صحيح البخارى كتاب الجهاد باب جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم الدعوة من غير تقدم الإعلام بالإغارة .

(٢) صحيح الترمذى كتاب السير . باب ما جاء فى الدعوة قبل القتال جـ ٤ ص ١٠١ وصحيح مسلم كتاب الجهاد جـ ١٢ ص ٣٥ .

فما أحوج المسلمين فى كل عصر ومصر للسير على هذا النهج الاسلامى الإنسانى العظيم . ليقودوا الانسانية كلها إلى بر الإيمان السليم . وما يترتب عليه من أمن وأمان . يفتقدهما الإنسان المعاصر فى كل أرجاء الأرض .

والواقع أصدق الأدلة على ما يعانيه الإنسان المعاصر .

والتجربة أصدق الأدلة على إنقاذه مما يعانيه .

وصدق الله العظيم إذ يقول : — ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض . ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون — (١) .

— ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم . ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم . منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعلمون — (٢) .

---

(١) سورة الأعراف الآية : ٩٦ .

(٢) سورة المائدة الآيتان : ٦٥ — ٦٦ .

وقد أوجب هذا المؤتمر : عـدم بـدء الأعمـال الحربيـة إلا بعـد إخطـار سـابق . واضح . لا لبس فيه . ولا غموض .

وذلك : إما في صورة إعلان حرب مسببة . وإما في صورة إنذار نهـائي يذكـر فيه اعتبار الحرب قائمة بين البلدين . إذا لم تجب الدولـة التـي وجـه إليهـا الإنـذار طلبات الدولة المنذرة (١) .

رابعـا : يحرم الإسلام قتل رسول العدو . أو نائبه في المفاوضات مهمـا يـدر منه في التفاوض . ويدل على ذلك : أنه جاء ابن النواحـة . وابـن أثـال . رسـولا مسيلمة الكذاب إلى النبي ﷺ . فقـال لهمـا : أتشـهدان أنـي رسـول الله ؟ قـالا : نشهد أن مسيلمة رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : آمنـت بـالله ورسـوله . لـو كنت قاتلا رسولا لقتلتكما (٢) .

ولم يقتلهما رسول الله ﷺ رغم إنكارهما لنبوتـه ورسـالته . واعترافهمـا بنبـوة غيره من الأدعياء كمسيلمة .

خامسـا : تعريف المقـاتل المسـلم بقواعـد الحـرب . لتكـون حربـا مرشـدة لا مدمـرة . وللبناء لا للتخريب ز ليس فيها اعتداء ولا غدر .

– لقول الله تعالى : وقاتلوا فـي سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتـدوا إن الله لا يحب المعتدين – (٣) .

– ولما روى عن ابن عبـاس رضـي الله عنهمـا قـال : كـان رسـول الله ﷺ إذا بعث جيوشه قال : أخرجوا باسم الله تعالى . تقاتلون في سبيل الله مـن كفر بالله

---

(١) عطاء الرحمن : محمد مصطفى الحديدى الطير ص ١١٢ .

(٢) السابق ص ١١٢ .

(٣) سورة البقرة الآية : ١٩٠ .

ولا تغـدروا . ولا تغلـوا . ولا تمثلـوا . ولا تقتلـوا الولـدان . ولا أصحـاب الصنائع (١) .

– ولما رواه مسلم بن بريدة قـال : قـال رسـول الله ﷺ : اغـزوا فـي سـبيل الله . قاتلوا من كفر بـالله . اغـزوا . ولا تغلـوا . ولاتغـدروا . ولاتمثلـوا . ولا تقتلـوا الوليد . ولا أصحاب الصوامع (٢) .

– وفي رواية أحمد عـن الأسـود بـن سـريع قـال : قـال رسـول الله ﷺ : لاتقتلـوا الذرية في الحرب . فقالوا : يا رسول الله : هم أولاد المشركين . فقال ﷺ : أليس خيـاركم مـن اولاد المشـركين ؟ ! – كعكرمـة بـن أبـي جهـل وخـالد بـن الوليـد وغيرهما – .

– وفي بعض المغازي وجدت امرأة مقتولة . فـأنكر رسـول الله ﷺ ذلـك . ونهـي عن قتل النساء والصبيان .

قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . والعمل على هـذا عنـد بعـض أهـل العلم . من أصحاب النبي ﷺ . وغيرهم . كرهـوا قتـل النسـاء والصبيـان . وهـو عنـد سـفيان الثـوري والشـافعي . ورخـص بعـض أهـل العلـم فـي قتـل النسـاء والولدان (٣) . ويمكن الجمع بينهما . بأن النساء والولدان وكـل مـن يشـارك فـي الحرب أيـا كان يقتل لأن حكمه حكم المقاتلين . أمـا إذا لم يشـاركوا فـي الحـرب فيحرم قتلهم .

---

(١) الترمذي كتاب السير باب ما جاء في النهي عن قتـل النسـاء والصبيـان جـ ٤ ص ١١٦ والمقصود بأهل الصنائع : الصناع والحرفيون المدنيون غير المشاركين في الحرب من قريـب أو من بعيد .

(٢) السابق جـ ٤ ص ١١٦ ومسلم كتاب الجهاد والسير وأصحاب الصوامع : الرهبان .

(٣) الترمذي جـ ٤ ص ١١٦ والبخاري جـ ١٢ ص ١١٥ .

- وبعث أبو بكر الصديق رضى الله عنه يزيد بن أبى سفيان أميرا على جيش وأوصاه قائلا : - إنى موصيك بعشر فاحفظهن :

إنك ستلقى أقواما زعموا أنهم قد فرغوا أنفسهم لله فى الصوامع . فذرهم وما فرغوا أنفسهم له .

وستلقى أقواما قد حلقوا أوساط رؤسهم . فافلقوها بالسيف . ولا تقتلن وليدا . ولا امرأة . ولا شيخا كبيرا .

ولا تعقرن شجرا بدا ثمره . ولا تحرقن نخلا . ولا تقطعن كرما .

ولا تذبحن بقرة . ولا شاة . ولا ما سوى ذلك إلا للأكل - (١) .

ومن هذا يتضح أن المقاتل المسلم يسير إلى المعركة وهو مجهز بنفسية عالية تحترم إنسانية الإنسان . ولا تعتدى على الحيوان ولا النبات . ولا تعتدى على مصنع مدنى ليس له صلة بالجيش . ولا على إنسان مدنى لا يحمل السلاح أو لم يشارك المحاربين من قريب أو من بعيد .

- ولا تخرج المعركة عن حدودها المسلحة إلى شبر واحد آمن .

- كما لا تخرج المعركة داخل حدودها المسلحة على نظام الإسلام . فلا اعتداء . ولا غدر . ولا مثلة . ولا خيانة .... الخ .

سادسا : أوجب الإسلام العناية بالمرضى والجرحى من الأسرى . ومنع تعذيبهم أو قتلهم غيلة . فإذا ما وقع الأسير فى أيدى المسلمين [أحسنوا معاملتهم . وأشركوهم فى مطعمهم ومشربهم . بل قدموهم على أنفسهم .

وبهذه المعاملة الإنسانية السامية مع من يتوقع القتل أو التعذيب فى أسره -

---

(١) عطاء الرحمن من شريعة القرآن : محمد مصطفى الحديدى الطير ص ١١١ .

حتى فى عصورنا الحديثة التى تتشدق بالحضارة وبحقوق الإنسان (١) نقول : إن هذه المعاملة الإنسانية من المسلمين لأسراهم . تجعلهم يقفون عن كثب على فضائل الإسلام . وقيمه العليا . فيفضلونه على أى دين آخر - (٢) ٠

سابعا : - أوجب الإسلام تبليغ الأسرى وإعلامهم بدين الله تعالى : وإكرام نزلهم . لقول الله تعالى : - يأيها النبى قل لمن فى أيديكم من الأسرى إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم . ويغفر لكم والله غفور رحيم - (٣) ٠

ولما ورد فى كتب السنة والسيرة عن إسلام - ثمامة بن أثال سيد بنى حنيفة : حيث وقع أسيرا فى أيدي إحدى سرايا المسلمين . وكان قد عزم على قتل رسول الله ﷺ . فأتوا به إلى رسول الله ﷺ - وهم لا يعرفون من هو ثمامة - . فلما أبصره رسول الله ﷺ عرفه (٤) . فقال لهم :

أتدرون من أخذتم ؟ . هذا ثمامة بن أثال الحنفى . أحسنوا أساره . ورجع ﷺ إلى أهله . فأمرهم أن يبعثوا إليه بما عندهم من طعام وأمر بلقاحه - ناقته - أن تذهب فى الصباح والمساء ليشرب من لبنها . وخلال فترة إساره كان ﷺ يمر به ويعرض عليه الإسلام . ويدعوه إليه . ولكنه يأبى الدخول فى الإسلام . ويقول :

---

(١) هذه المبادىء الإنسانية بشأن الاهتمام بالأسرى . وعدم تعذيبهم لم تنظم فى قوانين الدول بصفة وافية إلا بمقتضى اتفاقية جنيف المبرمة سنة ١٨٦٤م والمعدلة بمعاهدة سنة١٩٠٢ م. ثم باتفاقية سنة ١٩٢٩م ٠

(٢) وسائل الدعوة د. الجيوشى ص ١٥٤ ٠

(٣) سورة الأنفال الآية : ٧٠ ٠

(٤) لأنه جاء إلى النبى ﷺ بشأن مسيلمة الكذاب قبل ذلك ٠

آيها يا محمد : إن تقتل تقتل ذادم . وإن تـرد الفـداء فسـل . وإن تنعـم . تنعـم علـى شـاكر – وتكـررت دعـوة النبـى ﷺ لثمامـة مـرات عديـده . ويـأبى ثمامـة الاستجابة لها – (١) وظل ثمامة فى أسره فترة يعامل فيها أرقى معاملة ويصـر علـى رفضه الإسلام كلما عرض عليه . ثم أمـر النبـى ﷺ أن يطلـق سـراحه . – وهـذا الذى فعله ﷺ هو أحد الخيارات الجائزة للتصرف مع الأسرى . وهى المـن بـالفداء دون مقابل . وقد يصح له أن يأخذ منهم الفداء كما فعل مع أسارى بـدر . أو أن يفادى بهم أسرى المسلمين .

وهذا مأخوذ من قول الله تعالى – فإما منا بعد وإمـا فـداء حتـى تضـع الحـرب أوزارهـا – (٢) .

فلما صار ثمامة حرا طليقا خرج إلى البقيع فتظهر فأحسن طهوره . ثـم عـاد إلى النبى ﷺ ليعلن إسلامه . وهو يقول : يا محمد : ما كان علـى الأرض وجـه أبغـض إلى من وجهك . فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلى ، والله ما كان على الأرض دين أبغض إلى من دينك . فقد أصبح دينك أحب الديـن إلى . والله مـا كـان مـن بلد أبغض إلى من بلدك . فقد أصبح بلدك أحب البلاد إلى .

ثم خرج إلى مكة معتمرا . فلمـا كان ببطن مكة لبـى . فكـان أول مـن دخـل مكة ملبيا . وقـد غاظ ذلك قريشـا وهمـوا أن يقتلوه عقابا لـه علـى جرأتـه . ولم يصرفهم عـن ذلك إلا نصـح أحدهم لهم بـأن تجارتهـم تمـر باليمامـة . ولـو فعلوا لتعرضـت أموالهم ورجالهـم لانتقـام بنى حنيفـة . وقد فخر بصنيعه

(١) سورة محمد الآية : ٤٠ .

(٢) البخارى كتاب المغازى باب وفد بنى حنيفة وحديث ثمامة بن آثال جـ ٨ ص ٨٧ ومسلم كتاب كتاب الجهـاد والسير بـاب : ربـط الأسير وحبسه وجـواز السـن عليـه جـ ٣ ص ١٣٨٦ وسيرة ابن هشام جـ ٤ ص ٣١٧ .

أحد شعراء بنى حنيفة فقال :

ومنا الذى لبى بمكـــة معلنا ∴ برغم أبى سفيان فى الأشهر الحرم

وكان قد دار بينه وبين المكيين حـوار . قالوا لـــا : أصبوت ياثمامـة ؟ قـال : لا . ولكنى اتبعت خير دين . دين محمد . والله لا تصـل إليكـم حبـة مـن اليمامـة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ . ثم منع عنهم ما كان يـأتيهم مـن حبـوب اليمامـة فاستغاثوا برسول الله ﷺ . وناشدوه الرحم . فكتـب رسـول الله ﷺ إلى ثمامـة أن يخلى بينهم وبين أموالهم . ففعل . وهكذا قد بر بقسمه وأضاف إلى قـوى الإسـلام قوة جديدة ضاغطة على قريش بسبب مالاقى من حسن معاملة فى الأسر .

وهكذا نرى السماحة والسمو . ونيل الخلق . وحسـن المعاملـة . تحـول النـاس من أعداء إلى أنصار . ومن مبغضين إلى محبين . ومـا أحسـن قـول الشـاعر العربـى وأرشده حين قال :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ∴ فطالما استعبد الإنسان إحسان

وليس ثمامة هو المثل الوحيد . فقد كان دأب رسول الله ﷺ أن يوصى أصحابه بالأسرى . ويدعوهم إلى حسن معاملتهم (١) .

ثامنـا : إجارة المشرك حتى يسمع كلام الله تعالى . فقد يتأثر به ويسـتجيب لـه . لقول الله تعالى : - وإن أحـد من المشركين استجارك فـأجره حتـى يسـمع كـلام الله . ثم أبلغه مامنه . ذلك بأنهم قوم لا يعلمون - (٢) .

تاسعا : إنهاء القتال أو الأسر بمجرد تحقيـق هـدف الهداية . لقول الله تعالى : -

---

(١) وسائل الدعوة د. الجيوشى ص ١٥٥ - ١٥٧ .

(٢) سورة التوبة الآية : ٦ .

فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم.إن الله غفور رحيم - (١) .

- فإن تابوا وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين . ونفصل الآيات لقوم يعلمون - (٢) وبعد :

فهذا هو موقف الإسلام الحنيف من وسيلة القوة . أو الجهاد والقتال . وهذه هى بعض آدابه للمسلمين تجاه أعدائهم فى الحرب والسلم .

وقد حرص قواد المسلمين على تنفيذ هذه الآداب والسيرة عليها فى حروبهم . ومن خالف هذه الآداب لأى سبب من الأسباب حكم عليه أن يعود من البداية ويسير فى نفس الطريق التى رسمها رسول ﷺ .

وفيما يل مثالان لموقفين من مواقف قواد المسلمين .

أولهما : كان شديد الحرص على تنفيذ وصايا رسول الله ﷺ (٣) .

ثانيهما : لم يلتزم بها لسبب من الأسباب . فحكم عليه قاضى المسلمين أن يعود من جديد حسب منهد الإسلام وتوجهه .

وكان هذا الموقف فى فتح مدينة سمرقند . حيث دخل الجيش الإسلامى المدينة بتعاليم من قائده . وبعدما استقر فيها عرف أهل سمرقند أن قائد المسلمين لم يلتزم معهم المنهج الذى دعا إليه الإسلام فى الفتوح .

فكتبوا إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه . فى أمر هذا القائد . فأرسل إلى القائد أن يقيم قاضيا بينه وبين أهل سمرقند ليحكم بينهم .

---

(١) سورة التوبة الآية : ٥ .

(٢) سورة التوبة الآية : ١١ .

(٣) راجع ص ٢٥٧ من هذا البحث .

ولما استعرض القاضى - وهو من المسلمين - وقائع الفتح للمدينة ، تبين له أن القائد لم يتبع ما جاء به الإسلام . من الدعوة أولا . ثم عرض الجزية . بل أخذ المدينة على غرة . فأصدر القاضى حكمه أن يخلى الجيش المدينة . وينسحب إلى خارجها . ثم يأخذ القائد فى إعلانهم حسبما تقضى تعاليم الإسلام .

ولكن أهل سمرقند بعد ما رأوا ذلك المثل الرائع فى الانتصاف من النفس للآخرين مما لم يعرف التاريخ له مثيلا حتى يومنا هذا - ولن يعرف - رضوا بنتائج الفتح . وطلبوا من الجيش أن يظل فى أماكنه . وحسبهم ما رأوا من عدل تخشع له الهامات إجلالا - (١) .

- وإننا لنضع هذه المبادىء السامية . والأخلاقيات النبيلة التى طبقت بالفعل فى غزوات النبى ﷺ وسراياه . أمام وحشية الحروب الحديثة فى كثير من أنحاء العالم المعمور : فى فلسطين ولبنان والبوسنة والهرسك . وكوسوفا . وغيرها من البلدان . حيث يتعمد المستعمرون إحراق الحرث والنسل . وقتل الولدان والشيوخ والنساء . وإبادة الذرارى وإحراق المحاصيل لتجويع الأبرياء المشردين مما يتنافى مع أبسط القيم الإنسانية التى يتشدقون بأنهم حماتها وحراسها والمدافعون عنها .

كما أنه بهذا كله يظهر جليا لكل البشرية : أن أغراض الحروب الإسلامية ممثلة فى سرايا النبى ﷺ وغزواته وفتوح سلفنا الصالح كانت تستهدف : تثبيت مجموعة من المبادىء والقيم الخلقية والإنسانية .

---

(١) الكامل فى التاريخ لابن الأثير جـ ٥ ص ٦٠ - ٦١ ، وراجع وسائل الدعوة د. الجيوشى ص ١٦٢ .

التى جاء بها الإسلام الحنيف . من أجل القضاء على المجتمع الجاهلى . وبناء مجتمع جديد . يقوم على أساس من العلاقات الإنسانية والاجتماعية السوية .

وتتمثل هذه المبادىء والقيم :

- فى حرية الرأى والدعوة .
- وفى السلام القائم على العدل .
- وفى الجهاد دفاعا عن النفس والعقيدة .
- وفى رعاية الحرمات الإنسانية .
- وفى المساواة بين الناس جميعا فى الحقوق والواجبات .
- وفى نبذ التعصب والعدوان .
- وفى وحدة الصف والتعاون بين الناس على اختلاف فئاتهم وآرائهم .
- وفى الدعوة إلى التعايش السلمى . والمجادلة بالتى هى أحسن . والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (١) .

- **تلك هى أهم المبادىء والمثل العليا التى استهدفها رسول ﷺ من غزواته وسراياه . واستهدف الفاتحون المسلمون إقرارها بين الناس . والتمكين لها فى شتى المجتمعات . وجعلها قاعدة راسخة ينهض عليها بناء الدولة الإسلامية الأولى فى التاريخ الإنسانى .**
- **وتلك هى الوسيلة التى انتشرت بها الدعوة الإسلامية فى كل أرجاء المعمورة دونما عنف أو إكراه كما يدعى بعض المتعصبين ضد الإسلام والمسلمين من أبناء الشرق والغرب فى القديم والحديث .**

---

(١) القيم الخلقية والإنسانية فى الغزوات : حسن فتح الباب ص ٢٤ .

فما أحوج المسلمين فى كل عصر ومصر للسير على هذا النهج الإسلامى الإنسانى العظيم . ليقودوا الإنسانية كلها إلى بر الإيمان السليم . وما يترتب عليه من أمن وأمان . يفتقدهما الإنسان المعاصر فى كل أرجاء الأرض ٠

والواقع أصدق الأدلة على ما يعانيه الإنسان المعاصر ٠

والتجربة أصدق الأدلة على إنقاذه مما يعانيه ٠

وصدق الله العظيم إذ يقول : – ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض . ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون – (١) ٠

– ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم . ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم . منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعلمون – (٢) ٠

---

(١) سورة الأعراف الآية : ٩٦ ٠

(٢) سورة المائدة الآيتان : ٦٥ – ٦٦ ٠

وقد أوجب هذا المؤتمر : عـدم بـدء الأعمـال الحربيـة إلا بعـد إخطـار سـابق . واضح . لا لبس فيه . ولا غموض .

وذلك : إما في صورة إعلان حرب مسببة . وإما في صورة إنذار نهـائي يذكـر فيه اعتبار الحرب قائمة بين البلدين . إذا لم تجب الدولـة التـي وجـه إليهـا الإنـذار طلبات الدولة المنذرة (١) .

رابعـا : يحرم الإسلام قتل رسول العدو . أو نائبه في المفاوضات مهمـا يـدر منه في التفاوض . ويدل على ذلك : أنه جاء ابن النواحـة . وابـن أثـال . رسـولا مسيلمة الكذاب إلى النبي ﷺ . فقـال لهمـا : أتشـهدان أنـي رسـول الله ؟ قـالا : نشهد أن مسيلمة رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : آمنـت بـالله ورسـوله . لـو كنت قاتلا رسولا لقتلتكما (٢) .

ولم يقتلهما رسول الله ﷺ رغم إنكارهما لنبوتـه ورسـالته . واعترافهمـا بنبـوة غيره من الأدعياء كمسيلمة .

خامسـا : تعريـف المقـاتل المسـلم بقواعـد الحـرب . لتكـون حربـا مرشـدة لا مدمــرة . وللبناء لا للتخريب ز ليس فيها اعتداء ولا غدر .

– لقول الله تعالى : وقاتلوا فـــي سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتـدوا إن الله لا يحب المعتدين – (٣) .

– ولما روى عن ابن عبـاس رضـى الله عنهمـا قـال : كـان رسـول الله ﷺ إذا بعث جيوشه قال : أخرجوا باسم الله تعالى . تقاتلون في سبيل الله مــن كفر بالله

---

(١) عطاء الرحمن : محمد مصطفى الحديدى الطير ص ١١٢ .

(٢) السابق ص ١١٢ .

(٣) سورة البقرة الآية : ١٩٠ .

المبحث الثانى
وسيلة الكتب والرسائل

بعد أن أدت وسيلة القوة ممثلة فى السرايا والغزوات دورا هاما فى إظهار قوة المسلمين . وإرهاب أعدائهم . والقضاء على صناديد الكفر والطغيان جاءت وسيلة الكتب والرسائل بعد صلح الحديبية (١) . وانتشار الأمن فى الجزيرة العربية . لتؤدى دورا آخر فى نقل الدعوة من محيطها العربى الخاص إلى المحيط العالمى العام . حيث كان ينتظرها بعض الناس كأهل الكتب السابقة وكان يجهلها البعض الآخر ككسرى فارس .

فخاطبت جميع البعيدين عن النبى ﷺ من سائر الأمم الذين لم يروه ولم يسمعوا قوله ﷺ .

وكان يحملها إليهم بعض الصحابة الكرام الذين لهم خبرتهم وتجربتهم فى الأمور .

وكان مبدأ ذلك كما يروى ابن سعد فى طبقاته قائلا (٢) :

إن رسول الله ﷺ قال لأصحابه : وافونى بأجمعكم بالغداة . وكان ﷺ إذا صلى الفجر حبس فى مصلاه قليلا يسبح ويدعو .ثم التفت إليهم .فبعث عدة . إلى عدة . وقال لهم : نصحوا لله فى عباده . فإنه من استدعى شيئا من أمور الناس . ثم لم ينضح لهم حرم الله عليه الجنة . انطلقوا ولا تصنعوا كما صنعت رسل عيسى ابن مريم . فإنهم أتوا القريب وتركوا البعيد . فأصبحوا – يعنى الرسل – وكل رجل

---

(١) كان صلح الحديبية أواخر ذى القعدة من السنة السادسة للهجرة الشريفة . وبدأ إرسال الكتب مع بداية المحرم من السنة السابعة للهجرة الشريفة .

(٢) جـ ١ ص ٢٦٠ .

منهم يتكلم بلسان القوم الذين أرسل إليهم . فذكر ذلك للنبى ﷺ فقال : هذا أعظم ما كان من حق الله عليهم فى أمر عباده - ٠

وتقضى رواية ابن سعد هذه . أن الرسل الذين تكلموا بلغات من أرسلوا اليهم . هم الرسل الذين كلفهم رسول الله ﷺ ٠

ولكن الروايات الأخرى التى تناولت الموضوع يفهم من بعضها . أنهم رسل عيسى عليه السلام . ويصرح بعضها بأنهم رسل عيسى فعلا (١) ٠

وأيما كان الأمر : فإذا كان الله عز وجل قد جعل ذلك لرسل عيسى عليه السلام فإنه قادر على أن يجعله أيضا لرسل محمد ﷺ ٠

ومن تتبع تفصيلات الحوار الذى دار بين بعض الرسل وبين من أرسلوا إليهم يبدو أنهم كانوا قادرين على مخاطبتهم بلغاتهم ٠

ويبدو ذلك بوضوح من متابعة الحوار الذى دار بين المقوقس وبين حاطب بن أبى بلتعة (٢) - كما سيأتى إن شاء الله تعالى ٠

منهج النبى ﷺ فى كتبه ورسائله :

كان للنبى ﷺ منهج فريد فى كتبه ورسائله . من حيث الشكل ومن حيث المضمون ٠

أ - من حيث الشكل :

اتخذ النبى ﷺ جميع السبل والأسباب التى تؤدى إلى نجاح هذه الوسيلة الدعوية حتى يكون لها أثرها الإيجابى والفعال . ممثلة فى :

---

(١) كما فى السيرة النبوية لابن هشام جـ ٤ ص ١٨٦ - ١٨٧ ٠

(٢) وسائل الدعوة د. الجيوشى ص ١٦٥ ٠

١ - اتخذ ﷺ خاتما يختم به الكتاب . ليكون له الصفة الرسمية . لما علم أن الملوك والرؤساء لا يقرأون كتابا إلا إذا كان مختوما .

فقد روى البخارى عن قتادة قال : سمعت أنسا رضى الله عنه يقول : لما أراد النبى ﷺ أن يكتب إلى الروم . قيل له : إنهم لا يقراءون كتابا إلا أن يكون مختوما . فاتخذ خاتما من فضة . فكأنى أنظر إلى بياضه فى يده . ونقش فيه : محمد رسول الله - (١) .

وقد عقد ابن سعد فى طبقاته فصلا خاصا عن خاتم رسول الله ﷺ . من حيث شكله المادى . ومن حيث النقوش التى كانت عليه . ومن حيث ما صار إليه أمر هذا الخاتم - (٢) .

٢ - اختيار السفير المناسب للقوم الموجه إليهم الكتاب . بحيث يكون هذا السفير على خبرة بلغة القوم . وعاداتهم وتقاليدهم . مع توجيه النبى ﷺ إياهم لأحسن الأساليب والوسائل فى مخاطبة المرسل إليهم . كأنه ﷺ حاضر معه . مطلع على الظروف والأحوال التى يواجهها فى سفارته .

ويظهر هذا كله من قول ابن سعد فى طبقاته : - وأصبح كل رجل منهم - أى من السفراء - يتكلم بلسان القوم الذين بعث إليهم (٣) .

- ومما حكم به المقوقس عظيم القبط فى مصر . على حاطب بن أبى بلتعة . بعد أن جرى بينهما حوار غلب فيه حاطب . فقال المقوقس : أحسنت .

---

(١) صحيح البخارى كتاب الجهاد باب دعوة اليهود والنصارى . وعلى ما تكون عليه .. جـ ٣ ص ١٠٧٤ والسيرة الحلبية جـ ٣ ص ٢٤٠ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ١ ص ٤٧٣ . ٤٧٨ .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ١ ص ٢٥٨ .

أنت حكيم من عند حكيم (١) .

- ومن توجيه النبي ﷺ لعياش بن أبي ربيعة المخزومي سفيره إلى بني عبد كلال من حمير وهم : الحارث . ومسروح . ونعيم - قائلا :

إذا جئت أرضهم . فلا تدخل ليلا حتى تصبح . ثم تطهر فأحسن طهورك . وصل ركعتين . وسل الله النجاح والقبول . واستعذ بالله . وخذ كتابي بيمينك وادفعه بيمينك في أيمانهم . فإنهم قابلون . واقرأ عليهم : - لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب . والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة . رسول من الله يتلو صحفا مطهرة . فيها كتب قيمة . وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة . وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية . إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية . جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا . رضي الله عنه ورضوا عنه . ذلك لمن خشي ربه - (٢) .

فإذا فرغت منها فقل : آمن محمد وأنا أول المؤمنين . فلن تأتيك حجة إلا دحضت . ولا كتاب زخرف إلا ذهب نوره . وهم قارئون عليك . فإذا رطنوا . فقل ترجموا . وقل حسبي الله - آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم . الله ربنا وربكم . لنا أعمالنا ولكم أعمالكم . لا حجة بيننا وبينكم . الله يجمع بيننا وإليه المصير - (٣) .

(١) السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٢٥٠ .

(٢) سورة البينة كاملة .

(٣) سورة الشورى الآية : ١٥ .

فإذا اسلموا فسلهم قضبهم الثلاثة التى إذا حضروا بهـا سـجدوا . وهـى مـن الآثل : قضيب ملمع ببياض وصفرة . وقضيب ذو عجر كأنه خيزران . والأسـود البهيم كأنه من سلم ثم أخرجها فحرقهـا بسوقهم قال عياش : فخرجـت أفعـل ما أمرنى به رسول الله ﷺ . حتى إذا دخلت إذا النـاس قـد لبسـوا زينتهـم . قـال فمررت لأنظـر إليهـم حتـى انتهيـت إلى سـتور عظيمـة علـى أبـواب دور ثلاثـة . فكشفت الستر ودخلـت البـاب الأوسـط . فـانتهيت إلى قـوم فـى قاعـة الـدار . فقلت أنا رسول رسول الله ﷺ وفعلـت مـا أمرنـى . فقبلـوا . وكـان كمـا قـال رسول الله ﷺ (١) .

وهكذا كان سفراء النبى ﷺ يستخدمون المنهج الذى رسمه لهم النبـى ﷺ حتـى ضربوا أروع الأمثلة فى الكفاءة وتحمل المسئولية فى تبليغ دعوة النبى ﷺ على من أرسلوا إليهم . وفى الدفـاع عـن دينهـم – حـين سـئلوا عنـه . ووضحـوه حينمـا عورضوا . وقاموا بدورهم كدعاة إلى الله تعالى . لا كرسل مجردين (٢) .

ب – من حيث المضمون :

تضمنت كتب النبى ﷺ كثيرا من الأمور التى تتناسب مع مكانة الرسالة الخاتمة العالمية . ومن ذلك :

١– كان ﷺ يتخير لكل قوم ما يناسبهم من مناهج وأساليب ووسائل دعويـة . قد لا تصلح لغيرهم .

٢– وحـدة موضـوع سـائر الكتـب والرسـائل . لأنهـا تتضمـن الدعـوة إلى الإسلام ابتداء من الإيمان بالله تعالى . إلى الإيمان باليوم الآخر .

---

(١) الطبقـات الكـبرى جـ ١ ص ٢٨٢ – ٢٨٣ وراجع وسائل الدعـوة د. الجيوشـى ص ١٧٤ – ١٧٥ .

(٢) الدعوة الإسلامية د. أحمد غلوش ص ٣ ، ٤ .

٣- بيان النتيجة التى سيسفر عنها الكتاب أو الرسالة . ورد فعل المرسل إليه . ومن يطلع على كتب النبى ﷺ يجد أن مضمون كل كتاب يتفق مع النتيجة التى وقعت . كأن النبى ﷺ كان يبلغ الدعوة إلى الملك أو الرئيس المعين - وهو يقول له - : أنت ستكون مسلما أو كافرا !!!

٤- تضمين الكتب الترغيب والترهيب عن طريق إبراز الحساب الأخروى . وتحديد مسئولية من بلغته الدعوة عن نفسه وعن رعيته •

٥- التشديد على العرب لأنهم علموا بالإسلام قبل مجىء الكتب إليهم . ولذلك تضمنت الكتب إليهم : التهديد بالجزية . وبالحرب . وبزوال الملك •

٦- تضمين الكتب معلومات دقيقة عن عقائد القوم الموجه إليهم الكتب فإن كانوا من أهل الكتاب بين لهم أن الإسلام يتضمن الإيمان بموسى وعيسى عليهما السلام . وأن محمدا هو بشرى موسى وعيسى •

ويظهر ذلك كله من :

- كتاب النبى ﷺ إلى أبناء عبد كلال : الحارث . ومسروح . ونعيم . من حمير باليمن . وفرق شاسع بين اليمن ومكة . ولم يعرف من أسفار النبى ﷺ أنه ذهب إلى اليمن . حتى يقال : إنه اطلع على عقائدهم ونظم حياتهم خلال أسفاره إلى تلك المناطق •

ومما يدل عليه الوصف الدقيق لما هم عليه . ووصاياه لسفيره إليهم : عياش بن أبى ربيعة المخزومى كيف يتعامل معهم •

لا شك أن الوحى قد أخبره بما هم عليه . وليس هناك طريق أخرى غير ذلك • لأن وسائل المعرفة الإنسانية بهذه الأحوال لا تتحقق إلا لمن عاش معهم . وراقب أسلوب حياتهم عن كثب . واضطلع على نظام حياتهم واجتماعهم

وعقائدهم التى يدينون بها (١) . وصدق الله إذ يقول لنبيه : - وعلمك ما لم تكن تعلم . وكان فضل الله عليك عظيما (٢) .

ويورد ابن سعد فى طبقاته كتاب النبى ﷺ إلى أبناء عبد كلال قائلا :

- كتب رسول الله ﷺ إلى الحرث . ومسروح ونعيم بنى عبد كلال من حمير : سلمٌ أنتم ما أمنتم بالله ورسوله . وأن الله وحده لا شريك له بعث موسى بآياته . وخلق عيسى بكلماته . قالت اليهود : عزير ابن الله . وقالت النصارى : الله ثالث ثلاثة : عيسى ابن الله - تعالى الله من ذلك علوا كبيرا -

ويفهم من هذا النص أن بنى عبد كلال لهم علم ومعرفة باليهودية والنصرانية . وبما يقوله اليهود فى عزير . وما تقوله النصارى فى عيسى .

- كما يظهر المنهج النبوى الشريف فى مكاتباته إلى ملكى عمان إذ قال فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد بن عبد الله . إلى جيفر . وعبد . ابنى الجلندى : سلام على من اتبع الهدى . أما بعد : فإنى أدعوكما بدعاية الإسلام . اسلما تسلما . فإنى رسول الله إلى الناس كافة . لأنذر من كان حيا . ويحق على الكافرين . فإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما . وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام . فإن ملككما زائل عنكما . وخيل تحل بساحتكما . وتظهر نبوتى على ملككما . والسلام .

ويظهر من هذا النص . تشديد النبى ﷺ وتهديده لملكى عمان بزوال ملكهما . وتنبؤه بظهور نبوته على ملكهما . وذلك لأنهما علما بالإسلام قبل

---

(١) وسائل الدعوة د. الجيوشى ص ١٧٢ - ١٧٣ .

(٢) سورة النساء الآية : ١١٣ .

مجيء الكتاب إليهما ولم يجيبا .

أثر الكتب والرسائل النبوية في نشر الدعوة :

يلاحظ أن وسيلة الكتب والرسائل التي وجهها النبي ﷺ إلى الرؤساء والملوك داخل الجزيرة العربية وخارجها . قد أفادت كثيرا في نشر الدعوة وتبليغها فقد كانت هذه الوسيلة سببا في إسلام بعض من كتب إليهم النبي ﷺ أمثال : النجاشي . والحارث . ومسروح . ونعيم . أبناء عبد كلال من حمير باليمن .

فهي إذا وسيلة دعوية فعالة وصالحة لكل عصر ومصر .

ومتى قام بها من يستطيع البلاغ والبيان . أفادت الدعوة الإسلامية كثيرا خاصة في العصر الحديث . الذى جعل من العالم كله قرية صغيرة . نظرا لقرب المسافات . وتطور وسائل الاتصال والإعلام .

أهداف كتب النبي ﷺ :

يمكن إجمال أهداف هذه الكتب والرسائل في عدة أمور منها :

١- تبليغ الدعوة الإسلامية إلى جميع الحكام ومحكوميهم . فقد كانت هناك فرصة لسفراء النبي ﷺ إلى الملوك والرؤساء . كي يشرحوا مبادىء الدين الإسلامي . ويقوموا بأمر الدعوة من خلال الحوار الذى دار بين هؤلاء السفراء وبين من أرسلوا إليهم . كالنجاشي وهرقل والمقوقس وملكي عمان ... الخ .

٢- توجيه الدعاة ورسم الطريق ليكون لهم تأثيرهم الإيجابي والفعال في إقناع المدعو واستمالته . كما هو الحال مع كتاب النبي ﷺ لأبناء عبد كلال

وتوجيهه لعياش ابن أبى ربيعة المخزومى (١) .

٣- إصلاح العقيدة . بتوجيه الحكام ومحكومهم إلى التوحيد الخالص لله تعالى ونبذ ما يخالفه فى الاعتقاد . أو القول . أو العمل . ومراعاة النظام الإسلامى فى كل الأمور :

٤- إعادة القيمة الإنسانية للإنسان فى كل زمان ومكان .

٥- بيان الحقوق والواجبات المتبادلة بين الأفراد والمجتمعات .

٦- بيان شرائع الإسلام فيما بين الإنسان وربه . وبين الإنسان وغيره .

من البشر . كما هو الحال فى كتابه ﷺ إلى الحارث ومسروح ونعيم أبناء عبد كلال (٢) .

٧ - إعادة الخارجين على النظام العام للمجتمع . وفتح الباب أمامهم ليسهموا فى بناء واستقرار والمجتمع بعد أن زالت معالم الظلم الاجتماعى منه . كما هو الحال فى كتابه ﷺ إلى عباد الله العتقاء (٣) .

٨- إن هذه الكتب تطبيقا عمليا لمرحلة عالمية الدعوة الإسلامية (٤) وإن كانت

---

(١) ، (٢) راجع صفحة ٢٧٢ من هذا البحث .

(٣) الذى يقول فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد النبى رسول الله . لعباد الله العتقاء . إنهم إن آمنوا . وأقاموا الصلاة . وآتوا الزكاة . فبعدهم حر . ومولاهم محمد . ومن كان من قبيلة لم يرد إليها . وما كان فيهم من دم أصابوه . أو مال أخذوه فهو لهم . وما كان لهم من دين فى الناس رد إليهم . ولا ظلم عليهم ولا عدوان . وإن لهم على ذلك ذمة الله وذمة محمد . والسلام عليكم ز وكتبه أبى بن كعب - راجع الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ١ ص ٢٧٨ .

(٤) تراجع هذه المرحلة فى - فقه الدعوة إلى الله تعالى فى ضوء السيرة النبوية الشريفة .

هذه المرحلة قد بدأت مع البدايات الأولى للدعوة فى مكة المكرمة . بدليل قول الله تعالى :

- وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون أنه لمجنون . وما هو إلا ذكر للعالمين - (١) -- قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا - (٢) - وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا - (٣) .

وخطبته ﷺ على جبل الصفا . حين أكد فيها على أنه رسول الله إلى العرب خاصة وإلى الناس عامة (٤) .

وقد بدأ التنفيذ الفعلى لهذه العالمية بتوجيه الكتب والرسائل إلى الملوك والرؤساء . داخل الجزيرة العربية وخارجها . بعد صلح الحديبية فى أواخر السنة السادسة للهجرة النبوية الشريفة . وبداية المحرم من السنة السابعة .

وقبل صلح الحديبية كان النبى ﷺ مشغولا :

- بإقناع المكيين ومن حولهم - فى العهد المكى - بالدعوة والداعية .

- كما قضى السنوات الست الأولى فى المدينة المنورة بتأسيس المجتمع الإسلامى الجديد . وتأمين المدينة من المهاجمين لها . والدفاع عن الدعوة ضد أعدائها .

أهم كتب النبى ﷺ :

يمكن تقسيم كتب النبى ﷺ إلى قسمين :

---

(١) سورة القلم الآيتان : ٥١ ، ٥٢ .

(٢) سورة الأعراف الآية : ١٥٨ .

(٣) سورة سبأ الآية : ٢٨ .

(٤) تراجع صفحة ٣٢ من هذا البحث .

- **قسم داخلى :** خاطب به النبى ﷺ الحكام والرؤساء داخل الجزيرة العربية يدعوهم إلى الإسلام . وتطبيق مبادئه . وأهمها : كتبه إلى ملكى عمان جيفر وعبد ابنى الجلندى . والمنذر بن ساوى ملك البحرين . وإلى هودة بن على الحنفى ملك اليمامة . وإلى الحارث بن شمر الغسانى . عامل قيصر .

- **وقسم خارجى :** خاطب به النبى ﷺ الملوك والرؤساء خارج الجزيرة العربية . يدعوهم إلى الدخول فى الإسلام . وأهمها : كتابه ﷺ إلى كل من النجاشى ملك الحبشة . وهرقل عظيم الروم . والمقوقس عظيم القبط بمصر . وكسرى فارس . ويدل على ذلك : ما روى عن أنس رضى الله عنه . أن النبى ﷺ كتب إلى كسرى . وإلى قيصر . وإلى النجاشى : وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى (١) .

أما كتبه ﷺ خارج الجزيرة :

أهم كتب النبى ﷺ خارج الجزيرة العربية أربعة :

ثلاثة إلى حكام النصارى ممثلة فى كتبه إلى النجاشى ملك الحبشة وإلى هرقل حاكم الروم . وإلى المقوقس حاكم مصر .

وواحد إلى كسرى فارس . المجوسى .

ويلاحظ أن حكام النصارى كان موقفهم من كتب النبى ﷺ . كان مبنيا على ما عندهم من علم من خلال كتبهم . حتى استجاب النجاشى وأسلم . وحتى اقتنع هرقل . ولم يستطع إعلان إسلامه خوفا على ملكه . وحتى رد المقوقس ردا لينا ولم يسلم خوفا على ملكه .

---

(١) صحيح مسلم . كتاب الجهاد والسير . باب كتب النبى ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله .

١ - كتابه ﷺ إلى المقوقس ملك القبط - وهم أهل مصر والإسكندرية . وليسوا من بنى إسرائيل :

عند منصرف النبي ﷺ من الحديبية . قال : أيها الناس : أيكم ينطلق بكتابى هذا إلى صاحب مصر . وأجره على الله . فوثب إليه حاطب بن أبى بلتعة رضى الله تعالى عنه . وقال : أنا يا رسول الله . قال : بارك الله فيك يا حاطب . قال حاطب . رضى الله عنه : فأخذت الكتاب وودعته ﷺ . وسرت إلى منزلى . وشددت على راحلتى . وودعت أهلى وسرت (١) .

نص الكتاب :

وسار حاطب رضى الله عنه بكتاب النبى ﷺ إلى المقوقس وفيه :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد بن عبد الله . إلى المقوقس عظيم القبط . سلام على من اتبع الهدى . أما بعد : فإنى أدعوك بدعاية الإسلام . أسلم تسلم . يؤتك الله أجرك مرتين . فإن توليت فإنما عليك إثم القبط . و - يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا . ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله . فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون - (٢) .

وختم الكتاب . وجاء به حاطب رضى الله عنه إلى مصر . فأخبر أن المقوقس فى مجلس مشرف على البحر بالإسكندرية .فركب حاطب رضى الله عنه سفينة وحاذى مجلسه . وأشار بالكتاب إليه (٣) . فلما رآه أمر بإحضاره بين يديه . فلما

---

(١) السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٢٩٥ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ٦٤ .

(٣) إشارة تحية حيث قال فى رواية أخرى فحييته بكتاب رسول الله ﷺ فأنزلنى فى منزله وأقمت عنده - دلائل النبوة للبيهقى جـ ٤ ص ٣٩٦ .

جىء به نظر إلى الكتاب . وفضه وقرأه (١) .

حوار المقوقس مع حاطب رضى الله عنه :

لقد دار حوار هام بين المقوقس . وحاطب رضى الله عنه فى أكثر من لقاء : علنى أمام البطارقة . وسرى مقتصر عليه وعلى حاطب . حيث قال المقوقس لحاطب :

إن سأكلمك بكلام . واحب أن تفهمه منى .

قال حاطب : هلم . فقال : أخبرنى عن صاحبك . أليس هو نبى ؟

قلت : بلى . هو رسول الله . قال : فماله حيث كان هكذا . لم يدع على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى غيرها ؟

فقلت : عيسى ابن مريم . أليس تشهد أنه رسول الله ؟ . فماله حيث أخذه قومه فأرادوا أن يغلبوه (٢) . ألا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله عز وجل حتى رفعه الله إليه فى السماء الدنيا ! فقال : أنت حكيم جاء من عند حكيم!!!(٣) .

وعظ حاطب رضى الله عنه للمقوقس :

وفى أحد اللقاءات بين حاطب رضى الله عنه . والمقوقس . أراد أن يعظه . ويذكره بما حدث لمن قبله من حكام مصر – الفراعنه – حتى لا يتكبر . وتأخذه العزة بالإثم . فقال للمقوقس : إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى يعنى فرعون . – فأخذه الله نكال الآخرة والأولى – (٤) فانتقم به . ثم انتقم منه . فاعتبر بغيرك . ولا يعتبر غيرك بك !!! (٥) .

---

(١) السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٢٩٦ .

(٢) يغلبوه : أى يصلبوه .

(٣) دلائل النبوة للبيهقى جـ ٤ ص ٣٩٦ .

(٤) سورة النازعات الآية : ٢٥ .

(٥) السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٢٩٦ .

ثم أخذ حاطب يضرب على الوتر الحساس فى موعظته للمقوقس قائلا :

إن هذا النبى – محمد – ﷺ دعا الناس . فكان أشدهم عليه قريش . وأعداهم له يهود . وأقربهم منه النصارى !!!

ولعمرى ما بشارة موسى بعيسى عليهما الصلاة والسلام . إلا كبشارة عيسى بمحمد ﷺ .

وما دعاؤنا اياك إلى القرآن . إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل !!!

وكل نبى أدرك قوما فهم أمته . فالحق عليهم أن يطيعوه . فأنت ممن أدرك هذا النبى . ولسنا ننهاك عن دين المسيح عليه السلام (١) .ولكنا نأمرك به !!! (٢) .

موقف المقوقس بعد قراءته للكتاب . ولقائه مع حاطب رضى الله عنه :

تجاوب المقوقس مع كتاب النبى ﷺ تجاوبا كبيرا (٣) . حتى قال لحاطب : إنى قد نظرت فى أمر هذا النبى . فوجدته لا يأمر بمزهود فيه . ولا ينهى عن مرغوب فيه . ولم أجده بالساحر الضال ، ولا الكاهن الكذاب . ووجدت معه آلة النبوة . بإخراج الخبء . والإخبار بالنجوى . وسأنظر !!!

---

(١) دين عيسى عليه السلام هو دين موسى عليه السلام . ومعنى لسنا ننهاك عن دين المسيح : أى لا ننهاك عن النظر فى تعاليمه الأصلية من قبل التحريف ومن بعده فما تزال النبوءات صريحة وواضحة عن نبى الإسلام محمد ﷺ !!! .

(٢) السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٢٩٦ .

(٣) يتمثل هذا التجاوب فى أنه تقبل كتاب النبى ﷺ بقبول حسن وأكرم سفيره . ورد عليه ردا رفيقا مصحوبا ببعض الهدايا ويظهر سبب هذا التجاوب فى ما كان عنده من علم من الكتاب أن نبيا سيظهر موصوف بصفات كثيرة فى كتب النصرانية . وفيما كان يسمعه من علماء النصارى عن مقدم هذا النبى . وفيما سمعه من العرب الذين يفدون إلى مصر للتجارة . ومنهم وفد بنى مالك ومعهم المغيرة ابن شعبه قبل إسلامه . وسمع منهم الكثير عن صفات النبى محمد .

وأخذ كتاب النبي ﷺ . وجعله في حق من عاج . وختم عليه . ودفعه إلى جارية له . ثم دعا كاتبا له يكتب بالعربية . فكتب إلى النبي ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم : لمحمد بن عبد الله . من المقوقس عظيم القبط . سلام عليك . أما بعد : فقد قرأت كتابك . وفهمت ما ذكرت فيه . وما تدعوا إليه . وقد علمت أن نبيا قد بقي . وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام .

وقد أكرمت رسولك . وبعثت لك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم (١) وبثياب . قال بعضهم : وبقيت تلك الثياب حتى كفن ﷺ في بعضها (٢) .

ثم قال المقوقس لحاطب رضي الله عنه : القبط لا يطاوعونني في إتباعه ولا أحب أن تعلم بمحاورتي إياك . وأنا أضن بملكي أن أفارقه (٣) . وسيظهر على البلاد . وينزل بساحتنا هذه أصحابه من بعده (٤) . فارجع إلى صاحبك . وارحل من عندي . ولا تسمع منك القبط حرفا واحدا . قال حاطب رضي الله عنه : فرحلت من عنده . وبعث معي جيشا إلى أن أدخل جزيرة العرب . ووجدت قافلة من الشام تريد المدينة . فرد الجيش . وارتفقت بالقافلة .

ثم قال حاطب : فذكرت قوله للنبي ﷺ : فقال : ضن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه !!! (٥) .

---

(١) ورد في دائل النبوة للبيهقي أنهن ثلاث جواري : واحدة منهن أم إبراهيم بن رسول الله ﷺ وواحدة وهبها رسول الله ﷺ لأبي جهم بن حذيفة العدوى – فهي أم زكريا بن جهم الذي كان خليفة عمرو بن العاصي على مصر – وواحدة وهبها لحسان ثابت الأنصاري – وهي أم عبد الرحمن بن حسان – وأرسل إليهم بطرف من طرفهم – جـ ٤ ص٣٩٦ .

(٢) السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٢٩٧ .

(٣) أي أبخل بملكي .

(٤) وقد كان ذلك فعلا . فإن المسلمين فتحوا مصر سنة ستة عشرة للهجرة النبوية الشريفة . ونزلها الصحابة الكرام .

(٥) السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٢٩٩ .

٢ - كتابه ﷺ إلى هرقل : ملك الروم :

بعث النبى ﷺ كتابه إلى هرقل عظيم الروم فى آخر سنة ست للهجرة النبوية الشريفة بعد أن رجع من الحديبية .. وكان وصوله إلى هرقل فى المحرم سنة سبع . قاله الواقدى .

ووقع فى تاريخ خليفة : أن إرسال الكتاب إلى هرقل كان سنة خمس . والأول أثبت . وهذا غلط . لتصريح أبى سفيان بأن ذلك كان فى مدة الهدنة - هدنة الحديبية - وكانت فى آخر سنة ست اتفاقا (١) .

وكان المرسل بهذا الكتاب هو الصحابى الجليل : دحية بن خليفة الكلبى . أحسن الناس وجها . والذى كان جبريل يأتى للنبى ﷺ على صورته . وليس فى الصحابة من اسمه دحية غيره .

وتحمس لحمل هذا الكتاب لما سمع النبى ﷺ يقول :

من ينطلق بكتابى هذا . فيسير إلى هرقل . وله الجنة ؟ (٢) .

وقيل : أمر النبى ﷺ دحية أن يدفعه إلى عظيم بصرى . وهو الحارث (٣) ملك غسان ليدفعه إلى قيصر .

ولما انتهى دحية إلى الحارث أرسل معه عدى بن حاتم رضى الله عنه ليوصله إلى قيصر . فذهب به إليه . فقال قومه لدحية رضى الله عنه : إذا رأيت الملك فاسجد له . ثم لا ترفع رأسك أبدا حتى يأذن لك .

---

(١) فتح البارى جـ ١ ص ٧٧ - ٧٨ .

(٢) السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٢٨٥ .

(٣) هو الحارث بن أبى شمر الغسانى حاكم بصرى بضم الباء وكسرها . وهى مدينة بين المدينة المنورة ودمشق . وقيل هى حران - فتح البارى جـ ١ ص ٧٨ .

قــال دحيـــة رضـــى الله تعالـــى عنـه : لا أفعـــل هـــذا أبـــدا . ولا أسجـد لغــير الله •

قالوا : إذا لا يأخذ كتابك . فقال له رجل منهم : أنا أدلك على أمر يؤخـذ فيـه كتابك . ولا تسجد له . فقال دحية رضى الله عنه وما هو ؟ . فقال : إن له علـى كل عتبة منبرا يجلس عليه •

فضع صحيفتك تجاه المنبر . فـإن أحـــدا لا يحرهـا حتـى يأخذهـا هـو . ثـم يدعـو صاحبها . ففعل •

فلما أخذ قيصر الكتاب وجد عليه عنوان كتاب العرب . فدعا الترجمـان الـذى يقرا بالعربية (١) •

فقرأ عليه فـإذا فـى الكتـاب : بسـم الله الرحمـن الرحيـم : مـن محمـد عبـد الله ورسوله . إلى هرقل عظيم الروم . سلام (٢) على من اتبع الهدى . أما بعـد : فإنى أدعوك بدعاية الإسلام (٣) . أسلم تسلم . يؤتك الله أجـرك مرتين . فإن توليت .

---

(١) السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٢٨٤ •

(٢) سلام . مرفوع على الابتـداء . وهـذا مـن المواضـع التـى يكـون المبتـدأ فيهـا نكـرة بوجـه التخصيص . وهو مصدر فى معنى الدعاء وأصله سلم الله . أو سلمت سلاما . ثم حذف الفعل للعلم به . ثم عـــدل عن النصب إلى الرفع لغــرض الـدوام والثبـوت . فـإن قيـل : كيف يبدأ الكافر بالسلام ؟ . فالجواب أنه لم يبدأ الكافر بالسلام قصدا . وإن كان اللفـظ يشعر به . لكنه لم يدخل فى المراد . لأنـه ليـس ممـن تبـع الهـدى فلـم يسـلم عليـه – فتـح البارى جـ ٤ ص ٧٨ •

(٣) دعاية أو داعية الإسلام كمـا فـى روايـة مسـلم أى بالكلمـة الداعيـة إلى الإسـلام . وهـى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله •

فإن عليك إثم الأريسيين (١) . ويا أهل الكتاب (٢) تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا . ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله . فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون (٣) .

جاء هذا الكتاب إلى هرقل في جو كان يبحث فيه عن نبي سيظهر .

فقد كان هرقل حذاء ينظر في النجوم . وقد عرف بمبعث النبي الخاتم . وكتب إلى عماله في الآفاق يبحثون له عن خبر هذا النبي .

وكان أبو سفيان بن حرب قبل إسلامه في محلة قيصر للتجارة . فدعاه وسأله عن خبر النبي محمد ﷺ في حوار طويل (٤) .

وفي نهاية سؤاله قال : - ... فإن كان ما تقول حقا . فسيملك موضع قدمي هاتين . وقد كنت أعلم أنه خارج . لم أكن أظن أنه منكم - أي من العرب - فلو أني أعلم أني أخلص - أصل - إليه لتجشمت لقاءه (٥) .

ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه (٦) .

---

(١) جمع أريسي . وهو منسوب إلى أريس بوزن فعيل . والأريس هو : الأكار . أو الفلاح . أو الأمير وقد ورد بذلك بعض الرويات الأخرى . والمعنى فإن عليك إثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون بأمرك .

(٢) ويأهل الكتاب . على إثبات الواو . لأنها داخله على مقدر معطوف على قوله . أدعوك . أي أدعوك بدعاية الإسلام وأقول لك ولأتباعك امتثالا لقول الله تعالى - يا أهل الكتاب ... .

(٣) صحيح البخاري جـ ١ ص ٧٩ - ٨٠ .

(٤) راجع صفحة ٣٦ من هذا البحث ، فتح الباري جـ ١ ص ٨٠ .

(٥) تكلفت مع المشقة لقيه .

(٦) هذا كناية عن المبالغة في الخدمة والتعبد بطاعة النبي ﷺ - راجع البخاري جـ١ ص٧٦ .

ولما انتهى من قراءة كتاب النبى ﷺ كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات ... فأذن هرقل لعظماء الروم ... فقال : يا معشر الروم . هل لكم فى الفلاح والرشد . وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبى . فحاصوا حيصة حمر الوحش ... فلما رأى هرقل نفرتهم ويئس من إيمانهم ... قال : إن قلت لكم مقالتى آنفا أختبر شدتكم على دينكم . فقد رأيت . فسجدوا له ورضوا عنه .

فكان ذلك آخر شأن هرقل (١) – وباء بإثمه وإثم الأريسيين لعدم إيمانه مع قناعته برسالة النبى ﷺ . وتيقنه من صدقه . وصدق ما أخبر به .

قال الإمام النووى رحمة الله تعالى : ولا عذر له فى هذا . لأنه قد عرف صدق النبى ﷺ . وإنما شح بالملك . فطلب الرياسة وآثرها على الإسلام . ولو أراد الله هدايته . لوفقه كما وفق النجاشى . ومازالت عنه الرياسة (٢) .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : لو تفطن هرقل لقوله ﷺ فى الكتاب إليه . – أسلم تسلم – وحمل الجزاء على عمومه فى الدنيا والآخرة لسلم من كل ما يخافه . ولكن التوفيق بيد الله تعالى (٣) .

٣- كتابه ﷺ إلى النجاشى ملك الحبشه :

بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمرى رضى الله عنه إلى النجاشى فى

---

(١) صحيح البخارى جـ ١ ص ٧٧ – ٧٨ .

(٢) السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٢٨٧ .

(٣) السابق جـ ٣ ص ٢٨٧ .

ربيع الأول سنة سبع للهجرة وبعث معه كتابا فيه (١) :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة . سلم أنت (٢) فإني أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن . وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة (٣) . فحملت بعيسى . حملته من روحه ونفخه . كما خلق آدم بيده . وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له . والموالاة على طاعته . وأن تتبعني وتوقن بالذى جاءني . فإني رسول الله . وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل . وقد بلغت ونصحت . فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى (٤) .

---

(١) يروى أن عمرو بن أمية الضمرى قال النجاشي عند إعطائه الكتاب : - يا أصحمة : إن على القول وعليك الاستماع . إنك كأنك في الرقة علينا منا . وكأنا في الثقة بك منك . لأنا لم نظن بك خيرا قط إلا نلناه . ولم نخفظك على شر قط إلا أمناه . وقد أخذنا الحجة عليك من قبل آدم . والإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد . وقاض لا يجور . في ذلك موقع الخير . وإصابة الفضل . وإلا فأنت في هذا النبي الأمي ﷺ كاليهود في عيسى ابن مريم وقد فرق النبي ﷺ رسله إلى الناس فرجاك لما لم يرجهم له . وأمنك على ما خافهم عليه لخير سالف وأجر ينتظر . فقال النجاشي : أشهد بالله إنه للنبي المنتظر الذى ينتظره أهل الكتاب . وأن بشارة موسى عليه السلام براكب الحمار . كبشارة عيسى عليه السلام براكب الجمل وأن العيان ليس بأشفى من الخير - وزاد بعضهم - ولكن أعواني من الحبشة قليل فأنظرني حتى أكثر الأعوان وألين القلوب - السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٢٩٤ .

(٢) أى أنت سالم . لأن السلم يأتي بمعنى السلامة .

(٣) أى العفيفة . المنقطعة عن الرجال والتى لا شهوة لها فيهم. أو المنقطعة عن الدنيا وزينتها .

(٤) السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون : على بن برهان الدين الحلبي جـ ٣ ص ٢٩٣ وهداية الحيارى ، في أجوبة اليهود والنصارى : الإمام ابن القيم ص ٥٤ ط ٤ المكتبة القيمية بالقاهرة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

يلاحظ أن لهجة هذا الكتاب لها خاصية لم تكن فى أى كتاب آخر .

– ففية البدء بالسلام والسلامة للنجاشى – سلم أنت –

– وفيه أن النبى ﷺ بحمد الله للنجاشى – فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو .. .

– وفيه دعوته إلى أن يلزم جنوده بما يؤمن به والموالاة على طاعته . ثم ختم بالنصيحة .

ومفهوم هذا السياق . أن الكتاب موجه للنجاشى . بصفته عظيم الحبشة وبصفته مسلم . ففى النصوص دلالة المعنى اللزومى وزيادة تترتب على ذلك . وهى :

أنك إذا كنت قد أقررت بما جاء به محمد ﷺ . كفرد واحد . فإنما عليك تبعة بصفتك عظيم الحبشة . وأنك مسلم . وهى الموالاة على طاعة الله ورسول الله ﷺ . ودعوة الجند إلى الله تعالى .

ومن أجل هذه الخاصية : توجه كتاب النبى ﷺ إلى النجاشى .

وقد أدركها النجاشى وقال لعمرو بن أمية : اشهد بالله أنه للنبى الذى ينتظره أهل الكتاب . الذى بشر به عيسى ابن مريم . ولكن أعوانى من الحبشة قليل . فأنظرنى حتى أكثر الأعوان . وألين القلوب (١) .

موقف النجاشى من كتاب النبى ﷺ :

لقد تجاوب النجاشى مع كتاب النبى ﷺ تجاوبا كبيرا . بأن أسلم وأعلن إسلامه . لأنه قد عرف الكثير عن هذا النبى ورسالته . من مقابلة جعفر بن أبى

---

(١) السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٢٩٣ .

طالب له . ومن واقع كتب النصارى عن صفة النبى ﷺ . ورسالته . ولما وصله كتاب النبى ﷺ . وضعه على عينيه . ونزل عن سريره . وجلس على الأرض - تواضعا - ثم أسلم . ودعا بحق من عـاج . وجعل فيه كتاب رسول الله ﷺ . وقال : لن تزال الحبشة بخير ما كان هذا الكتاب بين أظهرهم .

وفى كلام بعضهم : وبعث ﷺ عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى . فكان أول رسول . وكتب إليه كتابين : يدعوه فى أحدهما إلى الإسلام . وفى الآخر يأمره أن يزوجه ﷺ أم حبيبة . فأخذ الكتابين . وقبلهما ووضعهما على رأسه وعينيه . ونزل عن سريره تواضعا . ثم أسلم وشهد شهادة الحق (١) . وكتب إلى النبى ﷺ كتابا يعلن فيه إسلامه وولاء للنبى ﷺ . قائلا : - بسم الله الرحمن الرحيم : إلى محمد رسول الله ﷺ . من النجاشى أصحمة . السلام عليك يانبى الله من الله ورحمة الله وبركاته الذى لا إله إلا هو . الذى هدانى للإسلام . أما بعد :

فقد بلغنى كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى عليه الصلاة والسلام . فورب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت . وقد عرفنا ما بعث به إلينا . وقد قربنا ابن عمك وأصحابه يعنى جعفر بن أبى طالب ومن معه من المسلمين . - رضى الله عنهم - فاشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا . وقد بايعتك وبايعت ابن عمك - يعنى جعفر بن أبى طالب - وأسلمت على يده لله رب العالمين (٢) .

هل النجاشى الذى هاجر إليه جعفر بن أبى طالب وأصحابه . هو النجاشى الذى كتب إليه النبى ﷺ ؟ !!!

---

(١) السير الحلبية جـ ٣ ص ٢٩٣ .

(٢) السابق جـ ٣ ص ٢٩٣ .

الظاهر من خلال النصوص السابق ذكرها يظهر أنهما شخص واحد . يقول صاحب السيرة الحلبية :

- وهو صريح فى أن هذا المكتوب إليه هو الذى هاجر إليه المسلمون سنة خمس من النبوة - البعثة النبوية الشريفة - ونعاه النبى ﷺ يوم توفى . وصلى عليه بالمدينة . منصرفه من غزوة تبوك . وذلك فى السنة التاسعة للهجرة الشريفة (١) - والذى قاله غيره كابن حزم : أن هذا النجاشى الذى كتب إليه ﷺ . الكتاب . وبعث به عمرو بن أمية الضمرى لم يسلم . وأنه غير النجاشى الذى صلى عليه النبى ﷺ استنادا إلى ما رواه مسلم عن أنس قال : كتب رسول الله ﷺ قبل مؤتة إلى كسرى وقيصر وإلى النجاشى . وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل . وليس بالنجاشى الذى صلى عليه (٢) - ويرد عليه بأنه : يجوز أن يكون ﷺ كتب للنجاشى الذى صلى عليه . وللنجاشى الذى تولى بعده على يد عمرو بن أمية الضمرى . فلا مخالفة - (٣) .

٤ - كتابه ﷺ إلى كسرى ملك فارس :

بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن حذافة السهمى . رضى الله تعالى (٤) إلى كسرى . وبعث معه كتابا مختوما فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس .

---

(١) السابق جـ ٣ ص ٢٩٣ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب كتاب النبى ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله .

(٣) السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٢٩٤ .

(٤) وقيل : خناس بن حذافة السهمى . وقيل : أخاه خارجة . وقيل : شجاع بن وهب وقيل : عمر بن الخطاب رضى الله عنهم أجمعين .

سلام على من اتبع الهدى . وآمن با لله ورسوله . وشهد أن لا إله إلا ا لله . وحده لا شريك له . وأن محمدا عبده ورسوله . أدعوك بدعاية ا لله - تعالى - فإنى أنا رسول ا لله إلى الناس كافة . لأنذر من كان حيا . ويحق القول على الكافرين . أسلم تسلم . فإن أبيت فعليك إثم المجوس -

قال عبد ا لله بن حذافة رضى ا لله عنه : فأتيت إلى بابه وطلبت الإذن عليه . حتى وصلت إليه . فدفعت إليه كتاب رسول ا لله ﷺ . فقرىء عليه . فأخذه ومزقه (١) .

وفى رواية : أن كسرى لما علم بكتاب رسول ا لله ﷺ أذن لحامل الكتاب أن يدخل عليه . فلما وصل أمر كسرى أن يقبض منه الكتاب . قال : لا . حتى أدفعه إليك كما أمرنى رسول ا لله ﷺ .

فقال كسرى : أدنه . فدنا . فناوله الكتاب . فدعا من يقرؤه فقرأه فإذا فيه : من محمد رسول ا لله إلى كسرى عظيم فارس ... - فأغضبه حين بدأ رسول ا لله ﷺ بنفسه . وصاح . ومزق الكتاب قبل أن يعلم ما فيه . وأمر بإخراج حامل الكتاب فأخرج .....

فلما ذهب عن كسرى ثورة غضبه . بعث فطلب حامل الكتاب فلم يجده .

فلما وصل حامل الكتاب إلى رسول ا لله ﷺ . وأخبره الخبر . قال ﷺ : مزق كسرى ملكه (٢) .

---

(١) السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٢٩١ .

(٢) السابق نفسه .

وهكذا نرى أن كسرى أخذته العزة بالإثم . واستبد به الغضب حتى أعماه عن الحقيقة التى كان واجبه يحتم عليه تلمسها . لئلا يبوء بإثمه وإثم أتباعه المجوس .

ولم تكد تهدأ ثورة . غضبه حتى أدرك ما وقع فيه من خطأ . فحاول أن يتعرف من حامل الكتاب - عبد الله بن حذافة السهمى - ما فاته التعرف عليه من الكتاب الذى حمله الغضب الأحمق على تمزيقه . فوجد حامل الكتاب قد عاد أدراجه . ولم يتمكن رجاله من اللحاق به !!! (١) .

ولم تكن هذه هى الحماقة الوحيدة التى ارتكبها كسرى تجاه كتاب النبى ﷺ . بل إنه كتب إلى بعض أمرائه باليمن يقال له : باذان : إنه بلغنى أن رجلا من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبى. فسر إليه فاستتبه . فإن تاب وإلا فابعث إلى برأسه (٢) .

يكتب إلى هذا الكتاب ؟!!! - أى الذى بدأ فيه بنفسه وهو عبدى - !!!

فابعث إليه رجلين جلدين فيأتيانى به .

فبعث باذان بكتاب كسرى إلى النبى ﷺ مع قهرمانه (٣) . وبعث معه رجلا آخر من الفرس . وبعث معهما إلى رسول الله ﷺ يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى ... .

---

(١) وسائل الدعوة د. الجيوشى ص ١٩٩ بتصرف .

(٢) روى فى حديث دحية بن خليفة الكلبى أنه لما رجع النبى من عند قيصر الروم وجد عنده رسل عامل كسرى على صنعاء - دلائل النبوة جـ ٤ ص ٣٩٠ .

(٣) القهرمان : أمين الملك ووكيله الخاص بتدبير دخله وخرجه . وهى كلمة فارسية معربة - المعجم الوسيط ص ٧٦٤ .

فلما قدما على النبى ﷺ المدينة . قالا له : شاهنشاه ملك الملوك كسرى بعث إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليك من يأتى بك !!!

وقد بعثنا إليك . فإن أبيت هلكت وأهلكت قومك وخربت بلادك . وكانا على زى الفرس من حلق لحاهم وإعفاء شواربهم . فكره رسول الله ﷺ النظر إليهما . ثم قال لهما : ويلكما . من أمر كما بهذا ؟ ! قالا : أمرنا ربنا يعنيان : كسرى . فقال رسول الله ﷺ : لكن أمرنى ربى بإعفاء لحيتى . وقص شاربى . ثم قال لهما : ارجعا حتى تأتيانى غدا . وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء . بأن الله قد سلط على كسرى ابنه ليقتله . فى شهر كذا فى ليلة كذا . فلما كان الغد . دعاهما وأخبرهما الخبر .

وكتب رسول الله ﷺ إلى باذان : إن الله قد وعدنى أن يقتل كسرى يوم كذا من شهر كذا . فلما أتى الكتاب باذان توقف . وقال : إن كان نبيا . فسيكون ما قال . فقتل الله كسرى فى اليوم الذى قال رسول الله ﷺ . على يد ولده شيرويه (١) .

وفى رواية : قال ﷺ لرسول باذان : اذهب إلى صاحبك . وقل له : إن ربى قد قتل ربك الليلة !!

ثم جاء الخبر بأن كسرى قتل تلك الليلة فكان كما أخبر رسول الله ﷺ (٢) - وقدم على باذان كتاب ولد كسرى - شيرويه - فيه :

أما بعد : فقد قتلت كسرى . ولم أقتله إلا غضبا لفارس . فإنه قتل أشرافهم فتفرق الناس ، فإذا جاءك كتابى هذا . فخذلى الطاعة ممن قبلك . وانظر الرجل الذى كان كسرى يكتب إليك فيه . فلا تزعجه حتى يأتيك أمرى فيه .

---

(١) ، (٢) السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٢٩٢ .

فبعث باذان بإسلامه . وإسلام من معه إلى رسول الله ﷺ (١) .

وهكذا أسلم باذان ومن معه من الفرس المقيمين باليمن على الرغم من موقف كسرى . وإصراره على أن يبعث باذان إلى النبى ﷺ من يحضره له تكبرا منه وعلوا . وكان إسلام باذان نتيجة للحوار الذى دار بين سبعوثيه إلى رسول الله ﷺ والذى اخبرهما فيه . بهلاك كسرى . وصدق الله العظيم إذ يقول : - يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم . والله متم نوره ولو كره الكافرون (٢) .

ولما جاء الخبر إلى النبى ﷺ بهلاك كسرى قال : لعن الله كسرى أول الناس هلاكا . فارس ثم العرب (٣) - وفى رواية أنه قيل لرسول الله ﷺ : إن كسرى قد استخلف ابنته . فقال : لا يفلح قوم تملكهم امرأة (٤) - وعن جابر بن سمرة رضى الله عنهما أنه ﷺ قال : لتفتحن عصابة من المسلمين . أو المؤمنين . أو رهط من أمتى كنوز كسرى التى فى القصر الأبيض (٥) . يقول جابر : فكنت أنا وأبى فيهم وأصبنا من ذلك ألف درهم (٦) .

الملاحظ على كتب النبى ﷺ إلى ملوك النصارى . وكتابه إلى كسرى :

يلاحظ أن هناك فرقا رئيسيا بين كتب النبى ﷺ إلى ملوك النصارى . وكتابه إلى كسرى . ممثلا فى :

---

(١) السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٢٩٢ .

(٢) سورة الصف الآية : ٨ .

(٣) السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٢٩٢ .

(٤) السابق جـ ٣ ص ٢٩٢ .

(٥) صحيح مسلم كتاب الفتن واشراط الساعة جـ ١٨ ص ٤٢ ودلائل النبوة للبيهقى جـ ٤ ص ٣٨٩ .

(٦) السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٢٩٢ .

- أنه ﷺ نص ف كتابه إلى كسرى على أنه رسول الله إلى الناس كافة . ولم ينص على ذلك في كتبه إلى حكام النصارى . لأن ذلك كان معروفا لديهم من خلال كتبهم وأحبارهم ورهبانهم •

- انه ﷺ نص في كتبه إلى حكام النصارى أنهم إن أسلموا يؤتيهم الله أجرهم مرتين : لإيمانهم برسلهم . وإيمانهم بمحمد ﷺ •

ولم ينص على ذلك في كتابه لكسرى . لأنه مجوسي •

- أن حكام النصارى تقبلوا كتب النبي ﷺ بالاحترام والتقدير . سواء من أمن منهم كالنجاشي . أم من لم يؤمن كهرقل والمقوقس . بناء على ما عندهم من علم الكتاب عن النبي ﷺ •

أما كسرى فقد أخذته العزة بالإثم وكبر عليه أن يكتب إليه النبي ﷺ فمزق الكتاب . وتحقق عليه تنبؤ النبي ﷺ بذهاب ملكه بقتله على يد ابنه شيرويه •

أهم كتب النبي ﷺ داخل الجزيرة العربية :

لقد بعث النبي ﷺ كثيرا من الكتب إلى كبار الأقوام داخل الجزيرة العربية وعلى أطرافها . وأهمها : كتبه ﷺ إلى : **المنذرين ساوى العبدى ملك البحرين . وجيفر وعيد ابنى الجلندى ملكى عمان . وهوذة بن على الحنفى ملك اليمامة . والحارث بن أبى شمر الغسانى عامل قيصر على غسان** •

١- كتاب النبي ﷺ إلى المنذر بن ساوى . **ملك البحرين** :

بعث رسول الله ﷺ العلاء بن الحضرمى إلى المنذرين ساوى بكتاب **يدعوه فيه إلى الإسلام** . قائلا : **بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله . إلى المنذرين ساوى . سلم أنت فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد : من صلى** صلاتنا واستقبل قبلتنا . وأكل ذبيحتنا . فذلك المسلم له ذمة الله . وذمة الرسول . من أحب ذلك من المجوس فإنه آمن . ومن أبى فإن عليه الجزية - •

ولما قدم العلاء بن الحضرمى بهذا الكتاب على المنذر بن ساوى . قال له : يا منذر إنك عظيم العقل فى الدنيا . فلا تصغرن عن الآخرة . إن هذه المجوسية شر دين . ينكح فيها ما يستحيا من نكاحه . ويأكلون ما يتكره من أكله . ونعبدون فى الدنيا نارا تأكلكم يوم القيامة . ولست بعديم عقل ولا رأى . فانظر . هل ينبغى لمن لا يكذب فى الدنيا أن لا نصدقه . ولمن لا يخون أن لا تأتمنه . ولمن لا يخلف أن لا نثق به •

فإن كان هذا هكذا . فهذا هو النبى الأمى الذى وا لله لا يستطيع ذو عقل أن يقول ليت ما أمر به نهى عنه . أو ما نهى عنه . أمر به •

فقال المنذر : قد نظرت فى هذا الذى فى يدى . فوجدته للدنيا دون الآخرة . ونظرت فى دينكم فرأيته للآخرة وللدنيا . فما يمنعنى من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت ؟! . ولقد عجبت أمس ممن يقبله . وعجبت اليوم ممن يرده . وإن من إعظام من جاء به أن يعظم رسوله (١) •

وأسلم المنذر بن ساوى استجابة لكتاب النبى ﷺ . وحسن إسلامه تأثرا بموعظة العلاء بن الحضرمى له عندما سلمه كتاب النبى ﷺ •

ورد على النبى ﷺ بكتاب يستشيره فى الأقليات الدينية التى ببلاده فقال فى كتابه للنبى ﷺ : بسم ا لله الرحمن الرحيم . إلى محمد رسول ا لله ﷺ من المنذرين ساوى ملك البحرين . أما بعد : يارسول ا لله فإنى قد قرأت كتابك . على أهل البحرين . فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه . ومنهم من كرهه •

وبأرضى مجوس ويهود . فأحدث لى فى ذلك أمرك (٢) •

---

(١) السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٣٠٠ - ٣٠١ •

(٢) السابق جـ ٣ ص ٣٠١ •

فكتب رسول الله ﷺ ردا على كتابه قائلا :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله . إلى المنذر بن ساوى . سلام عليك : فإنى أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو . أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأن محمدا عبده ورسوله . أما بعد : فإنى أذكرك الله عز وجل . فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه . وإنه من يطع رسلى ويتبع أمرهم فقد أطاعنى . ومن نصح لهم فقد نصح لى . وإن رسلى قد أثنوا عليك خيرا . وإنى قد شفعتك فى قومك . فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه . وعفوت عن أهل الذنوب فأقبل منهم . وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك . ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية (١) .

٢- كتابه ﷺ إلى جيفر وعيد ابنى الجلندى ملكى عمان :

كتب رسول الله ﷺ كتابا إلى ابنى الجلندى . وبعثه مع عمرو بن العاص رضى الله عنه . وفى الكتاب يقول ﷺ لهما :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد بن عبد الله . إلى جيفر وعيد ابنى الجلندى سلام على من اتبع الهدى . أما بعد : فإنى أدعوكما بدعاية الإسلام . أسلما تسلما . فإنى رسول الله إلى الناس كافة . لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين . وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما . وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما . وخيلى تحل بساحتكما . وتظهر نبوتى على ملككما (٢) .

وختم رسول الله ﷺ الكتاب .

(١) السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٣٠٠ .

(٢) السابق جـ ٣ ص ٣٠١ .

حوار عمرو بن العاص مع ملكى عمان :

يروى عمرو بن العاص رضى الله عنه الحوار الذى دار بينه وبينهما وما ترتب عليه من آثار أدت إلى إسلامهما . فيقول :

خرجت حتى انتهيت إلى عمان . فعمدت إلى عبد - ابن الجلندى - وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خلقا . فقلت : إنى رسول رسول الله ﷺ إليك وإلى أخيك . فقال : أخى المقدم على بالسن والملك . وأنا أوصلك به حتى يقرأ كتابك . ثم قال : وما تدعو إليه ؟

قلت : أدعوك إلى الله وحده . وتخلع ما عبد من دونه . وتشهد أن محمدا عبده ورسوله .

قال : يا عمر وإنك ابن سيد قومك . فكيف صنع أبوك ؟ - يعنى العاصى بن وائل - فإن لنا فيه قدوة .

قلت : مات ولم يؤمن بمحمد ﷺ . ووددت له لو كان آمن وصدق به . وقد كنت قبل على مثل رأيه حتى هدانى الله للإسلام . فقال : متى تبعته ؟

قلت : قريبا . فسألنى أين كان إسلامى ؟

فقلت : عند النجاشى . وأخبرته أن النجاشى قد أسلم .

قال : فكيف صنع قومه بملكه ؟ قلت : أقروه واتبعوه . قال : والأساقفه أى الرهبان ورؤساء النصرانية ؟ . قلت : نعم . قال : انظر ياعمرو ما تقول !!!

إنه ليس من خصلة فى رجل أفضح له من كذب . قلت : ما كذبت . وما نستحله فى ديننا . ثم قال : ما أرى هرقل . علم بإسلام النجاشى ؟ قلت : بلى .

قال : بأى شيء علمت ذلك يا عمرو ؟ . قلت : كان النجاشي رضى الله عنه يخرج له خراجا . فلما أسلم النجاشي وصدق بمحمد ﷺ . قال : لا . والله ولو سألنى درهما واحدا ما أعطيته . فبلغ هرقل قوله . فقال له أخوه : أتدع عبدك لا يخرج لك خراجا . ويدين دينا محدثا ! . فقال هرقل : رجل رغب فى دين . واختاره لنفسه . ما أصنع به ؟ والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع . قال : انظر ما تقول يا عمرو . قلت : والله صدقتك فقال عبد بن الجلندى : أخبرنى : ما الذى يأمر به . وينهى عنه ؟

قلت : يأمر بطاعة الله عز وجل . وينهى عن معصيته . ويأمر بالبر وصلة الرحم . وينهى عن الظلم والعدوان . وعن الزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب .

فقال . ما أحسن هذا الذى يدعو إليه . لو كان أخى يتابعنى لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به . ولكن أخى أضن بملكه من أن يدعه ويصير ذنبا – أى تابعا – فقال عمرو : إنه إن أسلم ملكه رسول الله ﷺ على قومه فأخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم .

قال عبد : إن هذا الخلق حسن . وما الصدقة ؟

فأخبرته بما فرض رسول الله ﷺ من الصدقات فى الأموال .. ولما ذكرت المواشي قال :يا عمرو . يؤخذ من سوائم مواشينا التى ترعى فى الشجر وترد المياه ؟ فقلت : نعم . فقال : والله ما أرى قومى فى بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون بهذا .

قال عمرو : فمكثت أياما بباب جيفر . وقد أوصل إليه أخوه خبرى . ثم إنه دعانى فدخلت عليه . فأخذ أعوانه بضبعى – أى عضدى – قال . دعوه . فأرسلت . فذهبت لأجلس . فأبوا أن يدعونى أجلس . فنظرت إليه . فقال :

تكلم بحاجتك . فدفعت إليه كتابا مختوما . ففض خاتمه فقراه حتى انتهى إلى آخره . ثم دفعه إلى أخيه فقرأه . ثم قال : ألا تخبرني عن قريش كيف صنعت ؟ . فقلت : اتبعوه . إما راغب في الدين وإما راهب مقهور بالسيف . قال : ومن معه ؟ . قلت : الناس قد رغبوا في الإسلام واختاروه على غيره . وعرفوا بعقولهم مع هدى الله إياهم . أنهم كانوا في ضلال مبين . فما أعلم أحدا بقي غيرك في هذه الخرجة . وأنت إن لم تسلم اليوم وتتبعه تطؤك الخيل وتبيد خضراءك - أي جماعتك - فأسلم تسلم ويستعملك على قومك ولا تدخل عليك الخيل والرجال .

قال : دعني يومي هذا . وارجع إلى غدا . فلما كان الغد أتيت إليه . فأبى أن يأذن لي . فرجعت إلى أخيه فأخبرته أني لم أصل إليه . فأوصلني إليه . فقال : إني فكرت فيما دعوتني إليه . فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلا ما في يدي وهو لا تبلغ خيله ههنا . وإن بلغت خيله الفت (١) .

قال عمرو بن العاصي رضي الله عنه : قلت وأنا خارج غدا . فلما أيقن بمخرجي . خلا به أخوه . فلما أصبح أرسل إلي . فأجاب إلى الإسلام . هو وأخوه جميعا وصدقا . وخليا بيني وبين الصدقة . وبين الحكم فيما بينهم . وكانا لي عونا على من خالفني (٢) .

والذي يتأمل في هذا الحوار يجد أن ملكي عمان وغيرهما من ملوك الجزيرة العربية لم يكونوا ينظرون إلى الدعوة الإسلامية من خلال ما تنطوي عليه من مبادىء إنسانية وأخلاقية ممثلة في الحق والعدل والإحسان وما تهيؤه للناس

---

(١) أي وجدت قتالا ليس كقتال من لاقى .

(٢) السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٣٠٢ - ٣٠٣ ، وهداية الحيارى ص ٦٧ - ٦٩ .

من حياة آمنة مطمئنة فى الأولى والآخرة . بل كانوا ينظرون إليها من خلال ملكهم وسلطانهم . وما يبقى لهم من هذا الملك وذاك السلطان إن هم اسلموا وآمنوا !!!

٣- كتابه ﷺ إلى هوذة بن على الحنفى ملك اليمامة :

بعث رسول الله ﷺ سليطا بن عمرو العامرى (١) إلى هوذة بن على الحنفى ملك اليمامة بكتاب جاء فيه : بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله ﷺ إلى هوذة بن على سلام على من اتبع الهدى . وأعلم أن دينى سيظهر إلى منتهى الخف والحافر (٢) .

فأسلم تسلم . وأجعل لك ما تحت يديك (٣) .

فلما قدم عليه سليط بكتاب رسول الله ﷺ مختوما أنزله وحياه . فرد ردا دون رد (٤) .

موعظة سليط لهودة بن على الحنفى :

فقال له سليط : ياهوذة إنه سودتك أعظم حائله (٥) . وأرواح فى النار (٦) . وإنما السيد من منع بالإيمان . ثم تزود بالتقوى . وإن قوما يصعدوا برأيك . فلا تشقين به . وأنا آمرك بخير مأمور بــه . وأنهاك عن شر منهى عنه . آمرك بعبادة

---

(١) سليطا بفتح السين . واختير لهذه المهمة . لأنه كان دائم التردد على أهل اليمامة للتجارة وغيرها .

(٢) أى حيث تقطع الإبل والخيل .

(٣) هداية الحيارى ص ٦٩ .

(٤) السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٣٠٣ .

(٥) أى بالية .

(٦) يعنى كسرى لأنه هو الذى توج هوذة .

الله . وأنهاك عن عبادة الشيطان . فإن في عبادة الله الجنة . وفي عبادة الشيطان النار . فإن قبلت نلت ما رجوت . وأمنت ما خفت . وإن أبيت فبيننا وبينك كشف الغطاء وهو المطلع :

رد هوذة على موعظة سليط رضي الله عنه :

فقال هوذة . يا سليط : سودني من لو سودك تشرفت به . وقد كان لي رأي أختبر به الأمور ففقدته فاجعل لي فسحة ليرجع إلى رأيي فأجيبك به إن شاء الله تعالى (١) .

كتاب هوذة إلى النبي ﷺ :

ثم كتب هوذة كتابا إلى النبي ﷺ بعثه مع سليط جاء فيه :

ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله . وأنا شاعر قومي وخطيبهم . والعرب تهاب مكاني . فاجعل إلى بعض الأمر أتبعك .

وأجاز سليطا رضي الله عنه بجائزة . وكساه أثوابا من نسج هجر (٢) .

حديث أركون لهوذة عن النبي ﷺ :

حين كتابة هوذة الحنفي رده للنبي ﷺ . كان عنده أركون (٣) دمشق عظيم من عظماء النصارى . فقال لهوذة : لم لا تجيبه ؟ . فقال : ضننت بديني . وأنا ملك قومي . ولئن اتبعته لم أملك . فقال : بلى . والله لئن اتبعته ليملكنك . وإن الخيرة لك في إتباعه . وإنه النبي العربي الذي بشر به عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام . وإنه المكتوب عندنا في الإنجيل . محمد رسول الله ... (٤) .

---

(١) السيرة الحلبية جـ ٣ ص ص ٣٠٤ .

(٢) السابق جـ ٣ ص ٣٠٣ .

(٣) الأركون : عظيم القرية أو المدينة - المعجم الوسيط ص ١٤ .

(٤) هداية الحيارى ص ٦٩ ، والسيرة الحلبية جـ ٣ ص ٣٠٤ .

موقف النبي ﷺ من رد هوذة على كتابه ﷺ :

ولما قدم سليط بهذا كله على النبي ﷺ . وقرأ النبي ﷺ كتابه قال : لو سألني سيابة (١) من الأرض ما فعلت . بادوباد ما في يدبه (٢) •

ولم يلبث هوذة أن هلك عام الفتح . وظلت اليمامة حتى كان أمرها في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه . وهي صاحبة معركة القراء •

وقد روى أنه لما انصرف النبي ﷺ من الفتح جاءه جبريل عليه السلام فأخبره بأن هوذة قد مات . فقال ﷺ : أما إن اليمامة سيخرج منها كذاب يتنبأ يقتل بعدى •

فقال قائل : يا رسول الله . من يقتله ؟ . فقال له رسول الله ﷺ : أنت وأصحابك فكان كذلك !!

وهذا يدل على أن القائل ذلك للنبي ﷺ . هو خالد بن الوليد رضي الله عنه . فإن أبا بكر الصديق رضي الله عنه . وجهه أميرا على الجيش الذى أرسله لمقاتله مسليمة الكذاب لعنه الله (٣) •

٤ - كتابه ﷺ إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى عامل قيصر على غسان :

كان الحارث بن أبي شمر الغساني أحد ملوك الغساسنة الموالين لسلطان قيصر . وفيما يبدو أنه كان وثنيا.وإن كانت النصرانية عنده مذهبا سياسيا يوالى به هرقلا . وليس عنده بها علم يجعله يقف على أخبار كتبها كغيره من ملوك وحكام

---

(١) أى قطعة •

(٢) السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٣٠٣ •

(٣) السابق جـ ٣ ص ٣٠٣ - ٣٠٤ •

النصارى أمثال النجاشى وهرقل والمقوقس .

ولذلك لا نجد فى كتاب النبى ﷺ أى إشارة إلى المسيح عليه السلام . وإنما دعاه فقط إلى التوحيد إن أراد أن يدوم له ملكه .

نص كتاب النبى ﷺ إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى :

أرسل النبى ﷺ كتابه إلى الحارث (١) مع شجاع بن وهب الأسدى بعد مرجعه من الحديبية يقول فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى الحارث ابن أبى شمر الغسانى . سلام على من اتبع الهدى . وآمن به وصدق . وإنى أدعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له . يبقى لك ملكك . وختم الكتاب (٢) .

حوار شجاع بن وهب مع مرى الرومى حاجب الحارث بن أبى شمر :

يقول شجاع رضى الله عنه : خرجت حتى انتهيت إلى بابه . فأقمت يومين أو ثلاثة فقلت لحاجبه : إنى رسول رسول الله ﷺ إليه . فقال : لا تصل إليه حتى يخرج يوم كذا . وجعل حاجبه يسألنى عن رسول الله ﷺ . وما يدعو إليه . فكنت أحدثه فيرق حتى يغلبه البكاء .ويقول : إنى قرأت فى الإنجيل . وأجد صفة هذا النبى بعينه . فكنت أراه يخرج بالشام ، فأراه قد خرج بأرض القرظ (٣) . فأنا أو من به وأصدقه.وأنا أخاف من الحارث أن يقتلنى .فكان هذا الحاجب يكرمنى . ويحسن ضيافتى . ويخبرنى عن الحارث باليأس منه.ويقول : هو يخاف قيصر (٤) .

---

(١) وكان بغوطة دمشق . وهو مكان معروف بسوريا كثير المياه والشجر .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير . وهداية الحيارى ص ٧٠ ، والسيرة الحلبية جـ ٣ ص ٣٠٤ ويفهم من لهجة الكتاب أن الحارث لم يؤمن لأنه مغرور بملكه .

(٣) القرظ هو : شجر عظام لها سوق غلاظ أمثال شجر الجوز وهى من الفصيلة القرنية وهى نوع من أنواع السنط العربى يستخرج منه صمغ مشهور . المعجم الوسيط ص ٧٢٨ .

(٤) السير الحلبية جـ ٣ ص ٣٠٥ .

مقابلة شجاع للحارث :

يروى شجاع بن وهب كيفية مقابلته للحارث بن أبي شمر قائلا : فخرج الحارث يوما وجلس على رأسه التاج وأذن لى عليه . فدفعت إليه كتاب رسول الله ﷺ فقرأه . ثم رمى به . ثم قال : من ينزع منى ملكى ؟ أنا سائر إليه . ولو كان باليمن جئته . على بالناس . فلم يزل جالسا يعرض عليه حتى الليل . وأمر بالخيل أن تنعل . ثم قال لى : أخبر صاحبك بما ترى . وكتب إلى قيصر يخبره الخبر (١) . فلما قرأ قيصر كتاب الحارث . كتب إليه أن لا تسر إليه وإله عنه (٢) . واستغل بايلياء (٣) .

فجاء إليه كتاب قيصر (٤) . وأنا مقيم . فدعانى . وقال : متى تريد أن تخرج إلى صاحبك ؟ قلت : غدا . فأمر لى بمائة مثقال ذهبا . ووصلنى حاجبه بنفقة وكسوة . وقال لى ذلك الحاجب : أقرأ على رسول الله ﷺ منى السلام . وأخبره أنى متبع دينه .

قال شجاع : فقدمت على النبى ﷺ فأخبرته بما كان من الحارث . فقال ﷺ :

---

(١) جاء كتاب الحارث إلى قيصر وعنده دحية الكلبى رضى الله عنه بكتاب رسول الله ﷺ إلى قيصر - السابق نفسه .

(٢) أى تلهى عنه ولا تذكره .

(٣) إيلياء بالعبرانية : بيت الله . وهو بيت المقدس . والمراد باشتغاله به : أن يهىء لقيصر الإنزال به . فإنه نذر المشى من حمص وقيل : من القسطنطينية إلى بيت المقدس ماشيا شكرا لله تعالى حيث كشف عنه جنود فارس وأظهر الله تعالى الروم على فارس - السابق نفسه .

(٤) الذى يأمر فيه الحارث أن يتلهى عن النبى ﷺ ولا يذكره .

باد ملكه (١) . وأقرأته السلام من الحاجب . وأخبرته بما قال . فقال رسول الله ﷺ : صدق !!! (٢) .

هذه هى أهم كتب النبى ﷺ إلى الملوك والحكام العرب داخل الجزيرة العربية أو على أطرافها . ولا يمكننا حصر من عداهم – وهم جمهور أهل الأرض – وكان لهذه الكتب أكبر الأثر فى تبليغ الدعوة ونشرها بين الناس داخل الجزيرة وخارجها . حتى كان موقف الناس من النبى ﷺ . ومن دعوته ثلاثة أقسام : مسلمون له . ومسالمون له . بدفع الجزية . وخائفون منه (٣) .

---

(١) أى هلك .

(٢) السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٣٠٥ وهداية الحيارى ص ٧٠ .

(٣) هداية الحيارى ص ٧١ .

المبحث الثالث
وسيلة الوفود

- مفهومها :

الوفود جمع وفد . وهو من الثلاثى - وفد - على القوم . وإليهم - يفد - وفدا وفودا . ووفادة : قدم . وورد رسولا . فهو وافد .

والوفد جمع الوافد . وهو جماعة مختارة للتقدم فى لقاء ذوى الشأن . (ج) وفود (١) .

والوفد : القوم يجتمعون ويردون البلاد . واحدهم وافد .

والوفد : رسول القوم يقدمهم . وقد يراد به ما هو أعم من ذلك (٢) .

والمقصود بالوفود كوسيلة دعوية : هى تلك الجماعات التى كانت تفد إلى النبى ﷺ بالمدينة المنورة من داخل الجزيرة العربية أو من خارجها معلنة إسلامها . وولاءها للنبى ﷺ . أو مستسفرة عن الإسلام .

بدايتها : بدأ توافد الوفود على النبى ﷺ بصفة رسمية وعامة فى العام التاسع للهجرة النبوية الشريفة ، حتى سمى بعام الوفود .

وليس معنى هذا عدم توافدها قبل هذا .

فقد ورد على النبى ﷺ كثير من الوفود قبل العام التاسع . بل قبل الهجرة . فقد ذكر ابن هشام فى السيرة النبوية (٣) : أنه قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلا أو قريبا من ذلك . من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة

---

(١) المعجم الوسيط ص ١٠٤٩ .

(٢) السير الحلبية جـ ٣ ص ٢٣٨ .

(٣) جـ ١ ص ٣٦٩ .

فوجدوه فى المسجد . فجلسوا إليه وكلموه . وسألوه . ورجال من قريش فى أنديتهم حول الكعبة . فلما فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ عما أرادوا . دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله عز وجل ، وتلا عليهم القرآن . فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع . ثم استجابوا . وآمنوا به . وصدقوه . وعرفوا منه ما كان يوصف لهم فى كتابهم من أمره .

فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام فى نفر من قريش فقالوا لهم : خيبكم الله من ركب !! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم يرتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل . فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال . ما نعلم ركبا أحمق منكم .. فقالوا لهم : سلام عليكم لا نجاهلكم . لنا ما نحن عليه ، ولكم ما أنتم عليه . لم نأل (١) أنفسنا خيرا .. (٢) .

ويقال : إن هؤلاء النفر من نصارى نجران . وفيهم نزل قوله تعالى : – الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين . أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤون بالسنة السيئة ومما زرقناهم ينفقون . وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه . وقالوا : لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين (٣) .

قال ابن إسحاق : وقد سألت ابن شهاب الزهرى عن هؤلاء الآيات فيمن أنزلن . فقال لى : ما زلت أسمع من علمائنا أنهن أنزلن فى النجاشى وأصحابه .. (٤) .

---

(١) نأل : نقصر : أى لم نقصرها على بلوغ الخير – لسان العرب جـ ١١ ص ٦٨٤ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام جـ ١ ص ٣٦٩ – ٣٧٠ .

(٣) سورة القصص الآية : ٥٢ – ٥٥ .

(٤) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٣٧٠ .

كما وفد على النبى ﷺ قبل الهجرة الداريون : أبو الهند الدارى . وتميم . ونعيم . وأربعة آخرون . وسألوا رسول الله ﷺ أن يعطيهم أرضا من أرض الشام . فقال لهم رسول الله ﷺ : سلوا حيث شئتم . قال أبو الهند : فنهضنا من عنده نتشاور فى أى أرض نأخذ ؟ فقال تميم الدارى . رضى الله عنه : نسأله بيت المقدس وكورته . فقال أبو هند : هذا محل ملك العجم . وسيصير محل ملك العرب . فأخاف أن لا يتم لنا . قال تميم : نسأله بيت جيرون وكورتها . فنهضنا إلى رسول الله ﷺ . فذكرنا له . فدعا بقطعة من أدم . وكتب لهم كتابا نسخته : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب ذكر فيه ما وهب محمد رسول الله ﷺ للداريين إذا أعطاه الله الأرض . وهب لهم بيت عينون وجيرون والمرطوم . وبيت إبراهيم عليه السلام . إلى ابد الأبد . وشهد بذلك : عباس بن عبد المطلب . وخذيمة بن قيس . وشرحبيل بن حسنة . ثم أعطانا كتابنا . وقال : انصرفوا حتى تسمعوا أنى قد هاجرت .

فلما هاجر ﷺ جاءوه وجدد لهم كتابا آخر شهد عليه : أبو بكر بن أبى قحافة . وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب . ومعاوية ابن أبى سفيان رضى الله عنهم أجمعين (١) .

ومن وفد على النبى ﷺ قبل عام الوفود : وفد مزينة .

قال محمد بن عمر الواقدى ... قال : كان أول من وفد على رسول الله ﷺ من مضر أربعمائة من مزينة . وذاك فى رجب سنة خمس . فجعل لهم رسول الله ﷺ الهجرة فى دراهم . وقال : أنتم مهاجرون حيث كنتم فارجعوا إلى أموالكم (٢) .

---

(١) السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

(٢) عن النعمان بن مقرن قال : قدمت على رسول الله ﷺ فى أربعمائة رجل من مزينة وجهينة فى بعض أمره . فأمرنا بأمره . فلما أردنا أن ننصرف . قلنا : ما معنا من زاد نتزوده . فقال : يا عمر !! زودهم . قال يا رسول الله . ما عندى ما أزودهم . قال : =

فرجعوا إلى بلادهم •

ثم ذكر الواقدى : أن أول من قدم من مزينة : خزيمة بن عبد نهم . ومعه عشرة من قومه . فبايع رسول الله ﷺ على إسلام قومه . فلما رجع إليهم لم يجدهم كما ظن فيهم . فتأخروا عنه . فأمر رسول الله ﷺ حسان بن ثابت أن يعرض بخزاعى من غير أن يهجوه . فذكر أبياتا (١) . فلما بلغت خزاعيا شكى ذلك إلى قومه فجمعوا له وأسلموا معه . وقدم بهم إلى رسول الله ﷺ •

فلما كان يوم الفتح دفع رسول الله ﷺ لواء مزينة – وكانوا يومئذ ألفا – إلى خزاعى هذا – (٢) •

كما وقد على النبى ﷺ قبل عام الوفود : وقد الأشعريين صحبة أبى موسى الأشعرى (٣) . وهو فى خيبر ﷺ •

= زودهم . ففتح لنا عليه فيها قدر من تمر مثل الجمل البارك . فتزودنا منها . أربعمائة راكب . قال – النعمان – : فكنت فى آخر من خرج . فالتفت إليها . فما فقدت منها موضع تمرة !!! – دلائل النبوة للبيهقى جـ ٥ ص ٣٦٥ – ٣٦٧ بروايات متعددة •

(١) من هذه الأبيات :

ألا ابلغ خزاعيا رسولا ∴ بأن الذم يغسله الوفاء

وأنك خير عثمان بن عمرو ∴ وأسناها إذا ذكر السناء

وبايعت الرسول وكان خيرا ∴ إلى خير وأداك الثراء

فما يعجزك أو مالا تطيق ∴ من الأشياء لا تعجز عداء

راجع الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ١ ص ٢٩١ ونهاية الأرب جـ ١٨ ص ١٩ – ٢٠ وشرح المواهب جـ ٤ ص ٣٧ •

(٢) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٥ ص ٤١ •

(٣) الاشعرى . نسبة إلى أشعر . واسمه نبت بن أدد بن يشجب . وإنما قيل له : اشعر . لأن إمه ولدته والشعر على بدنه – السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٢٣٨ •

وقد صحبوا جعفر بن أبى طالب من الحبشة (١) . وقال ﷺ فيهم : جاء أهل اليمن . هم أرق أفئدة . وأضعف قلوبا . الإيمان يمان . والحكمة يمانية . السكينة فى أهل الغنم . والفخر (٢) . والخيلاء (٣) فى الفدادين (٤) . أهل الوبر (٥) . قبل مطلع الشمس (٦) .

ويقول ﷺ أيضا فى حقهم: يريد أقوام أن يضعوهم. ويأبى الله إلا أن يرفعهم(٧) .

هذه هى بعض الوفود التى وفدت إلى النبى ﷺ قبل عام الوفود سواء أكانت فى مكة قبل الهجرى الشريفة أم بعد الهجرة . وهى لا تمثل حركة عامة أو شاملة . كما حدث مع بداية العام التاسع .

سبب كثرة الوفود فى العام التاسع . وقلتها فيما قبله :

يبدو السبب فى ذلك : أنه قبل العام التاسع للهجرة النبوية الشريفة كانت الدولة الإسلامية ببناء مجتمعها . وتأسيس أركانها . والدفاع عن كيانها ضد

---

(١) روى البخارى عن أبى موسى الأشعرى قال : بلغنا مخرج النبى ﷺ ونحن باليمن . فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لى أنا أصغرهم . أحدهما : أبو بردة . والآخر : أبو رهم . فى بضع وخمسين رجلا من قومى . فركبنا سفينة فألقتنا سفينتنا إلى النجاشى بالحبشة . فوافقنا جعفر بن أبى طالب فأقمنا معه . حتى قدمنا جميعا . فوافقنا النبى ﷺ حين افتتح خيبر - البداية والنهاية لابن كثير جـ ٥ ص ٢٠٥ .

(٢) الفخر : ادعاء العظمة والكبر والشرف .

(٣) الخيلاء : الكبر والعجب .

(٤) الفدادين : هم الذين تعلوا أصواتهم فى حروثهم ومواشيهم ، وقيل هم المكثرون من الإبل . وقيل : هم الجمالون . والبقارون . والحمارون . والرعيان .

(٥) الوبر : فراء للإبل . بمنزلة الشعر لغيره .

(٦) رواه مسلم عن أبى اليمان . فى كتاب الإيمان . باب تفاضل أهل الإيمان فيه . ورجحان أهل اليمن .

(٧) السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٢٣٨ .

أعدائها داخليا وخارجيا . حتى كان العام الثامن وهو عـام الفتـوح حيث فتحت مكة المكرمة وانتزعت سيادة القرشـيين مـن عليهـا . وبذلـك انتهـى الصـراع بـين الإسلام والكفر . وذهبت هيبة قريش من العرب . فتوجهت الوفود العربية مبايعة للنبي ﷺ . ومعلنة ولاءها للإسلام . وطالبة المزيد من المعرفة عن الإسلام : عقيـدة وشريعة وأخلاقا وسلوكا .

حتى بلغ عدد الوفود بضعة وسبعون وفدا تمثل قبائلها .

يقول ابن إسحـاق : وإنما كانت العـرب تربص الإسـلام أمـر هـذا الحـى مـن قريش . وأمر رسول الله ﷺ .

وذلك أن قريشـا كانـوا إمـام الناس وهاديهم . وأهل البيت الحـرام وضريـح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهمـا السلام . وقادة العرب لا ينكرون ذلـك .

وكانت قريش هى التى نصبت لحـرب رسـول الله ﷺ وخلافـه فلمـا افتتحـت مكة . ودانت له قريش . ودوخها الإسلام . وعرف العرب أنه لا طاقة لهم بحـرب رسول الله ﷺ ولا عداوته . فدخلوا فى ديـن الله أفواجـا يضربـون إليـه مـن كـل وجـه (١) .

فكان فتح مكة هو السبب الذى فتح الطريق أمـام القبـائل العربيـة لتدخـل فـى الإسلام . وتنضم إلى ركابه . ذلك أن عددا كبيرا من القبـائل كـان يرقـب نتيجـة الصراع الدائر بين قوة الإسـلام الناشـئة . وبـين قريـش ذات السـيادة . والكلمـة المسموعة فى أنحاء الجزيرة كلها .

إما خوفا من قريش . وإما انتظارا لمعرفة من تكون له الغلبة .

فلما دخلت مكة فى حوذة الإسلام . وأصبحـت حصنـا مـن حصونـه . لم يعـد هناك مبرر للترقب والانتظار (٢) .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ ٤ ص ١٤٦ .

(٢) وسائل الدعوة : د . محمد الجيوشى ص ٢٢٨ .

السمة العامة عند استقبال الوفود :

هناك بعض المراسم التى رسمها الإسلام الحنيف لاستقبال الوفود . وقد طبقت فى عهد النبى ﷺ . وعهد السلف الصالح . من أهمها :

١- استقبال الوفود استقبالا رسميا بمسئول أداء المراسم . وهو الصحابى الجليل : بلال بن رباح رضى الله عنه . وأحيانا يكون الصحابى الجليل : خالد بن سعيد بن العاص رضى الله عنه .

٢- إنزالهم بدار الضيافة لإكرامهم . وهى دار رملة بنت الحارث الأنصارية أو دار المغيرة بن شعبة . وأحيانا يكون المسجد .

٣- تحديد موعد مسبق لاستقبال النبى ﷺ - غالبا -

٤- حسن الملبس . وبهاء المنظر عند لقاء الوفود . فإذا ما قدم الوفد . لبس النبى ﷺ أحسن ثيابه . وأمر الصحابة الكرام بذلك !! (١) .

٥- عقد لقاء موسع لتعليم أفراد الوفد أمور الإسلام . وما يجب أن يسيروا عليه فى حياتهم . مع ربهم . ومع أنفسهم وأهليهم . ومع الناس أجمعين .

٦- إذا كان من بين أفراد الوفد من يباشر الحكم بين قومه أقره النبى ﷺ . إن كان صالحا لذلك . وبين له ما يجب عليه تجاه رعيته خصوصا . وتجاه كل المسلمين عموما (٢) .

٧- تكليفهم بدعوة من وراءهم . فقد كلف ﷺ وفد عبد القيس . حفظ ما علمهم من أمور الدين . وإخبار من وراءهم . فقال ﷺ : احفظوهن . وأخبروا بهن من وراءكم (٣) .

---

(١) إمتاع الأسماع للمقريزى جـ ١ ص ٥٠٩ .

(٢) البداية والنهاية جـ ٥ ص ٧٩ .

(٣) المرجع السابق جـ ٥ ص ٤٧ .

وقوله ﷺ - من وراءكم - يشمل كل من يمروا عليه . أو يرونه فى أى مكان . أو زمان . مهما كان جنسه أو لونه . أو لغته . أو مكانته .

ومما يدل على هذا التكليف أيضا : ما أخبر به مالك بن الحويرث . قال : أتيت النبى ﷺ فى نفر من قومى فأقمنا عنده عشرين ليلة . وكان رحيما رفيقا . فلما رأى شوقنا إلى أهلينا . قال : ارجعوا فكونوا فيهم . وعلموهم . وصلوا . فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم . وليؤمكم اكبركم (١) .

فهذه دلالة صريحة وواضحة فى أن النبى ﷺ كلف هذه الوفود بمهمة الدعوة إلى الله تعالى بين أهليهم وذويهم . فكانت وسائل فعالة فى تبليغ دين الله تعالى ونشره : عقائديا . وتشريعيا . وأخلاقيا . وسلوكيا .

٨- تقديم الهدايا والعطايا المادية والمعنوية التى يرجعون بها إلى أهليهم . لتكون رمزا للألفة والمحبة والمودة .

وهكذا نجد أن وسيلة الوفود وسيلة فعالة من أهم الوسائل الدعوية . تأثرا بالدعوة إلى الله تعالى ، وتأثيرا فيها .

أثر الدعوة إلى لله تعالى فى الوفود :

لقد أثرت الدعوة الإسلامية فى الوفود تأثيرا كبيرا . فكانت وفادة هذه الوفود فرصة عظيمة . ليتعرف أفرادها على كل ما يتعلق بالإسلام ودعوية . عقيدة . وشريعة وأخلاقا . وسلوكا .

أثر الوفود فى الدعوة إلى لله تعالى :

لقد كان للوفود اثر بالغ فى نشر الدعوة وتبليغها لمن وراءهم . حيث تعلموا من النبى ﷺ . ثم حفظوا ووعوا . ثم بلغوا ودعوا .

---

(١) البخارى كتاب الصلاة باب من قال ليؤذن فى السفر مؤذن واحد جـ ٣ ص ٣١٣ .

المبحث الرابع
وسيلة البعثات (المتابعة أو المعلمون)

البعثات جمع بعثة . وهى عبارة عن : هيئة يمثلها - فرد أو جماعة - ترسل فى عمل معين مؤقت (١) .

ومنها : البعثات السياسية . والإعلامية . والتعليمية .... الخ .

وتتمثل هذه الوسيلة فى الأفراد والجماعات الذين كانوا يرسلهم النبى ﷺ . لتعليم الناس أمور دينهم . ولتعهد الداخلين فى الإسلام ليواظبوا على ممارسة الشعائر كما شرعها الله ورسوله . أو لتعهد الذين قبلوا الصلح والأمان للتعرف على مدى صدقهم فى عهدهم ودفعهم الجزية . ومعرفة مطالبهم وحقوقهم كما ينص عهد الأمان أو الصلح .

علاقتها بوسيلة الوفود :

لما جاء نصر الله تعالى نبيه ﷺ . وفتح عليه مكة . جاء الناس وفودا وأفواجا من جميع أنحاء الجزيرة العربية لتبايع النبى ﷺ وتعلن ولاءها وخضوعها للإسلام .

- ولما عادت تلك الوفود إلى ديارها واستقرت بها . كانت فى حاجة ماسة إلى من يفقهها فى أمور دينها . ويعلمها شرائع الإسلام . ويقيم حياتها على أساس من مبادئه وأخلاقه . ولذلك شهدت السنة العاشرة من الهجرة النبوية الشريفة . توجيه النبى ﷺ لعدد من فقهاء الصحابة الكرام إلى تلك المناطق فى اليمن . وحضر موت والبحرين ونجران وعمان وغيرها . وزودهم بتوجيهاته وإرشاداته :

فهم لم يكونوا حكاما . أو جباة . أو قضاة فقط - وإن كانت هذه كلها تمثل جوانب من مسئولياتهم -

ولكنهم كانوا : هداة . ودعاة . ومعلمين ....

---

(١) المعجم الوسيط ص ٦٢ .

وقد لوحظ أن هؤلاء الولاة كانوا مزودين ببعض القوى الحربية . تحسبا لأى طارىء واحتياطا للأمور (١) . حتى لا يتكرر ما وقع للقراء (٢) فى بئر معونة (٣) والرجيع (٤) .

أهمية وسيلة البعثات فى الدعوة إلى الله تعالى :

إن هذه الوسيلة لها بالغ الأهمية فى نشر وتبليغ الدعوة الإسلامية . وحمايتها

(١) وسائل الدعوة : د. محمد الجيوشى ص ٢٣٨ .

(٢) سموا بالقراء : لملازمتهم قراءة القرآن . ومذاكرة العلم .

(٣) بئر معونة بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم . وقصتها : أن النبى ﷺ بعث المنذر بن عمرو رضى الله عنه فى أربعين . وقيل : سبعين رجلا من أصحابه م . خيار المسلمين . وكتب لهم كتابا فساروا حتى نزلوا بئر معونة بعثوا بالكتاب حزام بن ملحان خال أنس ابن مالك – إلى عدو الله عامر بن الطفيل لعنه الله – راس بنى سليم – فلما أتاه لم ينظر فى كتابه حتى عدا عليه فقتله ... ثم استصرخ عليهم بنى سليم : عصية . ورعلا . وذكوان ... فأجابوه . ثم خرجوا حتى أحاطوا بالقراء فى رحالهم . فقاتلوهم حتى قتلوا إلى آخرهم – السيرة الحلبية جـ ٣ ص ١٦٦ .

(٤) الرجيع : ماء لهذيل وقصته : أن النبى ﷺ بعث عشرة . وقيل ستة من أصحابه عيونا إلى مكة . يتحسسون أخبار قريش ليأتوه بها . وقيل : إن هؤلاء العشرة لم يخرجوا ليأتوا بخبر قريش . وإنما خرجوا مع رهط من عضل والقارة . وهما بطنان من بنى الهون قدموا على رسول الله ﷺ . وقالوا : يا رسول الله : إن فينا إسلاما . فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهونا فى الدين . ويقرئونا القرآن . ويعلمونا شرائع الإسلام . فبعث ﷺ معهم أولئك النفر . فساروا حتى إذا كانوا على الرجيع استصرخوا عليهم هذيلا . فلم يشعروا إلا والرجال بأيديهم السيوف ... فقتلوهم ومثلوا بهم – وقد جاء خبر أصحاب الرجيع وأصحاب بئر معونة إلى النبى ﷺ فى يوم واحد . ولذا دعا عليهم النبى ﷺ فى قنوته جميعا : عصية . ورعلا . وذكوان – أصحاب معونة – وبنى لحيان أصحاب الرجيع – راجع السير الحلبية جـ ٣ ص ١٥٧ – ١٧٠ .

والدفاع عن كيانها. لأنها تعتبر متابعة دقيقة للمسلمين. ومراقبة حكيمة للمستأمنين .

- وهذه المتابعة مهمتها : استمرار التعهد بمن دخل في الإسلام ليتعرف على تعاليم الإسلام . وليواظب على ممارستها .

فليس المراد من الدخول في الإسلام التلفظ بالشهادتين فقط . فهذا أمر ليس بمقصود في المطلوب من الإيمان بهذا الدين الحنيف . وإنما المطلوب أن تنظم تعاليم الإسلام جميع حركات المسلم في حياته كلها .

والذين قبلوا الأمان والصلح لابد أن يكون عليهم مراقب يتعرف على مبلغ صدقهم في ميثاقهم ودفعهم الجزية . ويتعهد مطالبهم . وحاجاتهم وحقوقهم . حسبما نص العهد أو الأمان أو الميثاق .

فعملية المتابعة لها أهمية خاصة في حماية الدعوة من جانب . وحماية المجتمع من جانب آخر . وتثبيت الإيمان في قلوب الذين دخلوا فيه حديثا . ورعاية جانب الحق في المستأمن وأهل الموادعة والصلح (١) .

وهكذا كانت متابعة النبي ﷺ الأقاليم التي دخلت في دين الله تعالى من أجل الطمأنينة على إسلامها سلوكا . أو الوفاء بما عاهدت عليه . إن كان أصحابها من أهل الصلح والموادعة .

- وهذه المتابعة هي التي جعلت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يقوم بتأديب ما نعي الزكاة . إبقاء على الالتزام بتعاليم الإسلام كاملة . وحرصا على استمرار سلطة الدولة على أقاليمها ورعيتها (٢) .

نماذج من البعوث :

حرص النبي ﷺ على استخدام وسيلة البعثات الدعوية منذ فجر الدعوة

---

(١) الدعوة الإسلامية في عهدها المدني د. رؤف شلبي ص ٥١١ .

(٢) السابق ص ٥١٣ .

الإسلامية بمكـة المكرمـة .

١ - فقد بعث ﷺ مصعب بن عمير رضى الله عنه إلى أهل يثرب بعد بيعة العقبة الأولى . ليعلم الناس الدين والقرآن . ويدعوهم إلى الالتزام بهدى الله .

يقول ابن إسحاق : فلما انصرف عنه ﷺ القوم بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير بن هاشم ... وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام . ويفقههم فى الدين . فكان يسمى المقرىء بالمدينة .

وكان منزله على أسعد بن زرارة أبى أمامة (١) .

وقد خرج به أسعد إلى دار بنى عبد الأشهل ودار بنى ظفر . فجلسا فى حائط من حوائط بنى ظفر . واجتمع إليهما رجال ممن أسلم .

فأتاهما أسيد بن حضير وسعد بن معاذ سيدا قومهما رضى الله عنهما - وكانا مشركين - فدعاهما مصعب إلى الإسلام . فهداهما الله تعالى وأسلما . ودعوا قومهما إلى الإسلام . فما أمسى فى دار عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا أسلموا . ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة . فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام . حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون (٢) ثم رجع مصعب رضى الله عنه إلى مكة مع الأنصار فى موسم الحج . وحضور بيعة العقبة الثانية . حين أراد الله من كرامته . والنصر لنبيه . وإعزاز الإسلام وأهله . وإذلال الشرك وأهله (٣) .

٢ - كما بعث النبى ﷺ خالد بن الوليد رضى الله عنه فى شهر ربيع الآخر . أو جمادى الأولى سنة عشر للهجرة النبوية الشريفة إلى بنى الحارث بن كعب . بنجران . وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم . ثلاثا . فإن استجابوا

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ ٢ ص ٢٩ .

(٢) السابق جـ ٢ ص ٣٦ .

(٣) السابق جـ ٢ ص ٣٧ .

فاقبل منهم . وإن لم يفعلوا فقاتلهم .

فخرج خالد حتى قدم عليهم . فبعث الركبان يضربون في كل وجه . ويدعون إلى الإسلام . ويقولون : أيها الناس : اسلموا . فأسلم الناس . ودخلوا فيما دعوا إليه . فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام . وكتاب الله وسنة نبيه ﷺ . وبذلك كان أمره ﷺ إن هم أسلموا . ولم يقاتلوا .

كتاب خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ بما حدث في بعثة لبني الحارث بن كعب . بنجران :

بعدما أسلم بنوا الحارث بن كعب على يد خالد بن الوليد ورفاقه أرسل كتابا إلى النبي ﷺ . ينبؤه بإسلام بني الحارث . وامتثالهم لدين الله تعالى . قائلا :

– بسم الله الرحمن الرحيم . لمحمد النبي رسول الله ﷺ . من خالد بن الوليد . السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته . فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد : يا رسول الله صلى الله عليك . فإنك بعثتني إلى الحارث بن كعب . وأمرتني إذا أتيتهم أن لا أقاتلهم ثلاثة أيام . وأن أدعوهم إلى الإسلام . فإن أسلموا أقمت فيهم . وقبلت منهم وعلمتهم معالم الإسلام . وكتاب الله . وسنة نبيه . وإن لم يسلموا قاتلتهم . وإني قدمت عليهم . فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرني رسول الله ﷺ وبعثت فيهم ركبانا . قالوا : يا بني الحارث : اسلموا تسلموا . فأسلموا ولم يقاتلوا . وأنا مقيم بين أظهرهم . وآمرهم بما أمرهم الله به . وأنها هم عما نهاهم الله عنه . وأعلمهم معالم الإسلام . وسنة النبي ﷺ . حتى يكتب إلى رسول الله ﷺ . والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته (١) .

---

(١) السابق جـ ٤ ص ١٧٤ .

رد النبي ﷺ على كتاب خالد . يأمره فيه بالعودة إلى المدينة المنورة :

كتب النبي ﷺ كتابا إلى خالد بن الوليد ردا على كتاب خالد إليه ﷺ . وفيه : بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبي رسول الله . إلى خالد بن الوليد . سلام عليك . فإني أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد : فإن كتابك جاءني مع رسولك . تخبر أن بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم . وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام . وشهدوا أن لا إله الا الله . وأن محمدا عبد الله ورسوله . وأن قد هداهم الله بهداه . فبشرهم وأنذرهم . وأقبل . وليقبل معك وفدهم . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته (١) .

قدوم خالد بن الوليد رضي الله عنه مع وفد بني الحارث بن كعب .

استجابة لأمر النبي ﷺ :

أقبل خالد بن الوليد . إلى رسول الله ﷺ . وأقبل معه وفد بني الحارث من كعب . منهم قيس بن الحصين ذو الغصة (٢) . ويزيد بن عبد المدان . ويزيد بن المحجل . وعبد الله بن قراد الزيادى . وشداد بن عبد الله القناني . وعمرو بن عبد الله الضبابي . فلما قدموا على رسول الله ﷺ . فرآهم . قال : من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند ؟! . قيل : يا رسول الله هؤلاء رجال بني الحارث ابن كعب . فلما وقفوا على رسول الله ﷺ . سلموا عليه . وقالوا : نشهد أنك رسول الله . وأنه لا إله إلا الله . قال رسول الله ﷺ : وأنا أشهد أن لا إله الا الله . وأني رسول الله . ثم قال : أنتم الذين إذ زجروا استقدموا : فسكتوا . فلم يراجعه منهم أحد . ثم أعادها الثانية . فلم يراجعه منهم أحد . ثم أعادها الثالثة. فلم يراجعه منهم أحد . ثم أعادها الرابعة فقال يزيد بن عبد المدان :

(١) السابق جـ ٤ ص ١٧٤ - ١٧٥ .

(٢) سمى ذو الغصة لأنه كان إذا تكلم أصابه كالغصص . والغصص : الاختناق .

نعم يا رسول الله . نحن الذين إذا زجروا استقدموا . قالها : أربع مرات . فقال رسول الله ﷺ : لو أن خالدا لم يكتب إلى . أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا . لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم . فقال يزيد بن عبد المدان : أما والله ماحمدناك . ولاحمدنا خالدا . قال : فمن حمدتم ؟ . قالوا : حمدنا الله عز وجل الذى هدانا بك يا رسول الله . قال : صدقتم . ثم قال رسول الله ﷺ : بم كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهلية ؟ قالوا : لم نكن نغلب أحدا . قال : بلى . قد كنتم تغلبون من قاتلكم قالوا : كنا نغلب من قاتلنا يا رسول الله . إنا كنا فجتمع ولا نفترق . ولانبدأ أحدا بظلم . قال : صدقتم ! وأمر رسول الله ﷺ . على بنى الحارث بن كعب : قيس بن الحصين (١) ٠

رجوع وفد بنى الحارث بن كعب إلى قومهم :

ثم رجع وفد بنى الحارث بن كعب إلى قومهم فى بقية من شوال . أو فى صدر ذى القعدة . فلم يمكثوا بعد أن رجعوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر حتى توفى رسول الله ﷺ ورحم وبارك ورضى وأنعم (٢) ٠

٣- كما بعث رسول الله ﷺ : عمرو بن حزم إلى بنى الحارث بن كعب بعد عودة وفدهم من عند النبى ﷺ . يقول ابن إسحاق :

وقد كان رسول الله ﷺ بعث إليهم . بعد أن ولى وفدهم : عمرو بن حزم . ليفقههم فى الدين . ويعلمهم السنة . ومعالم الإسلام . ويأخذ منهم صدقاتهم . وكتب إليه كتابا عهد إليه فيه عهده . وأمره فيه بأمره : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا بيان من الله ورسوله - يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود (٣) - عهد

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ ٤ ص ١٧٦ ٠

(٢) السابق نفسه ٠

(٣) سورة المائدة الآية : ١ ٠

من محمد النبي رسول الله . لعمرو بن حزم . حين بعثه إلى اليمن . أمره بتقوى الله في أمره كله . فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون (١) وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله . وأن يبشر الناس بالخير . ويأمرهم به . ويعلم الناس القرآن . ويفقههم فيه . وينهى الناس . فلا يمس القرآن إنسان إلا وهو طاهر . ويخبر الناس بالذى لهم . والذى عليهم . ويلين الناس في الحق . ويشتد عليهم في الظلم . فإن الله كره الظلم . ونهى عنه . فقال : ألا لعنة الله على الظالمين (٢) - ويبشر الناس بالجنة وبعملها . وينذر الناس بالنار وعملها . ويستألف الناس حتى يفقهوا في الدين . ويعلم الناس معالم الحج وسننه . وفريضته . وما أمر الله به . والحج الأكبر : الحج الأكبر . والحج الأصغر : هو العمرة . وينهى الناس أن يصلى أحد في ثوب واحد صغير . إلا أن يكون ثوبا يثنى طرفيه على عاتقيه . وينهى الناس أن يحتبى أحد في ثوب واحد . يفضى بفرجه إلى السماء . وينهى أن يعقص أحد شعر رأسه في قفاه . وينهى إذا كان بين الناس هيج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر . وليكن دعواهم إلى الله عز وجل وحده لا شريك له . فمن لم يدع إلى الله . ودعا إلى القبائل والعشائر . فليقطفوا بالسيف . حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له ويأمر الناس بإسباغ الوضوء : وجوههم . وأيديهم إلى المرافق . وأرجلهم إلى الكعبين . ويمسحون برؤوسهم كما أمرهم الله . ويأمر بالصلاة لوقتها . وإتمام الركوع والسجود والخشوع . ويغلس بالصبح ويهجر بالهاجرة حين تميل الشمس . وصلاة العصر والشمس في الأرض مدبرة . والمغرب حين يقبل الليل . لا يؤخر حتى تبدو النجوم في السماء . والعشاء أول الليل . وأمر بالسعي إلى الجمعة إذا نودى لها . والغسل

---

(١) سورة النحل من الآية : ١٢٨ .

(٢) سورة هود من الآية : ١٨ .

عند الرواح إليها . وأمره أن يأخذ من المغانم خمس الله . وما كتب الله على المؤمنين في الصدقة من العقار . عشر ما سقت العين وسقت السماء . وعلى ما سقى القرب نصف العشر . وفي كل عشر من الإبل شاتان . وفي كل عشرين أربع شياه . وفي كل أربعين من البقر بقرة . وفي كل ثلاثين من البقر تبيع : جذع أو جذعة . وفي كل أربعين من الغنم سائمة واحدة - شاة - فإنها فريضة الله التي افترض على المؤمنين في الصدقة . فمن زاد خيرا . فهو خير له .

وأنه من أسلم من يهودي أو نصراني إسلاما خالصا من نفسه . ودان بدين الإسلام . فإنه من المؤمنين له مثل ما لهم . وعليه مثل ما عليهم .

ومن كان على نصرانيته أو يهوديته . فإنه لا يرد عنها . وعلى كل حالم : ذكر أو أنثى . حر أو عبد . دينار واف . أو عوضه ثيابا . فمن أدى ذلك . فإن له ذمة الله . وذمة رسوله . ومن منع ذلك فإنه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين جميعا . صلوات الله على محمد . والسلام عليه ورحمة الله وبركاته (١) .

فهذا الكتاب توجيه جامع من النبي ﷺ لمبعوثه عمرو بن حزم ولكل الدعاة من بعده يبين له فيه كيف يتعامل مع ربه سبحانه . وكيف يتعامل مع الناس . وكيف يعلمهم أصول دينهم . وشرائعه وأدابه . من طهارة . وصلاة . وزكاة . وكيف يتعامل مع غير المسلمين حين يدخلون في الإسلام . وكيف يوفر لهم الحرية الدينية حين يبقون على دينهم مقابل دفع الجزية .

وهذا نموذج واف في بيان مدى اهتمام النبي ﷺ بالمبعوثين وحرصه على بيان كل ما يؤدي إلى نجاحهم في مهمتهم الدعوية في أي زمان ومكان .

٤ - كما بعث النبي ﷺ علي بن أبي طالب في مهمات عديدة من أهمها :

أ - الدعوة إلى الله تعالى . والالتزام بمنهجه . عن البراء : أن النبي ﷺ بعث

---

(١) السابق جـ ٤ ص ١٧٧ .

خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام . قال البراء : فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد . فأقمنا ستة أشهر ندعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه .

ثم إن النبي ﷺ بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه . فأمره أن يقفل خالدا (١) ومن أحب أن يعقب (٢) مع علي فليعقب معه .

قال البراء : فكنت فيمن عقب مع علي . فلما دنونا من القوم خرجوا لنا فصلى بنا علي . ثم صفنا صفا واحدا . ثم تقدم بين أيدينا . وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ (٣) فأسلمت همدان جميعا . فكتب علي إلى رسول الله ﷺ . بإسلامهم . فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب . خر ساجدا . ثم رفع رأسه . فقال : السلام على همدان . السلام على همدان (٤) .

وجاء أنه ﷺ قال : نعم الحي همدان . ما أسرعها إلى النصر . وأصبرها على الجهد . وفيهم إبدال . وفيهم أوتاد (٥) .

وهكذا استطاع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أن يؤثر في همدان بأسلوبه

---

(١) يرجعه ويرده .

(٢) يظل معه ثم يرجع معه .

(٣) الذي كتبه رسول الله ﷺ وبعثه مع مالك بن نمط أمير وفد همدان . وفيه يقول ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب رسول الله محمد . لمخلاف خارف وأهل جناب الهضب . وحقاف الرمل . مع وافدها ذي المشعار : مالك بن نمط . ومن أسلم من قومه . على أن لهم فراعها - أعاليها - ووهاطها - أسافلها - ما أقاموا الصلاة . وآتوا الزكاة . يأكلون علافها . ويرعون عافيها . لهم بذلك عهد الله . وذمام رسوله . وشاهدهم المهاجرون والأنصار - راجع السيرة النبوية لابن هشام جـ ٤ ص ١٧٩ .

(٤) رواه البخاري في كتاب المغازي باب بعث علي بن أبي طالب عليه السلام . وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع رقم الحديث ٤٣٤٩ جـ ٨ ص ٦٥ . وراجع دلائل النبوة للبيهقي جـ ٥ ص ٣٩٦ .

(٥) السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٢٦٥ .

الرفيق اللين . حتى استجابوا لدعوة الله ورسول ﷺ •

ب – متابعة الداخلين فى الإسلام حديثا لمراقبة مدى صدقهم فى إيمانهم . وجمع صدقاتهم ومتابعة المستأمنين لمراقبة مدى صدقهم فى عهدهم وميثاقهم وتحصيل الجزية منهم •

يقول ابن إسحاق : ... وبعث رسول الله ﷺ على بن أبى طالب رضى الله عنه إلى أهل نجران ليجمع صدقاتهم . ويقدم عليهم بجزيتهم (١) •

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : بعث رسول ﷺ على بن أبى طالب إلى اليمن . – قال أبو سعيد – : فكنت ممن خرج معه . فلما أخذ من إبل الصدقة . سألناه أن نركب منها . ونريح إبلنا . فكنا قد رأينا فى إبلنا خللا . فأبى علينا . وقال : إنما لكم منها سهم . كما للمسلمين •

قال : فلما فرغ على وانطلق من اليمن راجعا . أمر علينا إنسانا . وأسرع هو فأدرك الحج . فلما قضى حجته . قال له النبى ﷺ : أرجع إلى أصحابك حتى تقدم عليهم •

قال أبو سعيد : وقد كنا سألنا الذى استخلفه ما كان على منعنا إياه نفعل . فلما جاء عرف فى إبل الصدقة أن قد ركبت .رأى أثر المركب.فذم الذى أمره ولامه •

فقلت : إنا إن شاء الله إن قدمت المدينة . لأذكرن لرسول الله ﷺ ولأخبرنه ما لقينا من الغلظة والتضييق •

قال : فلما قدمنا المدينة غدوت إلى رسول الله ﷺ أريد أن أفعل ما كنت حلفت عليه . فلقيت أبا بكر خارجا من عند رسول الله ﷺ . فوقف معى . ورحب بى . وسألنى وسألته . وقال : متى قدمت ؟ . قلت : قدمت البارحة . فرجع معى إلى رسول الله ﷺ . فدخل . فقال : هذا سعد بن مالك بن الشهيد .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ ٤ ص ١٨١ •

قال : ائذن له . فدخلت فحييت رسول الله ﷺ . وجاءني وسلم علي . وسألني عن نفسي وعن أهلي . فأحفى المسألة . فقلت له : يا رسول الله . ما لقينا من علي من الغلظة وسوء الصحبة والتضييق . فانتبذ رسول الله ﷺ . وجعلت أنا أعدد ما لقينا منه . حتى إذا كنت في وسط كلامي . ضرب رسول الله ﷺ على فخذي . وكنت منه قريبا . ثم قال : سعد بن مالك الشهيد !!! مه . بعض قولك لأخيك علي . فو الله لقد علمت أنه أخشن في سبيل الله .

قال : فقلت في نفسي:ثكلتك أمك سعد بن مالك . ألا أراني كنت فيما يكره منذ اليوم . وما أدري لا جرم . والله لا أذكره بسوء أبدا سرا ولا علانية (١) .

جـ - الفصل في المنازعات بين الأفراد والجماعات بتوليه منصب القضاء . باليمن .

عن علي قال : بعثني رسول الله ﷺ - أي قاضيا - إلى اليمن . فقلت يا رسول الله تبعثني إلى قوم أسن مني . وأنا أحدث . لا أبصر القضاء . قال : فوضع يده على صدري . وقال : اللهم ثبت لسانه واهد قلبه . يا علي : إذا جلس إليك الخصمان . فلا تقض بينهما . حتى تسمع من الآخر . ما سمعت من الاول . فإنك إذا فعلت ذلك . تبين لك ! . قال علي : فما اختلف علي قضاء بعد . أو ما أشكل علي قضاء بعد (٢) . حتى أشتهر بين الناس القول : قضية ولا أبا حسن لها .

٥- ومن أشهر مبعوثي النبي ﷺ : معاذ بن جبل رضي الله عنه . إلى اليمن : كان معاذ بن جبل رجلا سمحا . شابا حليما . من أفضل شباب قومه . حتى إذا

---

(١) مسند الإمام أحمد جـ ٣ ص ٨٦ ، ودلائل النبوة للبيهقي جـ ٥ ص ٣٩٨ - ٣٩٩ ، والبداية والنهاية لابن كثير جـ ٥ ص ١٠٥ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٥ ص ١٠٧ .

كان عام فتح مكة بعثه النبي ﷺ . على طائفـة مـن اليمن (١) أميرا . فمكث حتى قبض النبي ﷺ . ثم قدم في خلافة أبي بكر رضي الله عنه (٢) ٠

وقد وصاه النبي ﷺ بكل مـا يؤدي بـه إلى النجـاح فـي بعثتـه : مـن الحكمـة . والتيسير . والتبشير . والرفق . واللـين . فـي تعامله مـع المدعويـن . كمـا أعطـاه خلفية كاملة وواضحة عن طبيعة المبعوث إليهم من أهل اليمن . حتى يتعامل معهم بما يتناسب مع طبائعهم ٠

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : لما بعثـه رسـول الله ﷺ إلى اليمـن خـرج معه يوصيه . ومعاذ راكب . ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته . فلما فرغ قال : يا معاذ . إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هـذا . ولعلـك أن تمـر بمسـجدي هـذا وقبري . فبكى معاذ خشعا لفراق رسول الله ﷺ . فقال : لا تبك يا معاذ . للبكاء أوان . البكاء من الشيطان (٣) ٠

ثم التفت بوجهه نحو المدينة فقال : إن أولى الناس بي المتقون . من كانوا وحيث كانوا (٤) – فقد بعثتك إلى قوم رقيقه قلوبهم . يقاتلون على الحق مرتين . فقـاتل بمن أطاعك منهم من عصاك . ثم يفيئون إلى الإسـلام حتـى تبـادر المرأة زوجهـا . والولد والده . والأخ أخاه . فانزل بين الحيين : السكون والسكاسك (٥) ٠

---

(١) ورد في دلائل النبوة للبيهقي : أن النبي ﷺ استخلف معاذا بمكة بعد فتحها مع عتاب بـن أسيد ليعلم أهلها . وأنه شهد غزوة تبوك فالأشـبه أن بعثه إلى اليمـن كـان بعـد ذلـك – دلائل النبوة جـ ٥ ص ٤٠٥ ٠

(٢) السابق نفسه ٠

(٣) مسند الإمام أحمد جـ ٥ ص ٢٣٧ ٠

(٤) السابق نفسه ٠

(٥) السابق نفسه ٠

وفى هذه الوصية : إشارة . وظهور . وإيماء :

إشارة إلى أن معاذا رضى الله عنه لا يجتمع بالنبى ﷺ بعد ذلك (١) لأنه رجع من بعثته إلى اليمن . بعد وفاة النبى ﷺ .

– وظهور لحال هؤلاء القوم المبعوث إليهم من رقة قلوبهم وتمسكهم بالحق .
– وإيماء إلى ما سيكون بينهم من فتنة الأسود العنسى الذى أدعى النبوة . وما سيقوم به معاذ رضى الله عنه . ومن معه من مسلمى هذه القبائل من جهد فى القضاء على هذه الفتنة .

وهذا من إخبار رسول الله ﷺ بما سيكون مستقبلا مما أطلعه الله عليه .

وقد أصهر معاذ إلى السكون (٢) . فكان لهذا الصهر فائدة كبيرة حينما اجتاحت الفتنة ارض اليمن . وقام معاذ وأصهاره بدور مشهود فى القضاء على فتنة الأسود العنسى .

فلم تكد كتب النبى ﷺ تصل إلى حى السكون . وإلى المسلمين باليمن حتى نشط معاذ . وأخذ يحث المسلمين . إلى أن أراح الله تعالى من الأسود العنسى . وقضى على الفتنة بيد الصادقين من المسلمين من أهل اليمن . وحضرموت .

وكان عمال رسول الله ﷺ . قد تركوا أماكنهم لما عمت الفتنة إلا معاذا . فقد ظل بين أصهاره من السكون . ولم يرتد منهم أحد . وظل معاذ باليمن يوالى أمر الدعوة إلى الإسلام . ويعلم الناس أمور دينهم حتى العام الحادى عشر من الهجرة . فانصرف عائدا إلى المدينة بعد وفاة النبى ﷺ وبدء خلافة أبى بكر (٣) .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٥ ص ١٠٠ .

(٢) تزوج من حى السكون وهو أحد الحيين اللذين أرسل إليهما معاذ .

(٣) الكامل فى التاريخ جـ ٢ ص ٢٨٣ ، ووسائل الدعوة . د. الجيوشى ص ٢٤٢ .

وقد كان لمعاذ رضى الله عنه أكثر من مهمة فى بعثته إلى اليمن من أهم هذه المهمات :

أ - الدعوة إلى الله تعالى بمنهج غاية فى الحكمة والحنكة والنبل سمه له النبى ﷺ .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن : إنك ستأتى قوما أهل كتاب . فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله . وأن محمدا رسول الله . فإن هم أطاعوا لك بذلك . فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات كل يوم وليلة . فإن هم أطاعوا لك بذلك . فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم . فإن هم أطاعوا لك بذلك . فإياك وكرائم أموالهم . واتق دعوة المظلوم . فإنه ليس بينها وبين الله حجاب (١) . وفى رواية : أن رسول الله ﷺ حين بعث معاذا . أوصاه وعهد إليه . ثم قال له : يسر . ولا تعسر . وبشر . ولا تنفر . وإنك ستقدم على قوم من أهل الكتاب . يسألونك : ما مفتاح الجنة ؟ . فقل : شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ... فخرج معاذ حتى إذا قدم اليمن . قام بما أمره به رسول الله ﷺ (٢) .

وفى رواية ثالثة : أن رسول الله ﷺ لما بعثه إلى اليمن قال : - إياك والتنعم . فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين (٣) .

ب - جباية الجزية من المستأمنين . وجمع الزكوات والصدقات من المؤمنين . فقد قال معاذ رضى الله تعالى عنه : بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن . وأمرنى أن

---

(١) صحيح البخارى كتاب المغازى باب بعث أبى موسى ومعاذ إلى اليمن جـ ١٦ ص ١٨٣ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام جـ ٤ ص ١٧٢ .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٥ ص ١٠١ .

آخذ من كل حالم دينارا . أو عدله من المعافر (١) . وأمرني أن آخذ من كل أربعين بقرة مسنة . ومن كل ثلاثين بقرة تبيعا حوليا . وأمرني فيما سقت السماء العشر وفيما سقى بالدوالى نصف العشر (٢) .

وهذه الوصايا النبوية الشريفة ترسم لمعاذ بن جبل رضى الله عنه ولكل الدعاة من بعده أمثل المناهج والأساليب والوسائل التي تؤدى إلى نجاحهم في دعوتهم واستمرار أثرها في عقول وقلوب المدعوين .

وذلك لأنها تشتمل على كل ما يربط الداعية بدين الله تعالى . وعلى كل ما يجب عليه تجاه مدعويه من الرفق بهم . وعلى كل ما يجب على المدعوين تجاه ربهم سبحانه وتجاه مجتمعهم من أمور العبادات والأخلاق والسلوك .

ب - توليه الإمارة على من معه في جمع الصدقات والجزية . من المسلمين والمستأمنين ففي كتاب النبي ﷺ إلى زرعة بن ذى يزن من أهل اليمن يقول :

أما بعد . فإن رسول الله محمد النبي أرسل إلى زرعة بن ذى يزن أن إذا أتاكم رسلي (٣) . فأوصيكم بهم خيرا : معاذ بن جبل . وعبد الله بن زيد . ومالك بن عبادة . وعقبة بن نمر . ومالك بن مرة . وأصحابهم . وأن أجمعوا ما عندكم من الصدقة . والجزية من مخالفيكم . وأبلغوها رسلي . وأن أميرهم معاذ بن جبل . فلا ينقلبن إلا راضيا (٤) .

---

(١) نوع من ثياب اليمن .

(٢) السابق جـ ٥ ص ١٠١ .

(٣) رسل النبي ﷺ من المبعوثين هم صفوة مختارة من الصحابة الكرام . حيث يقول ﷺ في شأنهم في بعض كتبه : وإني قد أرسلت إليكم من صالحي أهلي وأولي دينهم وأولي علمهم وآمرك بهم خيرا فإنهم منظور إليهم - السيرة النبوية لابن هشام جـ٤ص١٧٢ .

(٤) السابق نفسه .

جـ - توليه القضاء بين المتنازعين من الأفراد والجماعات للفصل فيها . لأنه لما كان أميرا وواليا فلابد أن تعرض له بعض القضايا التى يفصل فيها بين الناس . لذا قال له النبى ﷺ حين بعثه إلى اليمن : كيف تحكم إن عرض لك قضاء ؟ . قال : أقضى بما فى كتاب الله. قال : فإن لم يكن فى كتاب الله ؟ . قال : فبسنة رسول الله ﷺ . قال : فإن لم يكن فى سنة رسول الله ؟ قال : اجتهد رأيى . ولا آلوا . قال : فضرب رسول الله ﷺ فى صدرى . ثم قال : - الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله (١) .

د : توليه الفتيا . لأنه لما كان أميرا . وقاضيا . لابد أن تعرض عليه المسائل التى تحتاج إلى فهم وتوضيح . ليرى رأيه فيها . ويفيد المستفتى بما يصلح أمور دينه ودنياه . عن أبى الأسود الدئلى قال : كان معاذ باليمن . فارتفعوا إليه فى يهودى مات . وترك أخا مسلما . فقال معاذ : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : - إن الإسلام يزيد ولا ينقص - فورثه .

وقد حكى هذا المذهب عن معاوية بن أبى سفيان . ويحيى بن معمر القاضى . وطائفة من السلف . وإليه ذهب إسحاق بن راهويه . وخالفهم الجمهور . ومنهم : الأئمة الأربعة وأصحابهم محتجين بما ثبت فى الصحيحين - لا يرث الكافر المسلم . ولا المسلم الكافر (٢) .

وأتته امرأة من أهل اليمن . فقالت : يا صاحب رسول الله : ما حق زوج المرأة عليها ؟ قال : ويحك . إن المرأة لا تقدر على أن تؤدى حق زوجها . فاجهدى نفسك فى أداء حقه ما استطعت. قالت : والله لئن كنت صاحب رسول الله ﷺ . إنك لتعلم ما حق الزوج على المرأة: قال:ويحك !.لو رجعت إليه فوجدته

---

(١) سنن أبى داود كتاب القضية جـ ٣ ص ٣٥٣ .

(٢) البداية والنهاية جـ ٥ ص ١٠٣ .

تنثعب(١) متحراه قيحا ودما فمصصت ذلك حتى تذهبيه ما أديت حقه !!!(٢) .

هـ - توليه مهمة إمامة الناس فى الصلاة . بالإضافة إلى مهمته كداعية وقاض ومفت وأمير . عن عمرو بن ميمون رضى الله عنه . أن معاذا لما قدم اليمن صلى بهم الصبح فقرأ - واتخذ الله إبراهيم خليلا - فقال رجل من القوم : لقد قرت عين أم إبراهيم (٣) - فهذا الحديث يدل على أنه كان أميرا على الصلاة (٤) - بالإضافة إلى أعماله الأخرى .

يقول الحافظ ابن كثير : والمقصود أن معاذا رضى الله عنه كان قاضيا للنبى ﷺ باليمن . وحاكما فى الحروب . ومصدقا . إليه تدفع الصدقات .. وقد كان بارزا للناس يصلى بهم الصلوات الخمس (٥) .

٦- ولم تقتصر بعوث النبى ﷺ على هذا بل تعددت البعوث إلى كثير من الأماكن والبلدان . وتعددت مهماتهم . حسبما كان يرى النبى ﷺ . يقول ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ . بعث أمراءه وعماله على الصدقات - وغيرها - إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان . فبعث المهاجر بن أبى أمية بن المغيرة إلى صنعاء . فخرج عليه الأسود العنسى وهو بها . وبعث زياد بن لبيد . أخا بنى بياضة الأنصارى إلى حضرموت وعلى صدقاتها . وبعث عدى بن حاتم إلى طىء وصدقاتها.وعلى بنى أسد.وبعث مالك بن نويره على صدقات بنى حنظله . وفرق صدقة بنىسعد علىرجلين منهم فبعث الزبرقان بن بدر علىناحية منها .وقيس بن عاصم على ناحية . وكان قد بعث العلاء بن الحضرمى على البحرين (٥) .

---

(١) تنثعب : تسيل .   (٢) السيرة النبوية لابن هشام جـ ٤ ص ١٧٢ - ١٧٣ .

(٣) صحيح البخارى كتاب المغازى،باب بعث أبى موسى ومعاذ إلى اليمن جـ ١٦ ص ١٨٣ .

(٤) البداية والنهاية جـ ٥ ص ١٠٣ .

(٥) السيرة النبوية لابن هشام جـ ٤ ص ١٨٠ - ١٨١ .

وقد كان رسول الله ﷺ حريصا على توفر الكفاءة الشخصية والعلمية فى مبعوثيه . وعلى أن يبعث لكل قوم ما يناسبهم من مبعوث . كما كان حريصا على تزويد كل رسول بالوصايا والتوجيهات التى تعينه على تبليغ الدعوة ونشرها . إلى من يرسل إليهم ٠

وينبغى الإشارة إلى أن بعث البعثات العلمية والدعوية للقيام بمهمة الدعوة إلى الله تعالى . هى مسئولية المسلمين فى كل عصر ومصر كما أن هذه البعثات هى إحدى الوسائل المساعدة على القيام بأداء هذا الواجب الذى يخدم الإسلام والمسلمين فى كل زمان ومكان ٠

كما ينبغى الإشارة إلى الجهد الجهيد الذى يقوم به الأزهر الشريف – حماه الله – جامعا . وجامعة . ومجمعا – على مدى ألف عام من خدمة الإسلام ودعوته . والمسلمين وقضاياهم فى الداخل والخارج بشتى السبل والوسائل مركزا على وسيلتى : الوفود التى تأتيه لتلقى العلم .. وعلى البعوث العلمية التى يوجهها إلى أبناء المسلمين فى جميع أرجاء المعمورة جاعلا لها إحدى إداراته المتخصصة التى نص عليها القانون رقم ١٠٣ – لسنة ١٩٦١م بشأن تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها فى المادة رقم : ٢٥ – تختص إدارة الثقافة والبعوث الإسلامية . بكل ما يتصل بالنشر والترجمة والعلاقات الإسلامية من البعوث والدعاة ، واستقبال طلاب المنح وغيرهم من ذوى العلاقة فى نطاق أغراض الأزهر . وعليها إلى ذلك تنفيذ مقررات المجمع . ونشر بحوثه ودراساته . وتجميع مايلزمه من البيانات لهذه الدراسات .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ٠

وآخر دعوانا : أن الحمد لله رب العالمين ٠

المؤلف

د. سعيد محمد الصاوى

المراجع

القرآن الكريم .

١ – إحياء علوم الدين : حجة الإسلام أبو حامد الغزالى ط دار المعرفة بيروت بدون تاريخ .

٢-- أخبار مكة . للأزرقى ط ٢ دار الثقافة بمكة المكرمة ١٣٨٥ هـ .

٣– الأخلاق : أحمد أمين ط المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٢٨م.

٤ – الأخلاق الإسلامية وأسسها : عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى ط (١) دار القلم دمشق – بيروت ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩م.

٥– أخلاق الإسلام : د. يعقوب المليجى ط مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م.

٦– أدب الدنيا والدين : الماوردى . ط دار الفرجانى بالقاهرة ١٩٨٣م.

٧– الأزهر جامعا وجامعة : محمد كمال السيد المحامى . ط مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م.

٨– أسس الدعوة . د. محمد السيد الوكيل ط دار الطباعة والنشر الإسلامية بالقاهرة ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩م.

٩– الإسلام ومكارم الأخلاق للشيخ محمد أبى زهرة ط دار الفكر العربى بالقاهرة بدون تاريخ .

١٠– الإسلام والحضارة العربية . محمد كرد على ط لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٨٦م.

١١- أصول الدعوة : د. عبد الكريم زيدان : ط دار عمر بن الخطاب بالإسكندرية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.

١٢- الإمام محمد بن عبد الوهاب : دعوته وسيرته . للشيخ عبد العزيز بن باز طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض ١٤١٠ هـ .

١٣- البداية والنهاية : للحافظ ابن كثير ط دار الفكر العربى بالقاهرة بدون تاريخ .

١٤- تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى : د. حسن إبراهيم حسن ط مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٧٩م.

١٥- التدرج فى دعوة النبى ﷺ : د. إبراهيم بن عبد الله المطلق ط (١) الرياض ١٤١٧ هـ .

١٦- الترغيب والترهيب : للحافظ المنذرى ط مكتبة الدعوة الإسلامية بالقاهرة بدون تاريخ .

١٧- تفسير القرآن العظيم : للحافظ ابن كثير ط مكتبة التراث الإسلامى حلب دمشق ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.

١٨- تهذيب الأخلاق فى الإسلام : د. عبد المقصود عبد الغنى خيشه ط دار الثقافة العربية بالقاهرة ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

١٩- توضيح المنطق القديم : د. محى الدين الصافى ط دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢م.

٢٠ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبى. ط دار الفتح بالإسكندرية بدون تاريخ .

٢١- الجامع الصغير للسيوطى : طبعة ونشر عبد الحميد أحمد حنفى بالقاهرة بدون تاريخ .

٢٢- الحرب النفسية في صدر الإسلام : محمد بن مخلف صالح المخلف ط (١) دار عالم الكتب ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.

٢٣- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة : للإمام جلال الدين السيوطى ط الحلبى بمصر ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨م.

٢٤- الحضارة العربية الإسلامية : د. على حسنى الخربوطلى . ط مكتبة الأنجلو المصرية بدون تاريخ .

٢٥- الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى : د. سعيد بن على القحطانى : ط دار الإيمان بالإسكندرية بدون تاريخ .

٢٦- درء تعارض العقل والنقل : للإمام ابن تيمية ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٠ هـ .

٢٧- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها : د. أحمد غلوش ط دار الكتاب المصرى بالقاهرة ١٩٧٩م .

٢٨- الدعوة الإسلامية دعوة عالمية : د. محمد الراوى ط (١) مكتبة العبيكان بالرياض ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

٢٩- الدعوة الإسلامية في عهدها المدنى : د. رؤف شلبى . ط مطبعة الفجر الجديد بالقاهرة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

٣٠- الدعوة إلى الإسلام : سيرتوماس وآرنولد . ترجمة د. حسن إبراهيم حسن ط مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٠م.

٣١- دلائل النبوة : لأبى بكر بن أحمد بن الحسين البيهقى . ط دار الريان للتراث بالقاهرة بدون تاريخ .

٣٢- ديوان أبى تمام . بشرح الخطيب التبريزى . تحقيق محمد عبده عزام ط (٢) دار المعارف بمصر بدون تاريخ .

٣٣- الذريعة إلى مكارم الشريعة : للراغب الأصفهانى : ط مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٣ هـ .

٣٤- الرحيق المختوم : للشيخ صفى الدين المباركفورى ط (٢) رابطة العالم الإسلامى ١٤١١ هـ .

٣٥- الرسالة القشيرية فى علم التصوف : للإمام أبى القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى ط مكتبة صبيح بالقاهرة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢م.

٣٦- الرعاية لحقوق الله : للحارث المحاسبى . تحقيق عبد القادر عطا طبعة دار الكتب الحديثة بالقاهرة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م.

٣٧- ركائز الإعلام فى دعوة إبراهيم عليه السلام : سيد محمد ساداتى الشنقيطى بدون تاريخ أو دار نشر .

٣٨- زاد المعاد:للإمام ابن قيم الجوزية ط المطبعة المصرية ومكتبتها بدون تاريخ .

٣٩- سنن ابن ماجه : ط دار الفكر بيروت بدون تاريخ .

٤٠ - سنن أبى داود : ط دار الفكر بيروت ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م.

٤١- سير أعلام النبلاء : للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى ط (٢) مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م.

٤٢- السيرة الحلبية فى سيرة الأمين المأمون . للشيخ على برهان الدين الحلبى ط دار المعرفة بيروت بدون تاريخ .

٤٣ - السيرة النبوية : لابن هشام ط المكتبة التوفيقية بالقاهرة بدون تاريخ .

٤٤- الشوقيات : شعر أحمد شوقى . ط دار العودة بيروت بدون تاريخ .

٤٥- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : إسماعيل حماد الجوهرى ط (٢) دار العلم للملايين بيروت ١٣٣٩ م.

٤٦- صحيح البخارى مع فتح البارى . ط مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة ١٩٧٨م .

٤٧- صحيح مسلم ط المطبعة المصرية ومكتبتها بالقاهرة ١٩٢٤م .

٤٨- صحيح الترمذى : ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م .

٤٩- عقيدة المؤمن : أبو بكر الجزائرى : ط مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة بدون تاريخ .

٥٠- العلاقات الدولية فى الإسلام : للشيخ محمد أبى زهره ط دار الفكر العربى بالقاهرة بدون .

٥١- الفلسفة الحديثة فى الميزان : د. محمد بن فتح الله بدران ط دار الكتب الحديثة بالقاهرة بدون تاريخ .

٥٢- فى ظلال القرآن : سيد قطب . ط (٤) دار الشروق بالقاهرة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م .

٥٣- القاموس المحيط : الفيروز آبادى ط دار الجيل بيروت بدون تاريخ .

٥٤- القدوة الحسنة : أخلاق قرآنية . ونماذج ربانية : حسنى أدهم جرار ط (١) دار الضياء عمان - الأردن ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م .

٥٥- القيم الخلقية والإنسانية فى الغزوات . حسن فتح الباب ط مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ١٣٩١ هـ - ١٩٧١م .

٥٦- لسان العرب لابن منظور ط المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر بدون تاريخ .

٥٧- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة : للشيخ عبد العزيز بن باز ط الرئاسة العامة لإدارات البحوث ١٤١٠ هـ .

٥٨- مختار الصحاح لأبى بكر الرازى : ط الهيئة المصرية العامة للكتاب بدون تاريخ .

٥٩- مختصر منهاج القاصدين : للإمام ابن قدامة المقدسى : ط دار عمر بن الخطاب بالإسكندرية ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م.

٦٠- مدارج السالكين : الإمام ابن قيم الجوزية : ط (١) دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

٦١- المدخل إلى علم الدعوة : د. أبو الفتح البيانونى : ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٥ هـ .

٦٢- المستدرك : لحاكم النيسابورى ط دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م.

٦٣- مشكلات الشباب والحلول المطروحة والحل الإسلامى : د. عباس محجوب ط كتاب الأمة رقم ١١ جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ .

٦٤- المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى : تأليف . أحمد بن على المقرى : ط المكتبة العلمية بيروت .

٦٥- معجم مقاييس اللغة : لأبى الحسن أحمد بن فارس : تحقيق عبد السلام محمد هارون . ط دار المعرفة بيروت، بدون تاريخ .

٦٦- المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية بالقاهرة : ط دار المعارف بمصر ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.

٦٧- مع الله . دراسات فى الدعوة والدعاة : للشيخ محمد الغزالى ط (٥) دار الكتب الإسلامية بالقاهرة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.

٦٨- المفردات فى غريب القرآن : للراغب الأصفهانى ط دار المعرفة بيروت بدون تاريخ .

٦٩- منهج الدعوة إلى الله : أمين أحسن إصلاحي نشر دار الكتاب الإسلامي بالكويت بدون تاريخ .

٧٠ - ميزان العمل : حجة الإسلام أبو حامد الغزالي : ط صبيح بالقاهرة ١٩٦٣م.

٧١- نساء داعيات : د. توفيق يوسف الواعي : ط (٣) دار الوفاء بالمنصورة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.

٧٢- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى . للإمام ابن القيم ط (٤) المكتبة القيمية بالقاهرة ١٤٠٧ هـ .

٧٣- هداية المرشدين : للشيخ علي محفوظ طبعة دار الاعتصام بمصر : ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.

٧٤- هذه الدعوة . ما طبيعتها ؟ : عبد الله ناصح علوان . ط (٢) دار السلام بالقاهرة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

٧٥- وسائل الدعوة : د. محمد إبراهيم الجيوشي ط القاهرة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.

٧٦- وفيات الأعيان : ابن خلكان ط دار صادر بيروت بدون تاريخ .

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	١
التمهيد : التعريف بمصطلحات البحث	٢
معنى الوسائل فى اللغة	٤
معنى الوسائل فى الاصطلاح	٥
معنى الدعوة فى اللغة	٥
معنى الدعوة فى الاصطلاح العام	١٤
معنى الدعوة فى الاصطلاح الإسلامى	١٤
مركب - وسائل الدعوة	٢١
أهمية الوسائل فى الوصول إلى الأهداف	٢١
أهمية الوسائل للدعوة والداعية	٢٢
الفصل الأول **أنواع الوسائل من حيث المعنوية والمادية**	٢٥
المبحث الأول : الوسائل المعنوية – مفهومها . أمثلة لها	٢٥
المطلب الأول : الصدق	٢٦
المطلب الثانى : الأمانة	٤٣
المطلب الثالث : الاستقامة	٥٢
المطلب الرابع : الايثار	٧١
المطلب الخامس: حب الخير للناس	٨٣

الموضوع	رقم الصفحة
المطلب السادس: الزهد فيما عند الناس	٩١
المطلب السابع : الاخلاص	١٠٠
المبحث الثانى : الوسائل المادية	١١٠
المطلب الأول : الوسائل الفطرية	١١١
المطلب الثانى : الوسائل المكتسبة	١٢٢
المطلب الثالث : الوسائل التطبيقية	١٢٨
المساجد	١٢٨
الجمعيات الإسلامية	١٣٧
الفصل الثانى	١٤٥
أنواع الوسائل من حيث مجالات استخدامها	
المبحث الأول : الوسائل التعليمية	١٤٥
المطلب الأول : الكلمة	١٤٥
المطلب الثانى : الدرس	١٤٦
المطلب الثالث : الندوة	١٥٠
المبحث الثانى : الوسائل الإعلامية	١٥٢
المطلب الأول : الوسائل المقروءة	١٥٢
المطلب الثانى : الوسائل المسموعة	١٥٢
المطلب الثالث : الوسائل المرئية	١٥٢
المبحث الثالث : القدوة الحسنة	١٥٣

الموضوع	رقم الصفحة
الفصل الثالث **أنواع الوسائل من حيث مشروعيتها**	١٥٥
الفصل الرابع **الضوابط العامة لمشروعية الوسائل**	١٥٧
المطلب الأول : النص على مشروعية الوسيلة فى الكتاب أو السنة	١٥٩
المطلب الثانى : النص على عدم مشروعية الوسيلة	١٦١
المطلب الثالث : دخول الوسيلة دائرة المباح	١٧٥
الوسيلة المختلف فى حكمها	١٧٦
الوسيلة المشوبة	١٧٨
المطلب الرابع : خروج الوسيلة عن كونها شعارا لغير المسلمين	١٨٢
المطلب الخامس : الترخيص فى استعمال الوسائل الممنوعة للضرورة	١٨٦
الفصل الخامس **خصائص وسائل الدعوة الإسلامية**	١٨٩
المطلب الأول : خصائص الوسائل الدعوية	١٨٩
المطلب الثانى : مقارنة بين وسائل الدعوة الإسلامية ووسائل الدعوات الأخرى	٢٠٣
الفصل السادس **وسائل الدعوة فى العهد المكى**	٢٠٧
المبحث الأول : الوسيلة القولية	٢١١

الموضوع	رقم الصفحة
المبحث الثانى : الوسيلة الحركية	٢١٧
المبحث الثالث : لفت الأنظار والعقول إلى آثار قدرة الله تعالى	٢١٩
المبحث الرابع : لفت الأنظار وضرب الأمثال لما حدث للسابقين	٢٢١
الفصل السابع **وسائل الدعوة فى العهد المدنى**	٢٣٣
المبحث الأول : وسيلة الجهاد	٢٣٧
المبحث الثانى : وسيلة الكتب والرسائل	٢٦٩
- كتبه ﷺ خارج الجزيرة العربية	٢٧٩
كتابه ﷺ إلى المقوقس بمصر	٢٨٠
كتابه ﷺ هرقل بالشام	٢٨٤
كتابه ﷺ النجاشى بالحبشة	٢٨٧
كتابه ﷺ كسرى، بفارس	٢٩١
الملاحظ على هذه الكتب الأربعة	٢٩١
-كتبه ﷺ داخل الجزيرة العربية	٢٩٦
كتابه ﷺ إلى المنذرين ساوى ملك البحرين	٢٩٦
كتابه ﷺ إلى جيفر وعبد ابنى الجلندى ملكى عمان......	٢٩٨
كتابه ﷺ إلى هوذة بن على الحنفى	٣٠٢
كتابه ﷺ إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى	٣٠٤

الموضوع	رقم الصفحة
المبحث الثالث : وسيلة الوفود	٣٠٩
مفهومها	٣٠٩
بدايتها	٣٠٩
سبب كثرتها فى العام التاسع وقلتها قبله	٣١٣
السمة العامة عند استقبالها	٣١٥
المبحث الرابع : وسيلة البعثات	٣١٧
أهميتها فى نشر الدعوة	٣١٨
نماذج	٣١٩
مصعب بن عمير رضى الله عنه	٣٢٠
خالد بن الوليد رضى الله عنه	٣٢١
عمرو بن حزم رضى الله عنه	٣٢٣
على بن أبى طالب رضى الله عنه	٣٢٨
معاذ بن جبل	٣٢٩
المراجع	٣٣٧
الفهرس	٣٤٥

رقم الإيداع
١٩٩٩ / ١٧١٦٩
مكتب الأشول للطباعة بطنطا